جامعة الجزائر 2

كلية العلوم الانسانية

قسم الفلسفة

العامل الثقافي ودوره في الصراع السياسي – أطروحة صدام الحضارات ل صامويل هانتنغتون نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة السياسية

إعداد الطالب :

- عبد الحليم عتامنة

إشراف الأستاذ :

- د. أحمد وارث

السنة الجامعية : 2017/2016

إهـــــــداء

الحمد لله الذي أعانني على إنجاز هذا العمل والذي أتمناه

عملا صالحا ونافعا إن شاء الله.

إلـــى اللذين جعلهما الله عنوانا لي فغمراني بكل معاني الحب. إلى من قال فيهما ربي من فوق سبع سماوات "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا".

إلى جميع أفراد عائلتي وأخص بالذكر زوجتي العزيزة نجاة، و كل أبنائي: جواد ، أيوب، عبد البارئ.

****عبد الحليم***

شكـــــــــــــــر وتـقـديـــــــــــــــر

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل نتوجه. بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور أحمد وارث الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث.

ولا يفوتنا أن نشكر جميع أساتذة قسم الفلسفة الذين أفادونا أثناء سنتنا التحضيرية .

شهد العالم بعد انتهاء الحرب الباردة تحولات جذرية، من أهمها تلك التي طرأت على الاتحاد السوفياتي و دول أوروبا الشرقية، و التي جعلت البعض يتصور بأنّ الصراع بين الكتلتين الشرقية و الغربية قد وصل إلى نهايته، و بسبب تسارع الحوادث في تلك الفترة، وجد الباحثون عوائق كثيرة منعتهم من فهم التطورات التي عرفها العالم .

من أجل التكيف مع المتغيرات الجديدة اتجه علماء السياسة إلى البحث عن آليات تنظيرية بديلة ذات قدرة على فهم و استيعاب ما يحدث. و من أبرز المقاربات التي ظهرت، نظرية نهاية التاريخ ل **فوكوياما**. أما **هانتنغتون*** فقد نظر إلى هذه الفترة على أساس أنّها بداية حلقة جديدة في تاريخ البشرية، و السياسة الكونية، لأنّ الثقافة في نظره أزاحت الإيديولوجيا، و أصبحت الفروق الثقافية هي التي تميز الشعوب . و نتيجة لهذا التطور البارز،

*** – و لد صامويل هانتنغتون في 1927/2/18م بمدينة نيويورك،تحصل على شهادة الماجستير من جامعة شيكاغو،و من جامعة هارفارد تحصل على شهادة دكتوراه في العلوم السياسية،مارس التدريس بهذه الجامعة إلى أن بلغ التقاعد سنة 2007.**

يعتبر من علماء السياسة المميزين،له دور كبير في الدراسات الإستراتيجية،حيث أنّه ترأس أكاديمية هارفارد للدراسات الدولية و الإقليمية،اشتغل كذلك مديرا لمعهد أولين Olin المختص بأمور السياسة الخارجية.تولى مهمة التحليل و الإستشراف في مجلس الأمن القومي الأمريكي،كان يقدم تقارير إلى الدوائر الرسمية في الولايات المتحدة حول أمور الأمن، كانت فكرة صدام الحضارات غير منفصلة عن هذا الإطار.

تميز هانتنغتون بتوجه ليبيرالي ممزوج بنظرة محافظة للتاريخ،كان ينظر إلى الأفراد ليس إنطلاقا من اعتبارات مادية، بل اعتبرهم نتاج ثقافتهم.أول مؤلفاته كان كتاب:الجندي و الدولة،و قد كان مرتبطا بدوافع سياسية،و من بين ما دعا إليه ضرورة امتلاك الولايات المتحدة لقوة عسكرية احترافية،بالإضافة إلى مناقشته لعلاقة السلطة المدنية بالقوات المسلحة.أكثر كتبه تأثيرا على علماء السياسة هو:النظام السياسي لمجتمعات متغيرة،أما أشهر كتبه فقد كان:صدام الحضارات و إعادة صنع النظام العالمي الجديد،و الذي دافع فيه مرة أخرى عن فكرة صدام الحضارات التي كان قد أثارها في مقال شهير نشره في مجلة الشؤون الدولية Foreign Affairs سنة 1993.آخر مؤلفاته كان بعنوان:من نحن؟ المناظرة الكبرى حول الهوية الأمريكية،دعا فيه إلى حماية الهوية الأصلية لأمريكا التي تتمثل في الثقافة الإنجليزية البروتستانتية .

تغيرت حسب اعتقاده طبيعة الصراعات، حيث أنّها لم تعد ذات بعد اجتماعي أو اقتصادي، لأنّ الثقافة هي التي أصبحت تحرك الفواعل المتصارعة .

لكن و مع ذلك نسجل اهتمام بعض المفكرين خلال فترة الحرب الباردة بالبعد الثقافي من حيث علاقته بالسياسة، و من بينهم **جان بريا** Jean Barrea الذي« اعتبر الثقافة شعاعا يوجه عملية الأنسنة عبر مسار التاريخ، كما رأى بأنّ الأزمات التي تحدث في الواقع تؤدي إلى جدل بين الأفكار، فتنشأ مواجهة بين تصورات الحاضر و الماضي، و قد فسر ما حدث في المجتمع اليوناني خلال القرن الخامس قبل الميلاد، و كذلك اندلاع الثورة الفرنسية وفقا لهذا المنظور »[1].

إلاّ أنّ **هانتنغتون** قلل من شأن العامل الثقافي في تلك المرحلة، و حصر الصراع في طابعه الإيديولوجي، لكن بعد انتهاء الحرب الباردة اعتقد بأنّ الأسباب الأساسية للصراع لن تكون اقتصادية، أو إيديولوجية، بل ثقافية*، و أخطر الصراعات سوف تكون على خطوط التقسيم الحضاري .

و مبرر **هانتنغتون**، هو أنّ الشعوب اتجهت إلى البحث عن هويات جديدة، فلم تعد الهوية الإيديولوجية تفي بالغرض، لأنّ الصراع الإيديولوجي أصبح في ذمة التاريخ و تلك المجتمعات التي اتحدت على أساس إيديولوجي رغم أنّها مقسمة حضاريا، تفككت كما هو الشأن بالنسبة للاتحاد السوفياتي، أو تعرضت للتوتر مثلما حصل لأوكرانيا، و ما يقوي

---

[1] -Françoise Massart-Diérard(Dir**),culture et relations internationales**,**Liber Amicorum,Jean Barrea**,Presses universitaires de Louvain,2007, Pp,19-20.

* – **لم يكن هانتنغتون الوحيد الذي استخدم مصطلح صراع الثقافات، ففي أكتوبر 1990 أشار مهدي المنجرة إلى أنّنا دخلنا في مرحلة صراعات سوف يكون للعامل الثقافي دورا أساسيا فيها،كما أنّ أوليفيي مونجان Olivier Mongin استعمل مصطلح حروب ثقافية. لكنّ هؤولاء لم يضعوا براديغما شاملا لفهم العالم، و إنّما تناولوا العلاقة بين الغرب و العالم الإسلامي من منظور صراع الثقافات،أما هانتنغتون فقد وضع نموذجا لفهم العالم انطلاقا من البعد الثقافي.**

Geoffrey Delcroix,**impactes des revolutions sociales au regard des cultures و des religions des modes de vie,del' organisation des societétés sur le système international a trente ans,** Futuribles/Das05 251, novembre 2006,Paris,pp,09-10

الفروق الثقافية هو إعادة احياء الدين. لكنّه يضيف أمرا خطيرا، ألا وهو أنّ البحث عن هوية يتطلب تشخيص عدو، و أخطر العداوات المحتملة تحدث على خطوط التقسيم الحضاري.

بعد تراجع الاشتراكية، ظهرت رؤى متفائلة بمستقبل الليبرالية، حيث أنّ **فكوياما** Francis Fukuyama أعلن مقولة نهاية التاريخ، و ظنّ في تلك اللحظة بأنّ البشرية و صلت إلى مرحلة مهمة تُوجت بانتصار الليبرالية على أساس أنّها أفضل أنماط النظم، كما استبعد قدرة أطراف أخرى على مواجهة الرأسمالية، و تصور بأنّ الإسلام على الرغم من قوته البشرية، حيث أنّه يمثل خمس تعداد العالم من حيث السكان، إلا أنّه لن يقوى على تحدي الليبرالية.

لكنّ تتابع الأحداث أظهر بأنّ العالم ليس في حالة وفاق، فبلغة الأرقام تفيد بعض الإحصاءات بأنّه خلال سنة 1991 ظهر حوالي 48 نزاع مسلح، 22 منها بقي مستمرا إلى غاية 2003، لذلك خيّم التشاؤم مرة أخرى. هذا ما جعل **ألان ثوران** Alain Touraine يعتقد بأن الذي يؤمن مع **فوكوياما** بنهاية التاريخ يقع في خطأ، فالفرحة التي صاحبت سقوط جدار برلين إنما كانت في نظره زفرة عزاء، كما أنّه رأى العالم غارقا في الحملات الصليبية و القتال .

من هذا التشاؤم ينطلق **هانتنغتون**، و بالنسبة إليه لحظة الشعور بالبهجة و التوافق لم تدم طويلا وهم التوافق أو الانسجام في نهاية الحرب الباردة سرعان ما تبدد بسبب تضاعف الصراعات العرقية .

لقد كان عالم السياسة في نظره يتقدم نحو مرحلة جديدة ما جعل المفكرين يقترحون تفسيرات لما يقع، منها مقولة نهاية التاريخ The end of history، عودة التناقضات بين الدولة و الأمة، و انهيار مشروع الدولة الأمة بسبب المواجهات القبلية. كل هذه التفسيرات قد تمكننا من فهم بعض جوانب ما يحدث على قيد الواقع، لكن الأسباب الحقيقية التي ستتحكم في الصراع سوف تكون ثقافية،

و الصراعات الأساسية ستقع بين شعوب منتمية لحضارات مختلفة، و صدام الحضارات سوف يهيمن على السياسة الكونية. و قد اختار **هانتنغتون** مصطلح " Clash " *الذي يفيد الصدام لكي يعبر عن حدة الصراع.

تميز **هانتنغتون** بإدخال تغييرات أساسية على مقولة الصراع مركزا على العامل الثقافي، فإذا كان **ماركس** قد ألغى الاختلافات العرقية و الثقافية و الدينية على أساس أنّ البنية المادية هي الفاعل الأول في الصراع الذي اعتبره طبقيا و عموديا ، فإنّ الهوية بمعناها العريض: الدين، الانتماءات العرقية، و الثقافة، أصبحت مع **هانتنغتون** هي المتغير الأساسي، و من خلال فكرة صدام الحضارات أصبح اتجاه الصراع أفقيا و كأنّ حضارات العالم جزر منفصلة .

و ينبغي أن نوضح بأنّ المؤرخ **ثوينبي** Toynbee قبل **هانتنغتون** وظف مصطلح صدام في اشارته إلى المواجهات بين الحضارات المتزامنة، كما تحدّث عن صدامات بين حضارات العالم القديم و الحديث وقعت بعد تمكن الحضارة الغربية من السيطرة على الملاحة حوالي 1475 م .

كما أنّ **توفلر** Toffler استعمل مقولة الصدام من أجل التعبير عن حركة التاريخ، الذي يتطور حسب رأيه في موجات متلاطمة، و يؤدي ذلك إلى تصادم حضارات بأسرها ، لكنّه لم ينظر إلى الصدام على أساس أنّه بين الغرب و بقية الحضاررات، و إنّما اعتبر العالم مقسما إلى حضارات العهد الزراعي يُرمز لها بالفأس، حضارات الإنتاج الصناعي، و أخيرا حضارات

---

*– كلمة صدمة **Shock** بالإنجليزية، تعني الشيء المفاجئ و غير السار الذي يحدث بشكل مباغت، كأن يقال بأنّ الأخبار المتعلقة بترقيتي قد جاءت كصدمة.يقال كذلك **He still in state of shock** أي أنّه لا يزال في حالة صدمة.

Sally WhmeierColin McintoshOxford Adevanced Learner's dictionary Oxford university press 2005 p1350.

– توجد كذلك كلمة صدام Clash في اللغة الإنجليزية و هي ذات عدة دلالات معظمها تشير إلى الخلاف و المواجهة، فهي تعني قتال قصير المدى بين فريقين من الناس، حيث يقال مثلا : وقع صدام بين الشرطة و المتظاهرين.يوجد كذلك صدام في الحجج، و ذلك بين أشخاص لذيهم أفكار و قناعات مختلفة. كما يوجد صدام بمعنى الخلاف، و هو يشير إلى تباين بين شيئين متضادين، مثلما هو الشأن مثلا بالنسبة لصدام المصالح، الثقافات و الأراء. الفعل يصادم: To clash يعني: ينافس، يقاتل . .258–257 pp. Ipid

يُرمز لها بالكومبيوتر، و هذه الأخيرة قد تخوض حربا لإرساء هيمنتها على النمطين الحضاريين المتبقيين.

يغير **هانتنغتون** مدلولات الصراع مقارنة بهؤلاء، مستندا إلى الثقافة، فإذا كان كل من**اشبنجلر** Spengler ، و **توينبي** Toynbee قد اهتم بالحضارة من زاوية طبيعتها التطورية، فإنّ **هانتنغتون** قد جعل الثقافة هي الفكرة الأساسية، و اعتبرها متغيرا يتحكم في الصراعات السياسية. و في نظره بعد الحرب الباردة الثقافة، و الهويات الثقافية التي هي هويات حضارية، هي العامل الذي يتحكم في مختلف صور التماسك و الصراع . بل أنّ الحضارات هي القوى الفاعلة في السياسة الكونية، فالهوية الحضارية سوف تتزايد والعالم سيتشكل على أساس التفاعل بين سبع أو ثماني حضارات .

و التغير الملموس كما نلاحظ هو أنّ الدولة وفقا لهذا المنظور لم تعد فاعلا محوريا في السياسة، و إنّما أصبحت الحضارات وحدات أساسية في تحليل السياسة.

أراد **هانتنغتون** أن يؤسس رؤية جديدة، أو نموذجا تفسيريا لما يحدث في عالم السياسة يقوم على الانطلاق من الحضارة كمتغير أساسي، و بلغته يمكن تسمية هذا النموذج بالمقاربة الحضارية Civilizational Approach، لأنّ نظام الحرب الباردة غير قادر على فهم التطورات الجديدة التي حصلت. ما يبرر حاجتنا إلى نموذج الحضارة في نظره هو بعض الأحداث التي وقعت منها: الخلافات الاقتصادية بين اليابان و الولايات المتحدة. مقاومة الدول الإسلامية لضغوطات الغرب على العراق و ليبيا. و سعي الدول الإسلامية و الكنفوشية إلى امتلاك أسلحة نووية .

كل هذه االوقائع تعبر في نظره عن نزاع بين الغرب و خصومه، لكنّه يؤكد بأنّ الصراع سيكون على وجه الخصوص بين الغرب و الباقي، لأنّ مفاهيم وقيم الحضارة الغربية تختلف عن مفاهيم الحضارات الأخرى، و غالبا ما تلقى قابلية ضئيلة في الثقافات الأخرى.

إلاّ أنّ **هانتنغتون** يكرس للصراع بين الحضارة الغربية و الإسلام، فإذا كان الغرب يصف خصمه بالشيوعية الكافرة، فإنّ التوصيف ذاته يطلقه المسلمون عليه، و يعتبرونه قمعي، متوحش، متفسخ، و مادي، و هذه الأحكام ليست خاصة بالأصوليين بل موجودة كذلك عند مؤيدي الغرب و حلفائه في العالم الإسلامي، و عموما فإنّ المسلمين مهما كانت آراءهم السياسة في نظره متفقون على وجود اختلافات بين ثقافتهم و ثقافة الغرب.

لكن ينبغي أن نوضح بأنّه قبل أن يشرع **هانتنغتون** في التنظير لأطروحته، كانت نظرة الباحثين إلى الثقافة قد تغيرت، و يتجلى ذلك من خلال أعمال مفكرين مميزين منهم **فانسنت*** R.J.Vincent الذي تعرض إلى مشكلة المحلية و العالمية في القيم ، من جهة أخرى كانت أراؤه حول السياسة مرتبطة بنظرته للثقافة و يبدو ذلك في مؤلفه حول حقوق الإنسان، الذي أثار من خلاله « إشكالية سياسية تتعلق بصعوبة تحقيق تصور عالمي لحقوق الإنسان في عالم متعدد ثقافيا » [1].

من تجليات تغير مفهوم الثقافة كذلك تحولها إلى مجرد أداة لرصد الاختلافات الموجودة بين الشعوب، خاصة وأنّ الأجواء كانت تناسب هذا التوجه، إذ أنّ أغلب الأزمات التي شهدها العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حدثت داخل دول؛ لذلك اتجه الكثير من الباحثين إلى دراسة الثقافة من حيث علاقتها بالهوية الجماعية من أجل فهم الصراعات العرقية.

كما تميزت هذه المرحلة بتطور النظريات الأمنية بشكل مميز، حيث توسع مفهوم الأمن، مع **باري بوزان** Barry Buzan الذي أدخل الجانب الاجتماعي، و انطلاقا من ذلك تم تشخيص تهديدات جديدة تستهدف الغرب، بعد زوال الخطر الشيوعي، منها الهجرة .

---

*– هو أحد المنظرين للعلاقات الدولية، أهم أعماله البارزة كانت حول حقوق الإنسان في التسعينيات و قد تأثر بالفهم الأنثروبولوجي للثقافة، و استبعد امكانية تحقيق جو من التفاهم الدولي بسبب اختلاف الثقافات، و تضارب التصورات حول حقوق الإنسان.

[1] -R.J.Vincent,.**Human rights and international relations**, university press Cambridge, United kingdoms,first published,1986,p,18.

و في هذا السياق تحدث **ريجيس دو بريه** Régis deBray عن تهديدات للغرب مصدرها الجنوب، منها الأصولية الدينية، الهجرة، و كذلك الاختلاف الموجود بين ضفتي المتوسط من حيث النمو الديموغرافي .

اعتبر **هانتنغتون** بدوره الهجرة مصدر تهديد لأمن الغرب وقوته، حيث أنّ عدد المهاجرين يتزايد، ففي سنة 1990، تم إحصاء 20 مليون مهاجر في الولايات المتحدة، و في أوروبا بلغ عددهم 15.5 مليون ، أغلبهم من مجتمعات غير أوروبية، و نسبة الخصوبة بينهم مرتفعة، كما أنّ فئة منهم تمسكت بثقافتها الأصلية، خاصة الجاليات المسلمة، ماجعل الأروبيين يعتبرونها مثيرة للقلق، بل أنّ بعضهم يخشى من ظهور دولة ثالثة عشر في الإتحاد الأوروبي .

و الولايات المتحدة الأمريكية كجزء من الغرب، هي الأخرى في نظره مهددة بفقدان وحدتها و ثقافتها القومية بسبب هجرة الهيسبانيين، الذين يشكلون خطرا كبيرا على الثقافة الأصلية، التي أسسها البروتستانت البيض الإنجليز، و الذين يطلق عليهم مصطلح"Wasp ". و هو مختصر لتسمية السكان الأصليين لأمريكا حسب **هانتنغون**، و هم البيض الأنجلوساكسونيين البروتستانت.WhiteAnglo-Saxon Protestant

ما تم تسجيله كذلك في هذه المرحلة هو انبعاث الدين، حيث وضح الباحثون بأنّ علماء السياسة بين1980 و 1990 أصبحوا بشكل واضح يدخلون الدين في السياسة لأنهم لاحظوا وجود صعوبات في إهمال دور الدين و تأثيراته على السياسة .

و قد اعتقد **هانتنغتون** بدوره أنّه بعد تفكك بعض الكيانات الاشتراكية عادت الشعوب إلى الدين من أجل إعادة تركيب هوياتها الثقافية، و تعتبر فترة ما بعد نهاية الحرب الباردة في نظره مرحلة اتساع الوعي الديني، و ظهور الأصولية الدينية .

و بعد ذكرنا لهذه المعطيات، فإنّ إشكالية بحثنا هي: ما علاقة العامل الثقافي بالصراعات السياسية من وجهة نظر أطروحة صدام الحضارات ل **هانتنغتون؟**

و من أجل تفكيك البحث ارتأينا أن ندرج إشكاليات جزئية نحددها على النحو الآتي: هل أنّ تراجع الإيديولجيات يدل على أنّ العالم انتقل إلى صراع الهويات الثقافية؟ كيف يمكن للهوية الثقافية أن تكون متغيرا فاعلا في الصراع السياسي من منظور **هانتنغتون؟** ما هي الدلالات التي تثبت بأنّ تباين الحضارات يؤدي إلى تصادمها في نظر **هانتنغتون؟** هل أنّ اطروحة صدام الحضارات تهدف إلى فهم طبيعة الحضارة أم أنّها مرتبطة بالأهداف السياسية للغرب؟

و من بين الأسباب الرئيسة التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع ، أنّني أعتبره مدخلا لمقاربة مسألة التنوع الثقافي عبر العالم، و اكتشاف كيفية استغلال بعض الخطابات له من منظور سياسي. نضيف كذلك بأنّ لهذه الأطروحة تداعيات على الحياة العربية المعاصرة؛ لذلك فمن الضروري فهم أبعادها و أهدافها. و أخيرا أعتقد بأنّها تثير إشكالية فلسفية بالغة الأهمية، ألا وهي العلاقات الإنسانية في زمن لم تعد فيه الثقافات جزرا منفصلة.

فيما يتعلق بأهداف البحث أوضح بأنّه من خلال تناولي لهذا البحث سطرت هدفا أكاديميا، ألا و هو مقاربة توجه سائد بين العديد من النخب في الغرب ينتمي إليه **هانتنغتون** اختص بتوظيف الثقافة توظيفا أداتيا، منطلقا منها كمتغير لفهم الصراعات السياسية لمرحلة ما بعد الحرب الباردة. وطالما أنّ لكل أطروحة دوافع و أهداف، فإنّني أرمي كذلك إلى إبراز دوافع و منطلقات هذه الأطروحة، و اكتشاف مدى ارتباطها بالنظرة التاريخية للغرب و بنزعته المركزية*، الساعية إلى الدفاع على مصالحه، و وضع

*–التمركز الحضاري الغربي،**Westercentrism** و هو يعني الغربنة، و دفاع الغرب عن حقه في حماية إنتاجه الفكري و التقني و عدم تعميمه على العالم،و هذا التمركز له بعدين: الأول يتمثل في انتهازية الغرب و إبقاء هيمنته على العالم، الثاني

تقسيمات جديدة للعالم مبنية على أسس ثقافية، ثم تأسيس تحالفات جديدة، متخذا من مقولة صدام الحضارات مبررا لكل ذلك. و أخيرا أهدف من خلال البحث في هذا الموضوع إلى تقييم مقولة "صدام الثقافات "من خلال النظر في مدى موضوعية فرضياتها التي تستند إليها، و كذلك مقاربتها من منظور علمي فلسفي.

و في مقاربتي لهذا الموضوع سوف ألتزم بخطة مكونة من المراحل التالية: مقدمة و تمهيد ، ثلاثة فصول، و خاتمة .

في **المقدمة** بينت كنه الموضوع و الإشكالية التي حددتها.

أما **الفصل الأول** فقد خصصته لعرض" سيرورة "الصراعات السياسية من مرحلة الحرب الباردة إلى ما بعدها، من وجهة نظر **هانتنغتون**، كما تناولت فيه موقفه من صراع الهويات بعد فترة الحرب الباردة.

في **الفصل الثاني** قمت بعرض أطروحة **هانتنغتون** حول الحضارة، و كيفية توظيفه لها كمعيار لتقسيم شعوب العالم، و تصنيفها في كيانات حضارية عوضا عن اعتبارها منضوية في إطار وحدات سياسية هي الدول. لذلك قمت بعرض مفهوم الحضارة من وجهة نظره، و رأيه حول حضارات العالم. و بعدها عرضنا موقفه من الحضارة العالمية. و في نهاية الفصل بحثت في التوظيف المنهجي للحضارة من طرف **هانتنغتون** كمتغير لتفسير الصراعات السياسية.

و في **الفصل الثالث** أبرزت فكرة المركزية الغربية في أطروحة صدام الحضارات، ثم تعرضت فيه بنوع من التفصيل إلى الصراع بين الحضارة الغربية و باقي حضارات العالم من وجهة نظر **هانتنغتون.**

يتمثل في تعميم أدوات و مناهج البحث في العلوم الإجتماهية الغربية و نقلها إلى العالم الثالث. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي،الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية(عربي–انجليزي)،مركز الإسكندرية للكتاب،2005،ص،126.

و في الجزء الأخير من هذا الفصل بحثت في أطروحة صدام الحضارات من حيث علاقتها بالاسترتجية الأمنية للحضارة الغربية.

و قمت في **الخاتمة** بعرض جملة من الاستنتاجات.

و من أجل معالجة مرضية لهذه الإشكالية اعتمدت على المنهج التاريخي للإحاطة بالقضايا المتعلقة بها، و بالتالي التمكن من فهم السياق الفكري للأطروحات التي نتعرض إليها. كما اعتمدت على المنهج المقارن من أجل مقابلة أراء **هانتنغتون** بمواقف مفكرين آخرين حول المسائل التي يرتبط بها هذا البحث. و بما أنّ النقد صميم الروح الفلسفية، فقد حاولت تطبيق المنهج النقدي من أجل اختبار آراء **هانتنغتون** و مسلماته قصد الاقتراب أكثر من الحقيقة.

يوجد اتفاق بين الفلاسفة و علماء الاجتماع على أنّ الإنسان بطبعه كائن مدني، وقد كان **أرسطو** Aristote من الأوائل الذين وصفوا الإنسان بالحيوان السياسي، و تعد الدولة كإطار للحياة الاجتماعية في نظره من الأمور الطبيعية، طالما أنّ الفرد باعتزاله للآخرين سوف يكون عاجزا عن الاكتفاء بذاته في كل شيء:« و من لا يستطع الائتلاف، أو ليس بحاجة إلى شيء لاكتفائه بذاته، لا يمت إلى الدولة بصلة، و هو وحش أو إله » [1].

و عليه فالعيش مع الآخرين حتمية تقتضيها الحياة، و هذا ما يقرّه مؤرخ الحضارات **ول.و .ديورانت*** Will Durant الذي أكد بأنّ « اجتماعية الإنسان ليست ناتجة عن طواعية، بل أنّ الفرد يقوم بذلك بحكم العادة و الظروف القاهرة، أي أنهّ لا يحب الاجتماع بقدر ما يخاف العزلة التي تعرضه للأخطار » [2]. و بالتالي نقول: أنّ الأمم و المجتمعات تنشأ من حتمية الاجتماع الإنساني.

أمّا الحضارة فليست هي المجتمع في حد ذاته، بل هي صورته في مرحلة معينة من تاريخه، و هي تسعى إلى تحسين الاجتماع الإنساني، بتوظيفها للتقنيات كمنتوج مادي لتطويع الطبيعة الفيزيائية، و للقيم كمنتوج معنوي، من أجل تهذيب الطبيعة البشرية.

هذه القيم إما أن تصنع حضارة متناغمة مع أبعاد الإنسانية و فطرتها، ما يجعلها تتفاعل مع شعوب تنتمي إلى ثقافات و أعراق مختلفة، أو تجعلها تنظر إلى الآخرين على أساس أنهم مجرد برابرة و متوحشين، على الرغم من أنّ كلمة "بربري"، في رأي الكثير من مؤرخي الحضارات لا تدل على توحّش الآخرين و همجيتهم، بقدر ما تعبر عن الاعتداد بالنفس.

بصفة عامة احتكت الشعوب عبر التاريخ ببعضها أحيانا بالحرب، و أحينا أخرى بالسلم، و لم تكن أحداث الصراع وحدها التي ميزت العلاقات الإنسانية، بل أنّ الروابط الودية أكثر رسوخا في الذاكرة

---

[1]–أرسطو،كتاب السياسيات، ترجمة:أوغسطنس بربارة البولسي،اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية ،بيروت ،1957،ص،10.

* – فيلسوف أمريكي معاصر و مؤرخ له مؤلف ضخم حول تاريخ الحضارات من 32 جزءا. ولد سنة 1885 و توفى سنة 1981.

[2]–ول.و .ديورانت،قصة الحضارة،الجزءالأول نشأة الحضارة الشرق الأدنى،ترجمة:زكي نجيب محمود،دار الجيل،بيروت.ص،39.

الإنسانية من تلك التي تفرضها السياسة و التقسيمات العسكرية. ففي مصر على سبيل المثال حاول الملك **بطليموس** الحفاظ على نقاء الدم الإغريقي فحرّم الزواج بين المصريين و اليونانيين، إلاّ أنّ إرادة الشعبين تحدت ذلك، و حدث تزاوج عرفي نتج عنه جيل مهجّن سيؤسس فيما بعد حضارة الأقباط .

كما أنّ اليونانيين خاضوا حروبا ضد أمم أخرى كالفرس الذين سموهم بالبرابرة، لكن و مع ذلك تفاعلوا ثقافيا مع هذه الأمم. حيث يذكر المؤرخون بأنّ« **الإسكندر** بعد و صوله إلى مصر لم يركز على القوة العسكرية فقط، بل أنّه قام كذلك بحملة حضارية و ثقافية، وذلك ببناء مدن كمنارات مشعة للثقافة الإغريقية في الشرق، و أظهر احترامه للديانة المصرية »[1].

أما تعامل الرومان مع بقية الشعوب فقد كان يقوم على عدم الاعتراف بقوانين الأجانب، لذلك فكروا في مشروع قانون ينظم علاقاتهم مع الشعوب الأخرى، و قد تم تخصيص هيئة من رجال الدين لتطبيق قانونهم الإلهي المقدس على بقية الأمم، و كان أعضاؤها هم الذين يقررون أمور السلم و الحرب.

و فيما يتعلق بالأوضاع الدينية للمجتمع الروماني، نجد بأنّه في فترة من تاريخ الإمبراطورية رُفضت الديانة المسيحية، و تعرض أتباعها للاضطهاد، إلّا أنّ فئة من دعاة النصرانية تصدت سلميا للفساد الذي حل بالمجتمع الروماني، وكانت المسيحية تقوم على شعار **بولس:**"سالموا الناس جميعا"، و مع ذلك دخل المسيحيون في حروب دينية.

أمّا حضارة الإسلام فقد ظهرت بعد تآلف القبائل المتناحرة فيما بينها، و قد خلّصهم ذلك من فضاء القبيلة الضيق، القائم على التعصب، إلى كيان أكثر تعبيرا عن الكونية ألا و هو الأمة. يقول **أحمد أمين** مبينا ذلك: « بعد أن جاء الإسلام كوّن العرب أمة فيها خصائص الأمة من اتحاد لغة، دين و ميول » [2].

[1]-. سمير أديب،تاريخ و حضارة مصر القديمة،مكتبة الإسكندرية،1997،ص،261 .

[2]–أحمد أمين،ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي،بيروت،2008،ص،24.

لكنّ هذه الأمة لم تتكون إلا بعد نقل الأطراف المتصارعة إلى حالة من الوئام، الذي اعتُبر معجزة منّ بها الله على اتباع الدين الجديد: (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم و لكن الله ألف بينهم إنّه عزيز حكيم)*. و بالتالي فلم يكن ذلك التآلف نتيجة إجراء عسكري ، بل كان حصيلة قيم جديدة تحمل وازعا له قدرة تأثيرية على نزعات النفس العدوانية.

يبيّن الإسلام بأنّ الصراع لم يكن ملازما لحياة الإنسان، بل كانت بين البشر فترات وحدة حتى في العقيدة : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين و أنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)**.

لكن بعد ذلك وقع الاختلاف، الذي اعترف له الإسلام : (و لكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير)***.

ينظر الإسلام إلى الصراع كذلك على أساس أنّه يدور بين الخير و الشر، ومن الواجب دفع الشر، بل على قوة الخير أن تتصدى للفساد :(و لولا دفع اللّه الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض و لكنّ اللّه ذو فضل على العالمين)**** ، أما غرض الدفع فهو مصلحة الإنسانية.

و لو عدنا إلى أهم حدث في الإسلام ألا و هو فتح مكة، سنجد بأنّه لم تُصدر أوامر بالقتل و العدوان، و لا بالانتقام من الذين اعتدوا بشدة على المسلمين، و صادروا أموالهم، رغم أنّ المسلمين كانوا الأقوى عددا و عدة،« بل ما حدث هو التشريع لعهد جديد يقوم على صيانة الحقوق الطبيعية للإنسان، خاصة حق الحياة، و تجسيد روح التسامح حتى مع الطرف المعتدي. علما بأنّ فتح مكّة كانت له أسباب من بينها الإخلال بصلح الحديبية، واعتداء بني بكر على خزاعة، و لم تحفظ قريش السلم، بل

---

* - قرآن كريم،الأنفال.الآية63.

** - قرآن كريم،البقرة الآية213 .

*** - قرآن كريم،البقرة الآية148 .

**** - قرآن كريم،البقرة الآية،251.

أنّها أيدت بني بكر » [1]. لذلك كان يجب التدخل لإحلال العدل و الحد من الاعتداءات التي تمتد رواسبها إلى فترة الجاهلية.

ومن الأمور التي باشر بها النبي عهده الجديد في مكة، وضع ضوابط لحفظ حق طبيعي ألا و هو الحق في الحياة، حيث سن تشريعات خاصة بالقتل الخطأ،« ثمّ نهى قريش عن نخوة الجاهلية التي كانت سبب صراعات و عداوات مميتة، و خاطب قريش قائلا: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيرا،أخ كريم و ابن أخ كريم. فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. » [2]

و بعد اتساع رقعة العالم الإسلامي امتدت قيم التسامح و التعايش لتكون أساسا للتعامل مع شعوب أخرى، في المغرب و خاصة الأندلس. و يقول المؤرخ **نورمان دانييل** Norman Daniel معبرا عن هذا التفاعل:« لا أحد يجادل في أنّ إسبانيا كانت هي أكثر مكان اقترنت فيه الثقافات العربية و الأوروبية و تطورتا معا، فقد كان ثمة في الواقع أربعة خطوط متوازية: أوروبيون تحت حكم أوروبي. و عرب تحت حكم عربي. وكذلك أوروبيون تحت حكم عربي. وعرب تحت حكم أوروبي. لذلك كانت إسبانيا المصدر الرئيسي لمعرفة الفلسفة العربية و العلوم الإسلامية » [3]. يدل ذلك على أنّ الثقافة الإسلامية لا تقوم على رفض الآخر و التسلط عليه.

---

[1] – أبي محمد عبد الملك بن هشام المعاقري، كتاب السيرة النبوية، المجلد الرابع،تقديم و مراجعة جميل العطّار،تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة و النشر،بيروت،ط1،2007،ص،21.

[2] –المرجع نفسه ، ص،41.

[3] - صلاح جرار،زمان الوصل،دراسات في التفاعل الحضاري و الثقافي في الأندلس،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت، ط 1، 2004،ص،37.

لكن لو عدنا إلى تاريخ اليهود لوجدنا بأنّ متطرفيهم بنصوصهم التلموذية يدعون إلى الاستيلاء على كل أرض سكنها اليهود من قبل، بل الاستيلاء على كل العالم* و ينظرون إلى ثقافتهم بكثير من الاستعلاء، و لا يقتنعون بقدرة ثقافة أخرى على منافسة قيم ثقافتهم. هذه العقائد سوف تنتقل إلى حركة الإصلاح البروتستانتي التي افتخر بها الفكر الغربي من **ماكس فابر** Max Weber إلى **هانتنغتون** Philips Samuel Huntington.

لقد وظف كهنة اليهود الأساطير و الأكاذيب التاريخية و حاولوا أن يثبتوا بأنّ اليهود مفضلين على أمم الأرض، و هذا ما يمكن ملاحظته في بعض ما نسبوه للتوراة :(ليؤتى إليك بغنى الأمم و تقاد ملوكهم لأنّ الأمة و المملكة التي لا تخدمك تبيد و خراب تخرب الأمم)[1]. و من أخطر العبارات: (قومي و دوسي يا بنت صهيون لأني أجعل قرنك حديدا و أظلافك أجعلها نحاسا فتسحقين شعوبا كثيرين و احزم غنيمتهم للرب وثروتهم لسد كل الأرض)[2].

أما حديثا فتذكر العديد من المصادر بأنّ الكثير من الحاخامات يصدرون فتاوى متطرفة للجنود. و كمثال على ذلك مراسلة بين أحد الجنود و هو **موشي** مع حاخامه **شيمون ويزر**، « حيث طلب الجندي المذكور فتوى حول ما إذا كان يسمح للجنود بقتل الرجال غير المسلحين، أو النساء و الأطفال أو ربما الانتقام من العرب، و كان جواب الحاخام، أنّه عندما

*– يذكر إسرائيل شاحاك بأنّ الأرض التي يسعى المتشددون الصهاينة للإستيلاء عليها هي:جنوبا :كل سيناء و جزءا كبيرا من شمال مصر.شرقا:كل الأرض و قطعة كبيرة من العربية السعودية و كل الكويت و جزء من العراق جنوب نهر الفرات.شمالا: لبنان و سوريا و جزءا كبيرا من تركيا .غرباو قبرص.أنظر اسرائيل شاحاك التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة ترجمة:صالح علي سواح.بيسان للشر و التوزيع،بيروت،الطبعة الأولى 1995،ص،19.

[1]– محمد عبد الواحد حجازي،اليهود يزيفون تاريخ العالم،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،الإسكندرية، ط1، 2005،ص،144.

[2]– سفر ميخا(4:13) النص موجود في المرجع نفسه،ص،145.

يتعلق الأمر بأمم ليست يهودية فإنّ التقاليد و المعاملة ستكون خاصة »[1]. ونضيف بأنّه لم يرد في الرسالة نهي عن قتل المدنيين و غير المحاربين.

كل هذه الأحكام لا تنص عليها قيم الديانة المسيحية، لأنّ المسيحيين لا يؤمنون بوجود شعب مقدس، و كل ما في الأمر أنّ الشعوب في العقيدة المسيحية تتباين حسب قوة يقينها في فكرة صلب المسيح و تخليصه للناس، كما أنّ المسيحيين لا يعتبرون شريعة موسى وسيلة للخلاص بل أنها منسوخة، أما فكرة أرض الميعاد فلم تكن موجودة في عقيدة المسيحيين .

إلاّ أنّ الفكر العبري تمكن من التأثير على العالم المسيحي، و قد بدأ التقارب في الولايات المتحدة بين الإنجيليين و اليهودية سنة 1819م.« في إحدى كنائس بوسطن كان جمهور الناس ينتظر أن يخرج عليهم عالم مرموق، و إذا بقس متواضع صغير السن اسمه **ليفي بارسونز** Levi Parsons، يقف إلى الحضور ليجعل من اليهود موضوع حديثه لا القيامة أو الإنجيل كما كان متوقعا، بعدها شكر اليهود الذين حفظوا الإنجيل في نظره و دافعوا عنه، واعترافا بجميلهم دعا إلى ضرورة إعادتهم لأرض الميعاد » [2].

هذا التقارب أصبح محل افتخار، حيث يصرح **مايكل أورين** Michael B.Oren بأنّ« دافع تبني العهد القديم كان قويا بين الطهرانيين* Puritans الذين ذهبوا إلى أمريكا الشمالية معتبرين إيّاها

---

[1] –اسرائيل شاحاك التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة ترجمة:صالح علي سواح.بيسان للشرو التوزيع،بيروت، ط1، 1995، ص ص،122–123.

[2] –مايكل أورين،القوة و الإيمان و الخيال أمريكا في الشرق الأوسط منذ عام 1776 حتى اليوم،ترجمة:آسر حطبية، كلمات عربية للترجمة و النشر،القاهرة،ط1،2008،ص،95.

*– Puritains من puritanism أي الطهرانية و هي الصورة الأكثر تشددا في العقيدة البروتستانتية، و قد انتشرت هذه العقيدة خاصة في شمال أوروبا و الدول الأنجلوساكسونية، و ثد كان للطهرانيين تأثيرهم الكبير على الثقافة الإنجليزية و السياسة الأمريكية في العصر الحديث .

Roger Structon,**the Palgrave Macmillan Dictionary of Political Thought**, Third edition,PalgraveMacmillan,New York,2007,p, 572.

بمثابة أرض ميعاد اليهود. أما **وليام برادفورد** المحافظ المستقبلي لمستعمرة **بليموث** فقد قال:« دعنا نعلن كلمة الرب في صهيون، و هو يشير إلى أمريكا لا إلى أرض كنعان » [1].

هؤلاء الإنجيليين اعتبرهم **هانتنجتون** واضعي الحجر الأساس لثقافة سوف تتحكم في مصير الولايات المتحدة الأمريكية مستقبلا و إلى ذلك يشير قوله:« أمريكا هي مجتمع مؤسس أقامه المستوطنون في القرن 17 و 18 ، وقدمت معهم قيمهم و ثقافتهم و شكلت التطور الذي شهدته أمريكا في القرون التالية » [2].

بادر" البوريتان" استيطانهم في نظره « بعهد مع اللّه يتمثل في إقامة مدينة على التل كأنموذج للعالم، و كانوا يعتبرون أنفسهم شعبا مختارا، و أنهم يعملون على خلق إسرائيل، أو أرض ميعاد جديدة[3]» . تصور كذلك بأن أمريكا« كانت أشبه بلوح فارغ بغض النظر عن قبائل الهنود الذين كان من الممكن إبعادهم من طرف المستوطنين أو التخلص منهم، كما أنّ الأمريكيين يتميزون عن الهنود الذين يتصفون بالتأخر و التوحش و يدركون بأنهم على العكس منهم »[4].

و بالتالي فإنّ المستوطنين كما يظهرهم **هانتنغتون**، كانوا يسيرون على نهج قد رسم منذ أول وطأة للإنسان الأوروبي للأرض التي كانت جديدة في عينه،" لكنّ هذه الأرض كانت بالنسبة لقاطنيها عالما قديما"، و هذا النهج أسسه **كريستوف كولمبوس** . Cristophe Colomb

---

[1] – مايكل أورين،القوة و الإيمان و الخيال أمريكا في الشرق الأوسط منذ عام **1776** حتى اليوم ،ص،**98**.

2– صامويل بي هانتنجتون،من نحن؟ترجمة:أحمد مختار الجمال، المركز القومي للترجمة،القاهرة ،ط**1**، **2009**،ص،**72**.

[3] – المصدر نفسه ،ص،**103**.

[4] -المصدر نفسه ص،**74**.

هذا الأخير كان في نظر **تزيفيتان تودوروف** Tzvetan Todorov« متميزا بخاصيتين: الأولى تمثلت في تمسكه بمشروع المسيحية العالمية، حيث أنّه في رسائله كان يتمنى نشر الإنجيل في العالم، و الحصول على ذهب وافر من أجل التمكن من استرجاع الديار المقدسة» [1] .« و الميزة الثانية هي أنّه لم يكتشف الأمريكيين، بل اكتشف أمريكا، و عليه فقد كانت ممارسة الأوروبيين تجاه الآخرين تقوم على ثنائية اكتشاف الآخرية ورفضها في آن واحد »[2].

و لم تكن ممارسات المستوطنين كذلك بعيدة عن التعاليم التلموذية.« فقد كان الله في نظرهم هو الذي أرسل القديسين الطاهرين للقضاء على الهنود، لقد تم افناء أكثر من 111مليون هندي "ينتمون إلى قبائل الشيطان" و كأنّ معادلة كينونتهم هي اختفاء الآخر لإقامة حضارة العدل و القانون » [3] .

نفس النهج سلكه الصهاينة، حيث وضح الكاتب و المفكر **حسنين هيكل** بأنّ« الأمريكي الذي نزل على الأرض الجديدة كان يؤمن بضرورة اختفاء الهنود الحمر، و كان بقوة جواده و مسدسه يرى نفسه عائدا إلى أرض يمتلك عليها امتيازا قديما كان مشابها للاسرائيلي » [4] .

كل هذه الممارسات تجاه الآخر تعبر عن مركزية راسخة في الذات الغربية، و كأنّما أوروبا هي محور العالم، هذا ما يفصح عنه الكثير من الغربيين و منهم **إريك وولف** Woolf الذي رأى بأنّ« خصوصية الثقافة الغربية معيار لتحديد المجتمعات الأخرى، كما أنّه يحصر

[1] - تزفيتان تودوروف،فتح أمريكا مسألة الآخر،ترجمة:بشير السباعي،سينا للنشر،القاهرة،ط1،1992،ص-ص، 16-17.

[2] -المرجع نفسه،ص،56.

[3] -محمد مقدادي،أمريكا و هيكلة الموت،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت،ط1،2004،ص،14.

[4] -محمد حسنين هيكل،الزمن الأمريكي من نيويورك إلى كابول،الشركة المصرية للنشر العربي و الدولي،ط4،2003،ص،29.

منشأ هذه الحضارة في الأصول اليونانية، لقد أنجبت اليونان القديمة في نظره روما، و بعدها أنجبت روما المسيحية النهضة، و هكذا تطورت الحضارة الغربية » [1].

لكنّ مثل هذه المزاعم تعرضت حديثا للنقد، حيث ظهر من يدعو إلى إعادة كتابة التاريخ، و من بينهم **فرناندیز أرمستو** Fernandez Armesto الذي « نفى مفهوم اكتشاف العالم الجديد، لأنّه موجود في عين الأوروبي فقط، أما بالنسبة لشعوب أخرى فلا معنى لهذه الفكرة، كما أن الإصلاح الكنيسي مجرد تحول ديني لا معنى له في كنائس الشرق و عند غير المسيحيين »[2].

خلافا لذلك استمر تيار من النخب الغربية محكوما بسرديات ذات قدرة فائقة على صناعة إيديولوجيا تستند إلى أسس دينية، عرقية، تمجد الغرب و تزدري الآخر، بل تتهم ثقافته بأنها مصدر العنف. مثل هذه الأفكار تأثرت بها القومية الأمريكية، التي وصفها **أناتول ليفن** Anatol Lieven بالعبارات التالية:« بين أوساط الشعب الأمريكي يتراوح مع الأنانية القومية العنيفة و الجهل بالعالم الخارجي، تعصب خاص ضد دين الإسلام » [3].

و يعد **هانتنغتون** من أهم المفكرين الذين اعتبروا الإسلام في مقدمة الثقافات التي كانت و ستظل مصدر تهديد للحضارة الغربية، التي اختصّها بدوره بنوع من الاستثنائية. لكنّه اعترف بخطر آخر داخلي ألا وهو تراجع قوة الحضارة الغربية خاصة بعد انتهاء الاستعمار،« و هو في هذا يتذكر قول **روسو** Rousseau بأنّه لا وجود لمجتمع خالد، لذلك فإنّ أمريكا سوف يكون لها نفس مصير اسبرطة و روما »[4].

---

[1]- عفيف البهنيسي،الهوية الثقافية بين العالمية والعولمة،منشورات وزارة الثقافة،الهيئة العامة السورية للكتاب،2009،ص،9.

[2]– المبروك منصوري،الدراسات الدينية المعاصرة من المركزية الغربية إلى النسبية الثقافية،الدار المتوسطية للنشر،تونس،ط1، 2010.،ص،09.

[3]- أناتول ليفن،أمريكا بين الحق و الباطل،.ترجمة:د ناصرة السعدون، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط1،2008،ص،19.

[4] – صامويل،بي هانتنغتون،من نحن؟ المناظرة الكبرى حول الهوية الأمريكية ،ص،43.

أما العلاج الذي يقترحه فيتمثل في« حماية الاستثنائية الأمريكية، على أساس أنّ بعض المجتمعات و منها أمريكا قد تكون قادرة على تأجيل موتها، و ذلك بتجديدها لشعورها بهويتها القومية »[1]. تزامنت هذه الأطروحة مع حوادث جد هامة تميز بها عصر ما بعد الحرب الباردة، حاول أثناءها **هانتنغتون** أن يقدم رؤية للمتغيرات الجديدة منطلقا من الاختلافات الموجودة بين ثقافات الشعوب.

[1] – المصدر السابق، ص، 44. -

الفصل الأول

انتقال العالم من صراع الإيديولوجيات إلى صراع الهويات الثقافية و الدينية

في أطروحة هانتنغتون

مدخل:

المبحث الأول: الطابع الايديولوجي للصراعات السياسية قبل نهاية الحرب الباردة

المبحث الثاني :أزمة الهويات الثقافية و الدينية بعد نهاية الحرب الباردة من منظور هانتنغتون

المطلب الأول: انهيار الهوية الإيديولوجية.

المطلب الثاني: الهوية الثقافية في أطروحة هانتنغتون

المبحث الثالث : علاقة الهوية الثقافية و الدينية بالصراعات المحلية من وجهة نظر هانتنغتون

تعقيب:

مدخل:

عرفت القارة الأوروبية في النصف الأول من القرن السادس عشر عدة حروب داخلية، من بينها تلك التي كانت ايطاليا مسرحا لها، حيث أنّ هذا البلد كان مقسما إلى دويلات متنازعة. و خلال هذه الفترة كانت الدول الأوروبية الأخرى تراقب هذه الصراعات حرصا على مصالحها، و أثناء انشغال الحكام بتلك الحروب نشطت حركة الإصلاح الديني داخل القارة، و بمجرد انتهاء الحرب كانت البروتستانتية قد انتشرت في العديد من الدول .

من أبرز فترات التوتر كذلك حرب الثلاثين عاما التي دارت حوادثها بين1618 و 1648م، و تسمى بالحرب الدينية. و بصفة عامة ينظر **هانتنتون** إلى الحقبة الحديثة على أساس « أنّها فترة صراع داخلي بين الدول الأوروبية دام أكثر من أربعة قرون »[1].

استمر النزاع بين الأوروبيين، و على الرغم من اتفاق قادة أوروبا على سلم **واستفليا***Westphalia الذي تضمن بنودا من أهمها الحفاظ على توازن القوى، فإنّ الصراع عاد من جديد بسبب طموحات نابليون الامبراطورية. و بعد فترة من النزاعات انعقد مؤتمر آخر بين الدول الأوروبية في فينا سنة 1815، اعتبره البعض بداية مرحلة استقرار إلى حد ما نظرا لعدم وقوع حروب شاملة لكنّ النزاع كما هو معلوم عاد مرة أخرى، و كانت الحربان العالميتان أقوى مظاهره.

[1] - صامويل بي،هانتنغتون،صدام الحضارات،اعادة صنع النظام العالمي الجديد،ترجمة: طلعت الشايب، شركة سطور،مصر، ط2، 1999،ص،38.

*– صلح ويستفاليا انعقد سنة 1648،وهو يعتبر من الوثائق التاريخية الهمة حديثا،تضمن تسويات تتعلق بوضع ألمانيا،و العلاقة بين البروتستانت و الكاثوليك، يقول المؤرخون بأنه كان أساس العلاقات الدولية إلى غاية الثورة الفرنسية.عبد العزيز سليمان، نوار،محمود محمد جمال الدين،التاريخ الأوروبي الحديث،دار الفكر العربي،القاهرة،1999،ص،155.

يتتبع **هانتنغتون** مختلف المراحل التاريخية من عصر النهضة إلى وقتنا المعاصر محاولا تحديد طبيعة الصراع الخاصة بكل واحدة منها، و هو يميز بين مرحلتين:« الأولى خيّم عليها الصراع الإيديولوجي، كانت الدول خلالها تحدد نفسها على أسس إيديولوجية، و كان السؤال المحوري آنذاك هو: إلى أي جانب تنتمي؟ أما المرحلة الثانية فتبدأ بعد انتهاء الحرب الباردة، حيث أصبحت الهوية الثقافية The cultural idenity هي الأهم، و تحوّل السؤال إلى: من أنت؟ و كل دولة يجب عليها أن تجيب عنه، و إجابتها هي هويتها الثقافية »[1].

و يفهم من ذلك أنّ **هانتنغتون** ينظر إلى الصراع على أساس أنّه تابع لمتغير الهوية، حيث أنّه كان إيديولوجيا عندما كانت الهوية الإيديولوجية هي المهيمنة، لكنّه سيتخذ شكلا آخر، بعد أن أصبحت الشعوب في نظره أمام حتمية لا مفر منها ألا وهي تحديد هويتها الثقافية. فما معنى اعتقاد **هانتنعتون** بأنّ العالم انتقل من الهوية الإيديولوجية إلى الهوية الثقافية؟ و ما مفهوم الهوية من وجهة نظره ؟

[1] - Samuel P.Huntington,**The Clash Of Civilizations And The Remaking Of World Order**, Simon and shuster paper baks,New York,203,p,12.

المبحث الأول: الطابع الإيديولوجي للصراعات السياسية قبل نهاية الحرب الباردة

قبل أن نتناول مرحلة الحرب الباردة* نوضح أولا بأنّ **هانتنغتون** « ينظر إلى الصراع الذي كان سائدا في أوروبا قبل هذه الفترة و خلالها على أنّه مواجهات، أو حروب أهلية جرت داخل الحضارة الغربية » [1].

كما يميز بين مرحلتين من المواجهات الداخلية في أوروبا، صراعات حدثت قبل ظهور الإيديولوجيات** و أخرى وقعت بعد ذلك.

المرحلة الأولى في نظره « تتعلق بحروب داخلية جرت بعد سلام **ويستفاليا** كانت تدور بين الأمراء و الأباطرة، و الملوك أصحاب السلطة المطلقة، و كذلك الملوك الدستوريين، و قد كان الجميع يسعى إلى

---

*– الحرب الباردة حالة توتر سياسي و تنافس عسكري بين الدول لاتتحول إلى إشتباك مسلح، مثل التوتر الذي كان بين الولايات المتحدة و الإتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية إلى أوائل السبعينيات، عندما اتفق الطرفان على تأصيل نظام القطبية الثنائية قبل إنهيار الإتحاد السوفياتي سنة1991.إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية،(عربي–إنجليزي)مركز الإسكندرية للكتاب2005،ص،163.

[1] - Samuel p.Huntington,"**the clash of civilizations ?"** Foreign Affairs ,The concil on foreign Relations,1993, n°72,p,23.

** - الإيدياوجيا **Ideology** منهج في التفكير مبني على إفتراضات مترابطة، و مجموعة من المعتقدات و تفسيرات الحركات الدينية، السياسية و الإجتماعية، و قد يكون فلسفيا، أو سياسيا.مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان،ط1،2009،ص–ص 106–107.

تقوية الجيوش و الاقتصاد، و كذلك التنافس على مناطق النفوذ، و في هذه الظروف ظهرت الدولة القومية***، لكنّ الصراع بعد ذلك اتخذ صورة أخرى » [1].

أي أنّ **هانتنغتون** يتناول فترة من التاريخ الأوروبي الحديث، و هي في نظره مرحلة صراعات سياسية بالدرجة الأولى، و هي تختلف عن الحروب الدينية التي جرت قبل توقيع اتفاق **واستفاليا**. في هذه الحقبة ظهرت الدولة الأمة، حيث أصبحت الدولة و الأمة شيئا واحدا، و لم يعد المذهب الديني هو أساس قيام الأمة في أوروبا.

من الناحية التاريخية تعتبر فترة ما قبل الحرب الباردة خاصة التي وقعت فيها عدة ثورات من منظور **هانتنغتون**« بداية الموجة الأولى في تاريخ الديموقراطية الغربية، و قد كانت الثورتان الفرنسية و الأمريكية، البداية الأولى في حياة الديموقراطية الغربية بصفة عامة »[2].

و بعد ذلك في نظره تم الانتقال إلى مرحلة الصراعات الإيديولوجية، و يتصور « بأنّ الإيديولوجيات السياسية الكبرى في القرن العشرين تمثلت في: الاشتراكية، و الفوضوية ، و الاتحادية، و الماركسية، و الشيوعية، و الديموقراطية، و القومية، و الاشتراكية المحافظة، و الفاشية، و الديموقراطية المسيحية ».[3]

*–الدولة القومية ظهرت في أوروبا ،تميزت بأن الولاء فيها تحول إلى الحكومة التي تمنح للشعب الحريات،و هي تعني أن الأمة تحكم نفسها

**

لذلك سميت الأمة الدولةعبد العظيم رمضان،.تاريخ أوروبا و العالم في العصر الحديث،ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص،29.

[1] –صامويل بي هانتنجتون،الإسلام و الغرب، ترجمة :مهدي شرشر.مكتبة مدبولي،القاهرة،مصر ،ط1، 1995،ص ص،6–7.

[2] -Samuel p.**Huntington,The Third Wave DemocratizationIn The Late Twentieth Century**, Published by the university of Oklahoma press,1991,p,16.

[3] – صامويل بي،هانتنغتون،صدام الحضارات،اعادة صنع النظام العالمي ،ص89.

مر الصراع بين الإيديولوجيات حسب رأيه بمراحل:« أولا بين الفاشية و الشيوعية و الديموقراطية الليبيرالية، و بعدها أصبح يدور بين طرفين فقط هما الاشتراكية و الليبيرالية. أما المرحلة الأخيرة فقد تمثلت في الحرب الباردة، حيث أصبح العالم مقسما إلى قوتين لكل واحدة هوية محددة انطلاقا من البعد الإيديولوجي » [1].

يفهم من ذلك أنّه إلى غاية الحرب الباردة كانت الصراعات دائرة داخل الحضارة الغربية في نظر **هانتنغتون**، لكن التطورات الحاسمة تمثلت في ظهور الإيديولوجيات، ثم تقلصها من حيث العدد، و بعد انهزام النازية أصبح الصراع يدور بين طرفين إيديولوجيين فقط.

أما على المستوى التنظيري فقد كانت العلاقات الدولية حسب **هانتنغتون**« تُفسر انطلاقا من نموذج الحرب الباردة الذي يتصف بالبساطة، لكن رغم نقائصه و عدم قدرته على التنبؤ بتطورات منها الشقاق الصيني السوفياتي، إلّا أنّه كان أهم من النماذج الأخرى » [2].

أي أنّ البعد القيمي أو الثقافي خلال الحرب الباردة لم يكن معتمدا. و لو عدنا إلى أهم مدارس تلك الفترة و هي الواقعية مع **هانز مورغانتو** Hanz J-Morganthau، سنجد« بأنّها كانت تفسر الصراعات السياسية بناء على مبادئ من أهمها أنّ القانون الأساسي يتمثل في كون سلوك الدول يهدف إلى الدفاع عن مصالحها أو قوتها السياسية، و هو مستقل عن القيم، و كذلك عن الدين، و تأثيرات هذه العوامل خفية. » [3]

و يشير **هانتنغتون** إلى أنّه « في هذه المرحلة لم يكن هناك اهتمام بالدين أو بالبعد الثقافي، والدليل هو أنّ القومية خلال القرنين التاسع عشر، و العشرين كانت مدعمة بشكل كبير بالنخب الفكرية

---

[1] – المصدر نفسه ، ص،87.

[2] – صامويل بي،هانتنغتون،صدام الحضارات،اعادة صنع النظام العالمي الجديد،ص،50.

[3]-Ehier Diane ,**introduction aux relations internationales**, les presses de l'université de Montréale, troisieme Edition,2006, p,30.

و السياسية، و كانت هذه النخب تحفّز عواطف الناس من أجل توليد الشعور بالقومية، و حشد الجماهير من أجل القضايا الوطنية » [1].

و على هذا الأساس في نظره« تم تكوين اتحادات من دول عديدة، هي المملكة المتحدة لبريطانيا سنة 1707، و الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1776، و اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية سنة 1918، و إلى غاية الثمانينيات كانت هذه الكيانات تبدو ناجحة و بين شعوبها إحساس قوي بالهوية » [2].

أي أنّ العواطف الدينية حسب **هانتنغتون** لم تكن مهمة في تحديد هويات الشعوب طالما أنّ العالم كان منقسما إيديولوجيا و لم تكن الثقافة و لا الدين معيارا للهوية، بل أنّ شعوبا منتمية إلى ثقافات مختلفة تتكتل في كيان إيديولوجي معين، و بالتالي فإنّ لغة الإيديولوجيا في نظره هي التي كانت سائدة.

أما السبب الذي منع الدين من الظهور إلى الواجهة فيعود في رأيه « إلى تقويض دوره بعد الحروب الدينية التي عرفتها القارة الأوروبية، لذلك تم استبداله في هذه المجتمعات بالإيديولوجيا، حيث أنّ الحكومات و الشعوب لم يتم تعريفها بالدين بل من خلال الانتماء إلى إحدى الإيديولوجيات العلمانية، التي كانت مهيمنة على المناظرات السياسية و المتحكمة في الصراعات الدولية و الداخلية »[3].

غير أنّ الإيديولوجية الاشتراكية في نظره « كانت متفوقة من حيث القدرة على جمع الشعوب المختلفة ثقافيا، و ذلك بسبب اتصافها بالقمع، فهي تمتلك قدرة على صناعة أنظمة حكم

---

[1] –صامويل بي هانتنغتون، من نحن؟ المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،46.

[2] – صامويل بي،هانتنغتون،صدام الحضارات،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،42.

[3] – صامويل بي هانتنجتون،من نحن؟المناظرة،الكبرى،حول أمريكا ، ص،461.

و فرضها، أما الأمريكيين فهم يختلفون عن الشيوعيين لأنهم يجتهدون في تقليص التفاوت الاقتصادي » [1].

و يتصور بأنّ هذه الميزة « يمكن ملاحظتها على دول منها: الصين حيث أنّ الإيديولوجية الاشتراكية تم فرضها، و في الإتحاد السوفياتي و يوغوسلافيا جمعت عدة دول بالقوة في كيان واحد، رغم أنّ كل واحدة تتميز بلغتها المميزة، و بإقليمها و ثقافتها الخاصة »[2].

أي أنّ **هانتنغتون** يبرز انطلاقا من هذه المقارنة الفارق الأساسي الموجود بين الحكم الليبرالي، و الاشتراكي، فالأول يقوم على الحرية الفردية من أجل تحقيق الرفاهية و المساواة في نظره. في حين أنّ الحكم الشيوعي يتميز بفرض سلطة قوية تعمل على سحق الفوارق الموجودة بين مكونات المجتمع، و نتيجة لاتصاف النظام الاشتراكي بذلك، تكونت في نظره أنظمة حكم شيوعية تضم مجتمعات من حضارات مختلفة.

أسباب أخرى أدت إلى تحجيم دور الدين حسب **هانتنغتون**،« تمثلت في ظهور الفكر التنويري الذي مجد دور العقل كمصدر للإيمان و الفهم الإنساني. أمّا القرن التاسع عشر فقد كان مرحلة بروز للعلم، و ساد اعتقاد بأنّ الإنسانية سوف تترك الدين و تتجه نحو العلمانية و العقلانية، و أثناء ذلك حاول **فرويد** Freud أن يبرهن على أن الاعتقادات الدينية لا يمكن أن تثبت بالبرهان » [3].

و يفهم من هذا أنّ **هانتنغتون** يميز بين فترتين من التاريخ الأوروبي: الأولى لم يكن الدين فيها مقوّضا، و هنا عرفت القارة الأوروبية حروبا دنية. أما المرحلة الثانية فقد تميزت بتراجع دور الدين بسبب انتشار أفكار فلاسفة التنوير، ثم ، تقدم العلم و انخفاض حدة النزاعات في القارة الأوروبية.

---

[1] –صامويل بي هانتنغتون النظام السياسي لمجتمعات متغيرة، ترجمة:سمية فلو عبود ،دار الساقي بيروت، ط 1، 1993،ص،16.

[2] -Samuel P.Huntington,**American Politcs The Promise Of Disharmony**, Harvard University press, Massachusetts,1981,p,27.

[3] –صامويل بي هانتنجتون.من نحن؟المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،461.

حول هذه المسألة نجد تحليلات متقاربة مع رأي **هانتغتون**، حيث يرى البعض بأنّ « سبب عدم الاهتمام بالدين في مجال السياسة، هو إبعاد العلوم الاجتماعية للدين. و إذا كانت العلاقات الدولية موضوعا مركزيا في هذه العلوم فقد أُهمل الدين في هذا الحقل، كما أنّ العلاقات الدولية كانت متأثرة بالنزعة السلوكية Behaviorism، وبالمنهج الكمي، و بما أنّ الدين لا يمكن قياسه فقد تم إهماله لذلك فإنّ أغلب نظريات العلاقات الدولية خاصة الواقعية قامت على إبعاد الدين. أي أنّ السبب يعود إلى تأثيرات النزعة الوضعية التي هيمنت على العلوم الاجتماعية، إذ أنّ أغلب المفكرين الاجتماعيين و من بينهم **كونت** Comte ، و **دوركايم** Durkheim ، و **ماركس**Marx ، و **فرويد** Freud حسب هذه المقاربة استبعدوا الدين. أثرت كذلك فلسفة الأنوار على الفكر السياسي و كانت نظرية الحداثة* Modernisation theorie هي الأنموذج السائد بين مفكري السياسة، و هذه النظرية هيمنت على تصورات علماء السياسة بين 1950 و 1970 » [1].

و يضيف بأنّه « طالما أنّ المجتمعات تحولت إلى الحداثة فقد سيطرت فكرة العلمانية و قامت الدولة الحديثة على العقلانية و مبادئ العلم، و لم يعد للدين دور في مشروع الدولة لأنّ المؤسسات الديمقراطية أو الإيديولوجيات كالماركسية، و الفاشية هي أساس مشروعية الدولة »[2] .

لكن آراء أخرى تذهب إلى تحليل مخالف حيث تتصور الباحثة **جولي ريفس*** Julie Reves بأنّ البعد الثقافي لم يكن مغيبا تماما، بل كان مسيسا.« ففي ألمانيا تم توحيد الثقافة بالنظام أو الدولة من

***–حداثة وهي تعني عصرنة و تحديث و تجديد ما هو قديم، و هي تستخدم في مجالات مختلفة، و في المجال الفكري و الثقافي التاريخي يشير عذا المصطلح إلى مرحلة من تاريخ أوروبا، تميزت باكتشافات علمية مذهلة، كما أنّ الحداثة بلورت أفكار و اتجاهات دينية، و سياسية جديدة. مصطفى حسيبة،المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان،ط1،2009،ص،179.**

و حسب ألان تورين فإنّ المفهوم الأشد وقعا للحداثة يشير إلى تحطيم العادات و الاعتقادات المسماة بالتقليدية، و أنّ فاعل التحديث ليس فئة أو طبقة اجتماعية بل هو العقل، و هكذا أصبحت العقلانية آلية تلقائية و ضرورية للتحديث.ألان تورين، نقد الحداثة، ترجمة: أنور مغيث،المجلس الأعلى للثقافة، مصر،1997،ص ص 30– 31 .

[1]-Jonathan Fox and, shamuel Sandle, **Bringing religion into international relations**, Palgrave macmillan,Newyork,first published,2004,p,10.

[2] - Ipid ,p,11.

طرف الحكم النازي الذي حاول أن يحدد ثقافة الألمانيين. في اليابان مفهوم الثقافة و الحضارة تم تحديده في إطار معارضة الحضارة الغربية، كما تحددت الهوية الآسيوية بشكل أكبر بعد الحرب اليابانية الروسية سنة1905. فيما يتعلق بالإتحاد السوفيتي تم توظيف الثقافة من أجل التحكم في الشعوب و تجنيدها لمصلحة النظام » [1] .

و على المستوى التنظيري في تلك الفترة تضيف الباحثة بأنّ« **هانز مورغانتو** كان متأثرا بالفهم الأنثروبولوجي للثقافة، حيث أنّه تحدث عن الإمبريالية الثقافية التي كانت تعني بالنسبة إليه استبدال ثقافة بأخرى، كما أنّه نبه إلى أنّ بعض المجتمعات على وشك أن تفقد ثقافتها » [2].

معطيات كهذه تظهر دور العامل الثقافي في السياسة قبل نهاية الحرب الباردة، لكن وفقا لوجهة نطر **هانتنغتون** –كما لاحظنا – فإنّ الثقافة قبل الحرب الباردة لم توظف بوصفها متغيرا لفهم الصراعات السياسية .

ينتقل بنا **هانتنغتون** إلى مرحلة أخرى من مراحل الحضارة الغربية و هي الأربعينيات، حيث يتصور بأنّه « منذ بداية الحرب العالمية الثانية تحديدا بدأت الموجة الثانية في تاريخ الديمقراطية الغربية، لأنّ دول عديدة تحولت إلى الديمقراطية منها ايطاليا و ألمانيا و اليابان و في بداية الخمسينيات كوريا، و تركيا، و دول أخرى عبر العالم »[3].

خلال هذه الفترة لقيت الثقافة في نظره، « اهتماما كبيرا، فقد تم الاعتماد عليها من أجل فهم المجتمعات، و معرفة الفوارق الموجودة بينها، كما تم توظيفها لتفسير التطورات السياسية و الاقتصادية

****– هذه الباحثة درست العلاقات الدولية في جامعة كنت الريطانية، و قد قامت بدراسة بحثت من خلالها تطور مفهوم الثقافة من القرن العشرين إلى غاية ظهورفكرة صدام الحضارات.**

[1]- Julie Reeves,**culture and international relations**, Routledge, United kingdoms,first published,2004,pp,88-89

[2]- Ipid,p,100.

[3]- Samuel p.Huntington,**The Third Wave DemocratizationIn The Late Twentieth Century**,op.cit,p,18.

و من أبرز الباحثين في تلك المرحلة **مرغريت ميد**Margaret Mead، و **روث بنديكت** Ruth Benedict»[1].

أي أنّ **هانتنغتون** ينتقل إلى الفترة التي وُظفت فيها الثقافة لأهداف اجتماعيه عسكرية. و هنا نوضح بأنّ الباحثة **بنديكت** التي ذكرها« كانت واحدة من مجموعة الأنثروبولوجيين الذين تم تجنيدهم من أجل فهم تراثيات الدول المعادية لأمريكا، و منها اليابان، هذه الباحثة أصدرت كتاب "الأقحوانة و السيف"، و فيه اهتمت بدراسة ثنائية الميل إلى السلم و العنف عند اليابانيين »[2].

و ترى الباحثة **جولي رفيس** بأنّ « الفهم الأنثروبولوجي للثقافة أثر على تصورات المفكرين للصراع الإيديولوجي، فعلى سبيل المثال قالت **مرغريت ميد:**" نحن ثقافتنا". و هذا يدل على أنّ المعنى الأنثروبولوجي للثقافة كان له علاقة بتحديد الهوية قبل نهاية الحرب الباردة. بل ظهر نوع من الصدام الثقافي يتعلق بسعي كل قطب إلى اظهار تفوق قيمه على الآخر. حاول كذلك الأنثربولوجيون، و منهم العالمة المذكورة إظهار الخصائص المميزة للنظام الأمريكي، كما أنّ **جورج كنان** George Kennan انتبه إلى خصائص الروس و أظهر الاختلاف بين الشعب الروسي و نظامه في تلغرافه المطول للرئيس **ترومان** Trumanسنة 1946 »[3].

هذه المعطيات كما لاحظنا تؤكد أنّ البعد الثقافي لم يكن مستبعدا تماما في تحديد هوية القطبين من و جهة نظر **جولى رفيس**، في حين أنّ **هانتنغتون** اعتبر الصراع إيديولوجيا بشكل خالص.

أما بعد فترة الأربعينيات فقد حدثت حسب **هانتنغتون** تطورات جديدة، « حيث شهد العالم تغيرات مهمة، ففي منتصف السبعينيات بدأت المرحلة الثالثة في تطور الديموقراطية، إذ

[1] – لورانس.إ–هاريزون.صامويل بي هانتنجتون،الثقافات و قيم التقدم، ترجمة: شوقي جلال،المركز القومي للترجمة القاهرة،ط2،2009،ص،20.

[2] – كليفورد غيرتز،تأويل الثقافات،ترجمة: محمد بدوي،المنظمة العربية للترجمة،بيروت ،ط1،2009،ص،36.

[3] -Julie Reeves,**culture and international relations_,**Op.Cit,p,97.

بعد نهاية الديكتاتورية في البرتغال سنة1974 ظهرت حوالي ثلاثين أنظمة ديموقراطية في ما يقارب ثلاثين بلدا عبر العالم منها: أوروبا، و آسيا، و أمريكا اللاتنية » [1].

لكنّ الاهتمام بالثقافة في هذه المرحلة تراجع في نظره« خاصة في فترة الستينيات و السبعينيات، أما في الثمانينيات فقد تزايد الاهتمام بها مرة أخرى. و يتضح ذلك من خلال أعمال **لورانس هاريزون** الذي كان موظفا سابقا في برنامج الولايات المتحدة للمساعدة **إيد**Aid، و صاحب كتاب: "التخلف حالة عقلية، حالة أمريكا اللاتينية". بعدها عاد الباحثون بشكل بارز إلى الثقافة لتفسير عدة قضايا منها الإستراتيجية العسكرية، سلوك الجماعات الإثنية، الانحياز و التطاحنات بين البلدان » [2].

و ينبغي أن نوضح هنا بأنّ الفترة فعلا تميزت بظهور توجه يهتم بالبعد الثقافي في السياسة، و هنا ظهر تيار من المفكرين الذين اهتموا بدور الثقافة في فهم الظاهرة السياسية، و من بين رواده **مارتن وايغهت** Martin Wight « الذي طرح "المسألة الثقافية" Cultural question، لأنّه تصور بأنّ كل نظام سياسي يقوم على درجة من الوحدة الثقافية بين أفراده، و في تناوله لبعض الأنظمة كنماذج و هي النظام اليوناني، و الغربي، ثم الصيني، و ضح بأنّ كل واحد منها ظهر في أحضان ثقافة خاصة »[3].

و ما نستخلصه من معالجتنا لهذا المبحث هو أنّ بعض الباحثين يعتقدون بأنّ دور الثقافة في تحديد هوية الدول كان "مسيسا" خلال فترة ما قبل الحرب الباردة، كما أنّه لم يكن مغيبا بشكل كامل. أما **هانتنغتون** فقد اعتبر هذه الفترة مرحلة صراع إيديولوجي بحت، حيث كانت الدول في نظره مؤسسة على

---

[1] - Samuel p.Huntington,**The Third Wave DemocratizationIn The Late Twentieth Century** ، Op.Cit,p,21.

[2] – لورانس.إ–هاريزون،صامويل بي هانتنجتون، الثقافات و قيم التقدم ، ص،21.

[3] -Martin Wight،**systems of states**, first published 1977,Leicester university press. Distributed in north America by Humanities press p,33

عقائد إيديولوجيه كما أنّه لم يكن هناك اهتمام بالثقافة من حيث هي متغير لفهم الصراعات السياسية في تلك الفترة، و إنمّا تخلل هذه المرحلة فترات اهتمام بالثقافة من أجل فهم عقلية المجتمعات، خاصة بعد فترة الأربعينيات.

المبحث الثاني : أزمة الهويات الثقافية و الدينية بعد نهاية الحرب الباردة من منظور هانتنغتون

المطلب الأول: انهيار الهوية الإيديولوجية.

لاحظنا من خلال تناولنا لفترة الحرب الباردة بأنّ الصراعات السياسية من و جهة نظر **هانتنغتون** كانت بالدرجة الأولى ناتجة عن تعارض الإيديولوجيات، و لم يكن للبعد الثقافي في نظره دور مهم فيها، أمّا بعد سقوط جدار برلين فإنّ العالم تغير بشكل جذري حسب اعتقاده لأنّ الصراعات اتخذت شكلا آخر.

و لتأكيد ذلك يشير إلى بعض الحوادث: « فبمجرد انهيار الهوية اليوغوسلافية عادت الهويات الدينية، و عندما بدأ القتال في هذا الكيان الاشتراكي تقوّت الهويات الدينية، و أصبحت كل جماعة كانت تابعة إليه تعرّف نفسها بالمجتمع الثقافي الذي تنتمي إليه، و تحدد نفسها من منطلقات دينية »[1].

كما يعتقد بأنّه يوجد درس يمكن استخلاصه بعد انهيار الاشتراكية، لقد أثبتت التجارب التاريخية حسب رأيه وما تعرضت إليه الاشتراكية هشاشة الروابط السياسية:« و كما توضح التجربة السوفياتية فإنّ

[1] - صامويل. بي هانتنغتون،صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،435.

الإيديولوجية هي بمثابة غراء ضعيف لا يؤدى إلى تماسك الشعب الذي يفتقر إلى مصادر عنصرية و عرقية و ثقافية للمجتمع » [1].

للبرهنة على إخفاقات الإيديولوجيا الاشتراكية يستدل بوقائع منها :« الشعوب التي تم توحيدها على أساس هذه الإيديولوجيا تصدعت لأنها تنتمي إلى ثقافات وحضارات مختلفة، لكن بعد تراجع جاذبية الشيوعية ظهرت دول عرّفت نفسها بالجنسية الإثنية و الثقافية. و إذا كانت هناك استثناءات كما هو الشأن بالنسبة للصين التي لم تظهر فيها انقسامات مشابهة للتي حدثت في الكيانات الاشتراكية رغم تراجع الشيوعية، فإنّ **هانتنجتون** يرجع ذلك إلى الثقافة، حيث أنّ وجود حضارة **هان** Han حفّز على ظهور قومية صينية جديدة منعت الانقسام » [2].

و نلاحظ هنا بأنّ **هانتنغتون** يشرع في توظيف العامل الثقافي لفهم المتغيرات الجديدة ، فإذا كانت الصين تمثل استثناءا بسبب عدم تفككها فهي في نظره تحولت إلى كيان ثقافي، و هدفه من تناول حالة الصين هو إظهار كل أجزاء العالم على أنّها قد تحولت إلى كيانات ثقافية.

يرى كذلك بأنّ الفشل الذي لحق بالاشتراكية أفرز فراغا دفع إلى البحث عن مصدر آخر للهوية، و حول ذلك يقول:« مادامت لا توجد آلهة علمانية تعوض الفراغ سيتوجه الناس بكل عواطفهم و بكل ارتياح نحو الشيء الحقيقي، الدين يتسلم الزمام من الإيديولوجية ، و القومية الدينية تحل محل القومية العلمانية » [3].

و ما نسجله هنا، هو أنّ **هانتنغتون** بالرغم من أنّه لم يعلن مثل **فوكوياما** عن الانتصار الساحق للديموقراطية الليبيرالية، إلّا أنّه يقدم قراءة إيديولوجية من منظور ليبيرالي لحالة العالم

[1] –صامويل.بي هانتنجتون،من نحن؟،المناظرة الكبرى حول أمريك ،ص،43.

[2] -صامويل. بي هانتنغتون.صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،.ص.439. -

[3] – المصدرنفسه،ص ص، 165–166.

بعد الحرب الباردة، فهو ينظر إلى تاريخ الاشتراكية بنوع من العدمية، كما أنّ تجاربها كارثة. و بالتالي فإنّ إنجازات هذه الإيديولوجية على الساحة الاقتصادية و من بينها تحقيق التوازن الاقتصادي داخل الدول، و حماية الثروات الوطنية من هذا المنظور لا قيمة لها.

هذه القراءة العدمية لإنجازات الاشتراكية تتجلى كذلك من خلال احتقار **هانتنغتون** للثورات التحررية التي أيدها القطب الاشتراكي، حيث نجده يتصور بأنّ « المستعمرات التي تحررت من القوة الاستعمارية قد فشلت في تحقيق أي إنجاز بل ظهرت بها حروب داخلية »[1].

و بالتالي فإنّ **هانتنغتون** بحكم كونه ليبراليا يدافع عن الليبرالية و يحمّل الاشتراكية كل الكوارث التي عرفها العالم المعاصر. في حين أنّ الليبيرالية بدورها تسببت في الكثير من أزمات العالم، و من منظور المدافعين عن الشيوعية، فإنّ « تهاوي الاشتراكية ليس دليلا على صلاحية قيم خصمها، بل أنّ انهيار أحد الطرفين كشف مواطن العطب في خصمه »[2].

و نضيف بأنّه ينظر إلى هذه المرحلة على أساس أنّها انتقال من عصر الإيديولوجيات إلى عهد التكتلات الثقافية، و السبب في نظره هو « أنّ الشعوب بعد اكتشافها لفشل التجارب الإيديولوجية، اتجهت إلى البحث عن مصادر أخرى للهوية، لذلك طُرحت مسألة الهوية بحدة عبر أنحاء العالم، و السؤال التقليدي: إلى أي جانب أنت؟ حل محله سؤا آخر: من أنت؟ و على كل دولة أن تجد له إجابة، هذه الإجابة هي هويتها الثقافية »[3].

---

[1] – صامويل. بي هانتنغتون.صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،54.

[2] – إريك هوبزباوم،عصر التطرفات،القرن العشرون الوجيز،1914–1991،ترجمة:فايز الصياغ،المنظمة العربية ، للترجمة،بيروت، ط1،2001،ص،49.

[3] – صامويل. بي هانتنغتون.صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،203.

إذن و فقا لتحليلات **هانتنغتون** أصبح العالم في هذه المرحلة يعاني من أزمة هوية، لكنّها اتخذت عدة مظاهر، ففي بعض المناطق ظهرت حركات طائفية، و في دول أخرى أصبح هناك اهتمام بمراجعة المكون الثقافي.

و من بين مناطق العالم التي عرفت أزمات طائفية تطالب بالاستقلال و الحكم الذاتي:« اسكتلندا، كاتالونيا، الباسك، الأكراد، كوسوفو، البربر، الشيشان، الفلسطينيين، أهل التبت، مسيحيو السودان، التاميل، و شرق تيمور » [1].

كما يعتقد بأنّ« فرحة التوافق التي سادت بعد نهاية الحرب الباردة، سرعان ما تبددت بسبب تزايد الصراعات العرقية و حوادث التطهير العرقي، و انهيار القانون و النظام، و ظهور أحلاف جديدة، ثم عودة الصراع بين الدول، و تنامي الأصولية الدينية » [2].

و ما نستخلصه هو أنّه إذا كان الكثير من الباحثين قد احتاروا في ما آلت إليه الأجواء السياسية من تطورات بعد الحرب الباردة، فإنّ **هانتنغتون** لا يعتبر انهيار الاشتراكية نهاية لكل الأزمات، بل أنّه على العكس من ذلك في نظره ظهرت نزاعات في الكثير من أماكن العالم، مرتبطة بأبعاد ثقافية، أي أنّه يصور العالم في حالة توتر، لأنّ الشعوب في نظره أصبحت في أزمة هوية.

و ينبغي أن نوضح بأنّ هذا الخطاب كان متداولا بين الكثير من النخب في مختلف الدوائر السياسية، و الإعلامية داخل الولايات المتحدة الأمريكية، و في الغرب بصفة عامة. حيث أنّ الصحافي العسكري **روبرت كابلان** Robert P. Kaplan « أيد نظرة **هانتنغتون** في اعتقاده بأنّ العالم انتقل إلى عهد جديد من الصراعات الثقافية، و أشار إلى أنّ الحدود التي سوف تعرف أشد المواجهات هي تلك

[1] – صامويل–بي–هانتنجتون.من نحن؟،المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،45.

[2] - Samuel P.Huntington,**The Clash Of Civilizations And The Remaking Of World Order**,Op.cit, p,32.

المتعلقة بالثقافة و القبيلة » [1]. تصور كذلك « بأنّ التغيرات المستقبلية بعد انهيار الإتحاد السوفيتي ستكون أشد، و أنّ الصراع العربي الإسرائيلي سيكون أكثر حدة »[2].

نفس النظرة نجدها لدى **روبرت كاغن** Robert Kagan الذي تصور بأنّه « بعد الحرب الباردة كان يُتوقع بأن يظهر إلى الوجود عالم ليبرالي بدون حروب مثلما تصور **كانت**، على أساس أنّ الدول الليبرالية لا تحارب بعضها» [3]. لكن ما حدث هو « عودة النزاعات العرقية إلى منطقة البلقان، و جمهوريات الاتحاد السوفيتي المنهارة. أما على الصعيد الخارجي فقد عاد التنافس و التحالف من جديد بين القوى العظمى في العالم »[4].

إلا أنّ الكثير من المفكرين يسيرون في اتجاه مخالف، فلو عدنا إلى **زكي العايدي*** Zaki Laidi سنجده « لا ينظر إلى المتغيرات الجديدة على أساس أنّها أزمة هويات، بل أنّه ينطلق من العولمة بوصفها متغيرا مهما لفهم الزلازل التي عرفها العالم بعد سقوط جدار برلين، كما يجب الاستناد إليها لفهم الإشكاليات الجديدة، التي أفرزتها و من بينها تحطيم الأنظمة التقليدية، و منها الدولة القومية. أما الإيديولوجيات الغربية سواء الاشتراكية أو الرأسمالية فقد أصبحت منهكة، ما أدى إلى اختلال العالم و غياب مشروع مستقبلي. و كل المرحلة تحصيل حاصل لأجواء الحرب الباردة الجيوبوليتيكية و الثقافية، و نتائج للعولمة التي بدأ مشروعها منذ زمن طويل »[5].

نظرة كهذه ليست اختزالية؛ لأنّها تفسر المرحلة انطلاقا من عدة عوامل، في حين أنّ **هانتنغتون** لا يهتم بالمتغيرات السياسية، و لا بالتحولات الاقتصادية، كل ما في الأمر هو أنّ

---

[1] - Robert P Kaplan,**The Coming Anarchy**,Random House,New York,2000,p,26.
[2] - Ipid,p,30.
[3] - Robert Kagan,**The Return Of History and The End Of Dreams**,Alfred- Knopf,New York,2008,p,6.
[4] - Ipid,p,12.

* – أنظر كتاب: Zaki Laidi,**un monde Privé de Sens**,Paris, Hachette- Pluriel, 2001 .

[5]-Jean-jaques Roche**,théories des relations internationales**, Montchrestian,Paris, 2001,pp,186-187.

الأبعاد الايديولوجية التي كانت الشعوب على أساسها تعرّف ذاتها، و تحدد موقعها في العالم تلاشت في نظره؛ و لكي لا تبقى تائهة اتجهت إلى البحث عن هويتها الثقافية. لكن ما مفهوم الهوية من وجهة نظر **هانتنغتون؟**

المطلب الثاني: الهوية الثقافية في أطروحة هانتنغتون

نوضح أولا بأنّ النظريات السياسية تقوم على نظرة معينة للطبيعة البشرية، فقد كان **هوبز** Hobbes على سبيل المثال يسلّم بأنّ البشر بطبعهم عدوانيين، و فيما يتعلق ب **هانتنغتون** فإنّ اطلاعنا على موقفه من مسألة الهوية سيكون مدخلا لفهم تصوره للطبيعة البشرية، الذي على أساسه يبني موقفه من الصراعات السياسية.

لكن يجب أن نشير أولا إلى أنّه بعد أن كانت الشخصية موضوعا خاصا بعلماء النفس، أصبحت من اهتمام علماء الأنثروبولوجيا الذين تناولوها من حيث علاقتها بالثقافة. « ففي أمريكا ازدهرت مثل هذه الأبحاث بين 1920 و1950، و نتيجة الاهتمام بالثقافة و الشخصية حدث التقاء بين الأنثروبولوجيا و التحليل النفسي، وكان عالم النفس **إريك إيريكسون** Erik Erikson من خلال أعماله المتعلقة بنمو الأنا عند الأطفال قد ساهم في استبدال الشخصية بمصطلح الهوية، Identity الذي أصبح هو المتداول »[1].

نوضح كذلك بأنّ الكثير من الباحثين يذكرون بأنّ مصطلح هوية « تم توظيفه في المقاربات الاجتماعية في الولايات المتحدة منذ 1960، خاصة بعد الأعمال الشهيرة للعالم

[1] - Toon Van Meijel,**Culture And Identity In Anthropology international journal for dialogical science**, Fal,l 2008.Vol -3,USA,(pp165-190)), p,169.

إريكسون »[1]. مع العلم بأنّ هذا الأخير يعد من العلماء الذين سيعتمد عليهم **هانتنغتون** في بناء نظريته حول الهوية بالإضافة إلى **فميك فولكان** Volkan Vamik، و **فرويد**، مثلما سنلاحظ.

توالت التطورات التي لحقت بمفهوم الهوية ليصبح شديد الأهمية في ميدان السياسة، و هذا ما تشير إليه بعض قواميس المصطلحات السياسية. كما ورد بأنّ« مفهوم هوية Identity من حيث السياق السياسي يشير إلى التعرف على الذات، و الهوية أمر يخص الكائنات العاقلة، و كل ما كان أفراده كائنات واعية له هوية، مثلما هو الشأن بالنسبة للمجتمعات، و الدول، و النوادي و المؤسسات. و الهوية لا تعني قدرة الأفراد على تمييز أنفسهم عن المؤسسات الأخرى، بل تتضمن القدرة على تحديد الخصوصية المميزة بالاعتماد على عوامل منها، الكلمات، و الرموز، حيث يدرك الأفراد ذاتهم، ويعون بأنّهم ينتسبون إلى هذه الخصوصية المميزة »[2].

اهتم **هانتنغتون** كعالم سياسة بموضوع الهوية، لكنّها بالنسبة إليه تشير إلى ما يميز جماعة بشرية:« فالناس يعرفون أنفسهم من خلال النسب و الدين و اللغة و التاريخ و القيم و العادات و المؤسسات الاجتماعية، و يتطابقون مع الجماعات الثقافية: قبائل، جماعات أثنية، مجتمعات دينية، أمم. و مع الحضارات على المستوى الأكبر، كما يستخدم الناس السياسة لتحديد هويتهم إلى جانب دفع مصالحهم و تنميتها »[3].

---

[1] - Rogers Brubaker,"**Au de là de l identité"**/Persee/,actes de la recherche en sciences sociales ,2001/3-139,France, (pp66- 85)p,67

[2] -Roger Structon,**The Palgrave Macmillan Dictionary Of Political Thought**, Third edition,Palgrave Macmillan,NewYork,2007,p,316.

[3] – **صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،39**.

و معنى ذلك هو أنّ الهوية في نظره ذات مستوين: الأول ضيق كما هو الشأن بالنسبة للجماعات الإثنية، أمّا مستواها الأكبر فيتمثل في الحضارات. لكنّنا في هذه الجزئية سوف نحاول التركيز على صراع الهويات الضيقة أو العرقية من و جهة نظره.

غير أنّ الهوية هي المدخل الذي يعتمد عليه لفهم الصراعات، فمستقبل العالم في نظره يتحكم فيه نوعان من الصراعات:« في هذا العالم الجديد تكون السياسة المحلية هي السياسة العرقية، و السياسة الكونية هي سياسة الحضارات »[1].

و ما دام ينظر للهوية انطلاقا من مستويين، فهو يميز بين نوعين من الصراعات: « صراعات المستوى الضيق محلية، و تقع بين الجماعات العرقية و هي "Micro-level،" و أخرى أوسع تقع بين دول منتمية إلى عدة حضارات" Macro-level " »[2]. الأولى سوف نتناولها في هذه الجزئية، و الثانية سوف نعالجها في الفصل الثاني من البحث.

انطلاقا مما أتينا على ذكره فإنّ ما يعتبره **هانتنغتون** صراعات محلية هو ما يسمى بسياسات الهوية* و هو مصطلح ظهر أواخر القرن العشرين يشير إلى طائفة من الصراعات السياسية، من أشكالها صراع المهاجرين من أجل الاندماج و صراع الأقليات العرقية، الثقافية، و الدينية.

---

[1] – المصدر نفسه،ص،46.

[2]-Samuel p.Huntington ,"**the clash of civilizations ?" Foreign Affairs**,Op.Cit,p,29.

*– سياسات الهوية **Identity politics** مصطلح ظهر أواخر القرن تاعشرين ليصف طائفة كبيرة من الصراعات السياسية، و هي من أهم مشكلات الحاضر،و أشدها إلحاحا،منها صراع المهاجرين من أجل الاندماج، صراع الأقليات اللغوية و العرقية، و الدينية داخل الدولة الواحدة، و كذلك صراع الثقافات غير الأوروبية ضد الثقافة الإمبريالية الغربية. تيرنس بول،موسوعة كمبريدج للتاريخ الفكر السياسي في القرن العشرين،المجلد الثاني،ترجمة:منى مقلد،مراجعة و تحرير طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة، القاهرة،ط1، 2010،ص،265.

و قد كان اهتمام **هانتغتون** بموضوع الهوية حسب تقديرنا مركزا على جوانب أساسية هي:1- صعوبة ضبط مفهوم الهوية.

2- أهمية الهوية.

3- التسليم بالطبيعة العدوانية للبشر.

4- تحديد مصادر الهوية.

1- صعوبة ضبط مفهوم الهوية:

ينطلق **هانتنغتون** من الإقرار بحقيقة أنّ مفهوم الهوية لا يزال غامضا، و السند الذي يعتمد عليه هو أبحاث أحد علماء الهوية البارزين في القرن العشرين و هو « **إريك إريكسون**Erik.Erikson الذي لاحظ بأنّ هذا المفهوم كثير الانتشار لكنّه غامض. إلا أنّه على الرغم من اختلاف التعريفات فإنّ ما هو مركزي هو اعتبار الوعي أساس الهوية. كما أنّها تعني شعور الفرد بامتلاكه صفات مميزة تجعله مختلفا عن الآخرين، و إذا تعلق الأمر بجماعة من الناس فهويتها تقوم على شعورها بالصفات التي تميزها عن جماعة أخرى » [1].

هنا نسجل إقرار **هانتنغتون** بأنّ موضوع الهوية يثير إشكالية معقدة. و بالفعل فقد وجد المفكرون صعوبة في ضبط مفهومها، حيث أنّ الباحثة **هويدا علي** تشير إلى« أنّ الباحث عندما يتعامل مع مفهوم الهوية فهو في الحقيقة يتعامل مع مفهوم قلق على المستوى النظري،

[1]– صامويل–بي–هانتنجتون.من نحن؟،المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،55.

فهو يثير أسئلة أكثر مما يقدم إجابات، كما وصفته بأنّه من أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية شائكة بسبب تعدد المشكلات التي يثيرها » [1].

و لعل سبب اختلاف المفكرين هو تعدد الجوانب التي ينظرون من خلالها إلى الهوية، و كذلك ربطها بأهداف مسطرة يرمون إليها من أجل بناء نظرة عن الإنسان تترتب عنها اعتبارات سياسية. و هم على العموم يختلفون في حكمهم على الهوية من حيث الثبات، و التغير.

لكن بعض العلماء ينظرون إلى الهوية على أساس أنّها ثابتة. و هنا يذكر الأستاذ **جيرار ديسوا**« بأنّ الهوية عندما تتدخل في الجدل، سوف يتسم النقاش حولها بالتوتر بين مفهومين أحدهما يعتبرها أساسية، جوهرية، واحدة لا تتغير. أما الثاني فيؤمن بإعادة تركيب الهوية عبر التاريخ »[2].

و كل هذه الإشكاليات التي يثيرها موضوع الهوية ستكون حاضرة في أطروحة **هانتنغتون،** لذلك سوف نهتم لاحقا بعرض موقفه من مسألة ثبات و تغير الهوية. كما أنّنا سنحاول أن نكتشف مدى موضوعيته في تحديده عناصر أو مقومات الهوية التي تعتبر أدوات ضم و استبعاد الأشخاص .

2- أهمية الهوية: إنّ معرفة الهوية حسب **هانتنغتون** أمر مصيري و ضروري حيث يقول:« قيل إنّ مفهوم الهوية أمر لا يمكن الاستغناء عنه »[3].

[1]– خليل نوري مسيهر العاني،الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية،مركز البحوث و الدراسات الإسلامية،بغداد، ط1،2009،ص،41.

[2]– جيرار ديسوا ،دراسة في العلاقات الدولية، الجزء الأول، ترجمة: قاسم المقداد، دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع، دمشق،2014،ص،26.

[3]–صامويل–بي–هانتنجتون.من نحن؟،المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،55.

و السبب الذي يجعل الهوية مسألة مهمة في نظره، هو أنّها« أساس السلوك، على سبيل المثال إذا اعتبر الشخص نفسه عالما فسوف يتصرف على هذا النحو »[1].

على مستوى الجماعات و الدول الهوية كذلك مهمة، و مبرره هو أنّ« الناس لا يعيشون بالعقل فقط، بل أنّ معرفتهم لأنفسهم شرط أساسي في تحديدهم لمصالحهم الخاصة، كما أنّ الهويات تتطور و تتعرض للانحلال و ذلك بسبب التغيرات الاجتماعية؛ ولذلك من الضروري أن يعيد الناس النظر في هوياتهم »[2].

و تعتبر الهوية أمر مهم . ـ حسب **هانتنغتون** ـ بالنسبة للدول؛ لأنّها« هي التي تحدد موضع الدولة في السياسة الدولية، و هي تحدد كذلك أعداء الدولة، و أصدقائها »[3].

و المقصود هو أنّ موضوع الهوية أصبح مصيريا على مستوى الجماعات و الدول، فيجب على كل دولة أن تحدد من تكون. و بعد أن كانت الدول تتساءل عن الطرف الإيديولوجي الذي تتحالف معه في فترة الحرب الباردة، أصبحت تفكر في هويتها و تسعى إلى تحديد نفسها ثقافيا، و هذا أمر مصيري في نظر **هانتنغتون**؛ لأنّ الصداقات و العداوات لم تعد تحدد انطلاقا من البعد الإيديولوجي، بل على أساس ثقافي.

3- فكرة الصراع في الهوية:

ينطلق أولا **هانتنغتون** من المستوى الفردي للهوية ؛ لكي يثبت بأنّ هوية الطفل لتتشكل يجب أن يمر بصراعات مع الآخرين في فترة المراهقة.« وقد أثبت علم النفس حسب اعتقاده الحاجة إلى العدو في

[1] – المصدر نفسه ،ص 56.

[2] – صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،161.

[3] –المصدر نفسه،ص ،203.

النصف الأول من المراهقة، وبما أنّ مصدر العداوة هو النفس البشرية، فإنّ الشعور بالعداوة في نظره يوفر نوعا من الراحة النفسية » [1] .

هذا و تثبت الدراسات النفسية في نظره حاجة البشر إلى أعداء،« و من بين العلماء الذين أكدوا وجود ميول عدوانية في الطبيعة الإنسانية، **فولكان** Volkan Vamik الذي وضح بأن الفرد بحاجة إلى الأعداء مثلما هو بحاجة إلى الحلفاء، فهو في بداية المراهقة يعتبر الآخرين أعداء له »[2].

و هنا ينبغي أن نشير إلى أنّ **فولكان**،« بدوره يميل إلى أراء **موراي إيدلمان** Muray Edelman ، الذي في أحد اجتماعات المنظمة العالمية للسيكولوجية السياسية بأكسفورد قدم عملا بعنوان "الحاجة إلى العدوانية". ركز فيه على دور القوة في تكوين التقسيمات بين المجموعات، كما أكد أنّ التصنيف أحد عوامل القوة و هو يقوم على خلق أصناف من العدو و الأحلاف، حيث تنسب لهذا الأخير جميع الصفات التي تعتبرها الثقافة جيدة كالشرف، و الأمانة و النزاهة. أما صفة العدوانية فهي وعاء لعكس ذلك. و ملاحظات هذا العالم حول السلوك النفسي و السياسي جعلته يبني اقتراحات منها الربط بين العلوم السياسية و النفسية. و بما أنّ العلوم السياسية في نظر **فولكان** أثبتت الاحتياج السياسي إلى العدو، فإنّ المحللين النفسانيين يريدون اثبات الحاجة إلى العدو و التحالفات خلال مرحلة الطفولة » [3].

و بالتالي فإنّ **هانتنغتون** يريد أن يثبت الميل العدواني الذي تتصف به الطبيعة البشرية انطلاقا من البسيكولوجيا السياسية المدعومة بدراسات علماء نفسانيين، و بما أنّه يستدل بآراء **فولكان** فإنّ ذلك يكشف عن المصادر الفرويدية التي يستند إليها خاصة و أن هذين المحللين النفسانيين اللذين بنى عليهما موقفه من الهوية و هما **إريكسون** و **فولكان** معروفين بتأثرهما بمنهج **فرويد** .

---

[1] – صامويل .بي هانتنغتون،من نحن؟المناظرة الكبرى حول الهوية الأمريكية ، ص،60.

[2] –المصدر نفسه ،ص،59.

[3] -Vamik,Volkan,"**The Need to Have Enemies and Allies**,Internationalsociety of poltical psychology,USA, (pp219-247) Vol, 6.N°2,1985,p,224.

دليل آخر يثبت خاصية العدوانية لدى البشر في نظره ألا و هو أنّ« الناس جميعا لهم رغبة في احترام الذات وهذا الأمر في نظره تحدث عنه عدة فلاسفة من بينهم **أفلاطون** الذي أطلق على هذا الميل Thymos. و هذا الميل إلى الاعتزاز بالنفس يجعل الأفراد يعتقدون بأن جماعتهم أفضل. حيث أنّ أفراد كل جماعة يريدون أن يكونوا أفضل من الآخرين حتى و إن كانوا في ظروف سيئة. على سبيل المثال ما يهم الأمريكيين هو أن يكونوا أفضل من اليابانيين حتى وإن كانوا في ظروف ليست جيدة، كما لا يرضون بأن تكون أحوالهم جيدة بينما اليابانيون أفضل منهم »[1].

ليس هذا فحسب بل إنّ « الكره كامن في النفس البشرية حسب **هانتنغتون**، ولتعريف النفس و دفعها يحتاج الناس إلى أعداء، منافسين في العمل، خصوما في الإنجاز، و السياسة و من الطبيعي ألا يثق الناس في المختلفين عنهم، كما أنّه عندما يتم و ضع حلول لصراع معين سوف تنشأ صراعات جديدة و عداوات جديدة »[2].

أي أنّ **هانتنغتون** أراد أن يؤكد تاريخية نظرية ميل البشر إلى الإعتزاز بالذات في الفكر الفلسفي، و بعدها حاول أن يبرهن على واقعية هذه النظرة، على أساس أنّ أفراد كل جماعة يطمحون إلى أن يكونوا هم الأفضل. و هو يلغي كل أنواع الصراع الإيجابية بين البشر و من بينها التنافس، و الميل إلى إثبات الذات إنطلاقا من دافع الإستقلالية. إذن فنظرته كما نلاحظ أقرب إلى أفكار الواقعيين، الذين يعتقدون بأنّ الدول مثل البشر تمتلك رغبة فطرية في السيطرة على الآخرين و هذا ما يتسبب في الحروب.

و من أدلته كذلك« أنّ الحاجة إلى الأعداء و النزوع إلى الحرب و العدوان حقائق أثبتتها نظريات عديدة ، بل أنّ الحرب كامنة بشكل حتمي في علم النفس الإنساني و الوضع الإنساني. حيث أنّ **سيجموند فرويد** اهتم بالحرب و رد على مراسلة للعالم **أنشتاين** أخبره من

[1] – صامويل–بي–هانتنجتون،من نحن؟،المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،60.

[2] – صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،2011.

خلالها بأن محاولات إنهاء الحروب كان مصيرها الفشل، و في رده أقر **فرويد** بأنّ الناس مثل الحيوانات يميلون إلى حل المشاكل بالقوة، و الذي يمكنه وضع حد لذلك هو دولة عالمية بيدها كل القوة »[1].

إذن نسجل بأنّ **هانتنغتون** يستدل بنظرية **فرويد** الذي نذكر ببعض أقواله:« و لا يمكن أن تنتهي الحروب طالما أنّ شعوب العالم تعيش في ظروف متباينة أشد التباين، و تنفر من بعضها أشد النفور، ومن ثم ستظل الحروب مشتعلة و تشتعل أبدا » .[2]

و هنا نكتشف التلاقي بين النظريات السياسة و النفسية في العصر الحديث، خاصة و أنّ الملاحظين يوضحون بأنّ **فرويد** لم يكن مفكرا سياسيا محضا،« إلاّ أنّه هو و أتباعه بشكل غير مباشر أسهموا في النظرية السياسية الحديثة، و قد كان **فرويد** من حيث توجهه السياسي ليبيراليا محافظا »[3]. و انطلاقا من هذه المعطيات يتضح التلاقي بين العالمين في نظرتهما إلى الطبيعة البشرية.

و من أهم ما نستخلصه أنّ فكرة حاجة البشر إلى أعداء أمر محوري في أطروحة **هانتنغتون** حول الهوية، لذلك حاول أن يوظف الكثير من الأدلة، و النظريات النفسية من أهمها نظرية **فرويد**، و كلّها تؤكد، وجهة نظره حول النفس البشرية، كما أنّه انتقى الباحثين الذين يعتبرون البشر بطبعهم ميالين للحرب و الصراع.

لكن ليست كل الدراسات النفسية تنطلق من هذه المصادرة. فالطفل في نظر **كارل يونغ** Carl G.Jung في أول الأمر« يكون مجردا من الوعي الذاتي بالأنا فهو يتحدث عن نفسه بصورة

[1] – صامويل–بي–هانتنجتون،من نحن؟المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،60.

[2] -سيجموند فرويد،الحب و الحرب و الحضارة و الموت،دراسة وترجمة عبد المنعم الحنفي دار الرشاد القاهرة ، بدون تاريخ طباعة، ص،11 الى14.

[3] –تيرنس بول،موسوعة كمبريدج للتاريخ، الفكر السياسي في القرن العشرين،المجلد الثاني،ترجمة: مى مقلد،مراجعة و تحرير طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة، القاهرة،ط1،2010،ص،101.

موضوعية بصيغة الغائب، و يكون مجردا من أي توتر داخلي. بعدها ينتقل إلى مرحلة أخرى يظهر فيها التوتر بسبب مشكلة نزاع الفرد مع نفسه، لأنّ أنيته المكونة من محتويات تضاف إليها محتويات جديدة بعد حصول الوعي بالآخرين، فيقع في مشكلة الثنائية لأنّه مجبر على قبول ما هو غريب عنه بوصفه جزء من حياته، و بتعبير آخر فالصراع مرتبط باتساع أفق الحياة و الذي يكون الخروج من الرحم أول مراحله »[1].

بعد هذه التوضيحات يتبين بأنّ فرضية العدوانية في الطبيعة البشرية ليست محل اتفاق بين علماء النفس، حيث أنّ **يونغ** وضح بأنّ مشكلة الطفل تكمن في الثنائية لا في العدوانية. أما **هانتنغتون** فقد اعتبرها مسلمة مؤكدة.

بالإضافة إلى ذلك نشير إلى أنّ بعض الدارسين لهذه الظاهرة و من بينهم **ايريك فروم** مثلا« يميزون بين عدوان متكيف بيولوجيا، وآخر غير متكيف، الأول من النوع الجيد و هو يخدم الحياة، أما الثاني فهو من نوع شرير، و هو يعني الوحشية و التخريب، و هو من الناحية البيولوجية يلحق الضرر بالضحية و المهاجم على حد سواء » [2].

لذلك نستخلص بأنّ **هانتنغتون** انتقى النظريات و الآراء التي تؤكد في نظره وجود ميل طبيعي للعدوانية لدى البشر، علما بأنّ مقولة الصراع لا تعني عند الكثير من علماء النفس حتمية العدوان، لكن **هانتنغتون** انتقى هذه الآراء ليمر إلى نتيجة أخرى تترتب عنها.

لقد تصور بأنّ الهوية القومية« تكونت بالحروب التي وقعت بين القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع، و من بين الأمثلة التاريخية: أنّ الفرنسيين و الإنجليز و الهولنديين، و الأسبان، و السويديين و البروسيين، و الألمان و الإيطاليين جميعا بلوروا هوياتهم القومية في بوتقة الحرب. من الأمثلة كذلك أنّ

[1]–كارل ،غ.يونغ ،علم النفس التحليلي ،ترجمة و تقديم نهاد خياطة ،دار الحوار للنشر و التوزيع،اللاذقية ، ط2،1997،ص ص، 118–120

[2]– بيتر غروبر،فن العدوان،ترجمة:نوال الحنبلي،مكتبة العبيكان،الرياض،ط1، 2004،ص،24.

الهوية البريطانية قد تحددت أثناء حروب بريطانيا ضد الفرنسيين و الاسكتلنديين، و عندما كانت بريطانيا في حرب ضد فرنسا كل المواطنين باختلاف مناطقهم التي ينتمون إليها ويلز، أو اسكتلندا، أو انجلند، توحدوا في إطار واحد، حيث حددوا أنفسهم بأنهم بروتستانت يحاربون ضد قوة كاثوليكية كانت آنذاك هي الأكبر في العالم » [1].

بل أنّ الحرب في نظره « تعزز الصفات المميزة لأمة عن الأخرى. الأمريكيون على سبيل المثال تعايشوا مع القبائل الهندية في القرن السابع عشر، حيث نمت التجارة و اختلط أفراد الطرفين فيما بينهم، لكنّ الأوضاع تغيرت في فترة الستينيات من القرن السابع عشر حيث حدثت الخلافات ما جعل حرب **فيليب** تندلع و التي كانت من أكثر الحروب دموية في تاريخ أمريكا، و قد أدت إلى إبادة أعداد كبيرة من الهنود، و هذه الحرب جاءت بثمارها على القومية الأمريكية، فبعد قرنين عرف الأمريكيون أنفسهم و أدركوا تميزهم عن الهنود الذين كانوا متخلفين و متوحشين في نظر الأمريكيين » [2].

و ما يصر عليه **هانتنغتون** كما نلاحظ هو أنّ الحرب ظاهرة طبيعية في عالم السياسة، كما أنّها تساهم في بلورة الشعور القومي لشعب دولة معينة، و هو كما نسجل من خلال بعض أمثلته يركز على دور الحروب في تكوين الهوية الدينية، و ذلك لأنّها حسب اعتقاده توحد أفراد الشعب من أجل مواجهة الأخطار الخارجية، و بالتالي فإنّ أراءه أقرب إلى النظرية التي ترى بأنّ الدولة تقوم على الحرب و القوة.

غير أنّ القوة ليست هي العنصر الوحيد الذي تبنى عليه الدول، و الدليل على ذلك حسب بعض الباحثين هو« وجود دول ليس لها من القوة الكافية منها دولة سان مورينو في إيطاليا، و دولة موناكو بفرنسا، و لو كانت القوة هي الأساس لما وجدنا سوى الدول العظمى، إضافة إلى ذلك فإنّ الحرب ربما تؤدي وظيفة عكسية ألا و هي إلحاق الدمار بالدولة. »[3]

---

[1]– صامويل–بي–هانتنجتون.من نحن؟المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،**64**.

[2]– المصدر السابق ، ص،**91**.

[3]– عبد الرحمن خليفة، إيديولوجية الصراع السياسي،دراسة في نظرية القوة،دار المعرفة الجامعية،**1999**الإسكندرية،ص،**92**.

4- مصادر الهوية:

فيما يتعلق بمصادر الهوية يركز **هانتنغتون** على عنصرين أساسيين و يقول:« اللغة و الدين هما العنصران الرئيسيان في أية ثقافة أو حضارة » [1]

و سوف نحاول عرض و جهة نظره من دور كل من الدين و اللغة في هويات الجماعات البشرية.

فيما يتعلق بالدين يتصور بأنّه « يتدخل كعامل يسد الفجوة من أجل بناء هوية، و ذلك لأنّ عمليات التحديث الاقتصادي و التغير الاجتماعي في مختلف أنحاء العالم أدت إلى إضعاف الدولة القومية، كما أنها هددت هويات الناس و هنا جاء الدين؛ لكي يعالج هذا النقص، كما أنه بالنسبة لمن يواجهون احتياجا لتحديد من أنا ؟ و لمن أنتمي ؟ يقدم الدين إجابة قوية »[2].

و عليه فإنّ **هانتنغتون** من الذين يركزون على الدين بوصفه مصدرا لهوية الجماعات، و هو على شاكلة مفكرين آخرين من بينهم **أولفييه روا** الذي طرح تساؤلا:« لماذا يعاد تركيب الهوية على أساس الدين؟ و هو يتصور بأنّ الرجوع إلى الدين يهدف إلى تحديد الهوية، كما يدخل مفهوما جديدا و هو "عرقنة الدين" Ethnisation، و هي ظاهرة ملحوظة في عدة أماكن من العالم، منها: البكستان، و الصراع بين السنة و الشيعة . لكن التعصب الديني في نظره موجود كذلك في الصين، في ايرلندا الشمالية، و في بعض الكنائس الأرثوذوكسية »[3].

إذن فرأي **هانتنغتون** منسجم مع هذه النظرة. بل يضيف« بأنّ الدين يجعل الناس يدركون تميزهم عن الآخرين، فهو يميز بين الأشخاص المؤمنين و غير المؤمنين، بين جماعة متماسكة أرقى و جماعة أخرى خارجية أقل حجما. و بالنسبة للمسلمين يستشهد بملاحظات **برنارد لويس** Bernard Lewis الذي

---

[1]- صامويل بي-هانتنغتون.صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ، ص،98.

[2]- المصدر السابق ،ص،161.

[3]- أوليفيه روا، نحو إسلام أوروبي،ترجمة:خليل أحمد خليل،دار المعارف الحكمية،بيروت،ط1،2010،ص،70.

أشار إلى أنّهم في لحظات الشدة يميلون إلى البحث عن هويتهم الأساسية في المجتمع الإسلامي، أي في مكان محدد بالإسلام أكثر منه بأي معيار آخر، إثني أو مكاني »[1].

و تتصف الهوية المبنية على الدين في نظر **هانتنغتون** بكونها« أكثر اتصافا بالثبات. أمّا الشعوب و الحكومات التي تم تحديد هويتها بناء على الانتماء إلى أيديولوجية معينة كالاشتراكية، و الشيوعية و الفاشية، في الربع الأخير من القرن العشرين فقد أصبحت تعاني من التصدع، فعلى سبيل المثال قد يؤكد الناس الجنسية المزدوجة و يدعون أنهم يجمعون جنسيتين هما الإيطالية و الأمريكية، لكن ليس من السهل عليهم أن يدعوا بأنهم مسلمون و كاثوليك في نفس الوقت » [2].

كما يوضح مدافعا عن فكرة ثبات الهوية بأنّ« الشيوعيين في الإتحاد السوفياتي يمكن أن يصبحوا ديموقراطيين، و يمكن للأغنياء كذلك أن يصبحوا فقراء، لكن الروس لا يمكن أن يصيروا أستونيين، و الأذريين ليس بإمكانهم أن يكونوا أرمن »[3].

و ما نلاظه هو أنّ **هانتنغتون** يميل إلى فكرة الهوية الإيديولوجية، أي الهوية المجهزة للدفاع عن نفسها ضد الهويات الأخرى، و مبرر حكمنا هو إلحاحه على دور الدين الذي يمنح قدرة كبيرة على التمييز بين الجماعات تفوق الإيديولوجيا. كما أنّ الأشخاص في نظره قد يتغيرون من حيث عدة جوانب، في حين أنّه يستحيل عليهم أن يغيروا دينهم.

و بناءا على هذه التوضيحات فإنّ الهويات التي يتحدث عنها **هانتنغتون** ينطبق عليها مصطلح« الهويات القاتلة Identités meurtrieres الذي أطلقه **أمين معلوف** على الهويات المغلقة، و هو لا يعتبر الهوية شيئا جامدا، بل هي في نظره تبنى و تتغير خلال

[1] – صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص، **161**.

[2] – صامويل–بي–هانتنجتون.من نحن؟،المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،**63**.

[3] -Samuel p.Huntington,"**TheClash Of Civilizations** ?" Foreign Affairs Op.Cit,p,27.

الحياة » [1]. كما أنّه اعتبر« الهويات المتحجرة خطيرة، فهي تحصر الناس، في انتماء واحد و تضع الأشخاص في طوائف منحازة ، غير متسامحة و استحواذية، وتحولهم إلى قتلة أو مناصرين للقتلة »[2].

أما **أمارتيا سين** Amartya Sen و هو عالم اقتصاد و فيلسوف هندي مهتم بموضوع الهوية فهو الآخر لا يعتبر الهويات ثابتة حتى و لو كانت دينية، بل يتصور بأنّ« الدين لا يجب أن يكون هو أساس الهوية، فالمسلم مثلا قد تكون له نظرة متطرفة، لكنّ مسلما آخر قد يكون متسامحا دون أن يمنعه تسامحه بأن يبقى مسلما، كما يمكن للشخص أن تكون له عقيدة دينية قوية، و أفكار سياسية متسامحة في آن واحد، حيث أن صلاح الدين الأيوبي على سبيل المثال تعامل مع الفيلسوف **ميمون** ذو الأصل اليهودي »[3].

و فيما يتعلق باللغة يجعلها **هانتنغتون** بعد الدين حيث يقول: « اللغة هي التي تلي الدين كعامل مميز لثقافة شعب ما عن ثقافة شعب آخر » [4].

و هي ذات دور مهم في نظره حيث أنها وسيلة تواصل و تقارب، « فإذا كان الكثير من البشر قد حاربوا بعضهم عبر التاريخ، فإنّه في حالة اشتراكهم في نفس اللغة فإنهم سيستمرون في تواصلهم فيما بينهم و يقرأ كل طرف ما يكتبه الآخر، كما أنّ أصحاب اللغة الواحدة يتواصلون فيما بينهم أكثر من تواصلهم مع المتكلمين بلغة أخرى » [5].

و يعتبر **هانتنغتون** التعدد اللغوي مشكلة خطيرة بالنسبة للدول الغربية، خاصة الولايات المتحدة، « فاللغة الإسبانية تتكلمها نسبة كبيرة من المهاجرين الهيسبانيين، حيث أنّ مدينة ميامي تعد أكبر مدينة

[1] -Amin Mallouf **,les identités meurtrieres**,edition Grasset et Fasquelle,France,1998 ,p,33.
[2] -Ipid,p,43.

[3]-Amartya Sen**,Identité et violence**,Odile Jacob,France,edition 2007,p, 41.

[4]–– صامويل بي–هانتنغتون، صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،**116**.

[5]– صامويل .بي هانتنغتون من نحن؟المناظرة الكبرى حول الهوية الأمريكية ،ص،**214**.

اسبانية لاتينية في الولايات المتحدة، و تذكر الإحصائيات بأنّ أكثر من 57 بالمائة من سكانها سنة 2000 كانوا لا يتكلمون الإنجليزية في بيوتهم، و هذه المدينة عرفت حوادث خطيرة منها حرق العلم الأمريكي و رفع أعلام كوبية، بل هناك أصوات قالت بأن هذه المدينة منفصلة »[1].

أي أنّ **هانتنغتون** يتناول مشكلة سياسات الهوية التي أصبحت هاجسا مؤرقا في الدول الغربية يضع مبادئ الديموقراطية، و على رأسها الحرية على المحك؛ ذلك لأنّ هذا الموضوع خلق صراعات داخل المجتمعات الغربية في حد ذاتها بين مؤيد و معارض للتعددية اللغوية و الثقافية.

و يوضح **توماس باترسون** Thomas Pattersson بأنّ **هانتنغتون** قد« نبه إلى أنّ أشد المشكلات وطأة هي التي وقعت في بلدان متعددة الثقافات منها الإتحاد السوفيتي، و يوغوسلافيا التي ضمت شعوبا لها أديان مختلفة، و لغات مختلفة كذلك اجتمعت في ظل إيديولوجية شيوعية عندما انفرط عقدها تفككت هذه الشعوب، و هذا يكشف عن أخطار التعددية الداخلية » [2].

و ما نستخلصه هو أنّ **هانتنغتون** لا يضع اللغة في مرتبة الدين لكنّه لا يقبل بالتعددية اللغوية للغرب، بل يعتبرها عاملا منذرا بتفكك هويته، لذلك فإنّه لا يرى في تقويض التعدد اللغوي ممارسة مضرة بمبادئ الديموقراطية، بل هو آلية لحماية هوية الدول الغربية.

المبحث الثالث : علاقة الهوية الثقافية و الدينية بالصراعات المحلية

من وجهة نظر هانتنغتون

[1]– المصدر نفسه ، ص،329.

[2]–توماس باترسون،الحضارة الغربية الفكرة و التاريخ، ترجمة:شوقي جلال ،مكتبة الأسرة،القاهرة، 2004،ص،16.

قبل أن نتناول دور الدين في صراعات الهوية من وجهة نظر **هانتنغتون** نذكّر أولا بأنّه يربط بين الانبعاث الديني و الصراعات، حيث أنّه نظر إلى القرن الحادي و العشرين على أساس أنّه قرن الدين. و في نظره « عاد الدين بقوة لأنّه يلبي مطالب الناس و حاجاتهم و التي من بينها: الراحة النفسية، العزاء، و كذلك الهوية. و للتعبير عن الحضور القوي للدين يعود إلى **جيل كبيل** Gilles Kepel صاحب المؤلف الشهير" انتقام الرب" الذي تناول فيه عودة الأصوليات عالميا »[1].

الانبعاث الديني ظاهرة تميزت بها كل الديانات حسب **هانتنغتون**.« الكونفوشية مثلا في مختلف أنحاء العالم أصبحت تعبر عن نفسها بتوكيد القيم الدينية. في روسيا حدثت صحوة كبرى للأرثوذوكسية، و ما يؤكد ذلك هو تزايد عدد كنائس موسكو من خمسين كنيسة سنة 1988إلى 250 سنة 1993، مع إحياء الدين الأرثوذوكسي في الجمهوريات السلافية. أما آسيا الوسطى فقد شهدت صحوة إسلامية، فبعد أن كان يوجد بها سنة 1989 حوالي160 مسجدا، في أوائل سنة 1993 أصبح عدد المساجد 10 ألاف مسجد »[2].

و هذه الهويات الدينية هي وقود الصراع:« في الحروب تدوي الهويات متعددة العناصر، و تصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هي السائدة، و غالبا ما تتحد هذه الهوية بالدين » [3].

و ما نلاحظه هو أنّه بعد أن تمت علمنة الفكر السياسي في الفكر الغربي، و البحث في الظاهرة السياسية بأسلوب وضعي، يدخل **هانتنغتون** تغييرا جذريا، حيث أنّه ينطلق من الدين كمدخل لفهم السياسة، على مستوى العلاقات بين الدول أو بين الجماعات العرقية، و بهذه الاعتبارات فإن الأفراد تصنعهم الثقافة و الدين و ليس الشروط المادية.

---

[1] – صامويل–بي–هانتنجتون.من نحن؟،المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص، 47.

[2] – صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات. اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص، 159.

[3] – المصدر نفسه،ص،434.

نسجل كذلك بأنّ **هانتنغتون** لا ينظر إلى الانبعاث الديني على أساس أنّه يعبر عن تردي الأوضاع، كما هو الشأن بالنسبة لبعض العلماء الذين تناولوا مسألة الدين من زاوية أخرى متصورين بأنّ عودته تمثل « ردة فعل على أوضاع تاريخية ارتسمت معالمها بعد الحرب العالمية الأولى، على أساس أنّ الحربين العالميتين أزالتا التفاؤل تجاه العلم، و أثارتا استغراب الناس من تقاتل الدول المتحضرة بأسلوب وحشي » .[1]

إنّ **هانتنغتون** يخالف النظرة السابقة و يعتبر الدين متغيرا أساسيا في الصراع و يتصور بأنّ « بروزه المتزايد في هوية الأمم و الشعوب له علاقة باالمواجهات التي حدثت في مختلف أنحاء العالم، و تتميز الصراعات الدينية في نظره بعدم قبول الحلول الوسطية، فهي تتحول إلى معادلة صفرية، و بالتالي فمن الصعوبة إنهاؤها » [2].

كما يعتقد بأنّ حروب الهوية تتسبب فيها العدوانية التي يعتبر الدين مصدرا لها،« و بعض حروب الهوية قد تكون جماعاتها منتمية إلى عدة حضارات لذلك فهي تتصف بتشدد الأطراف المتنازعة، حيث أنّ كل جماعة لا تسعى إلى تأكيد هويتها الحضارية فقط، بل أنّها تؤكد هوية الجماعة المعادية، و كل طرف ينظر إلى الآخر على أساس أنه ينتمي إلى حضارة، لذلك يتم تعظيم الخطر من طرف الحضارات التي تتقاتل جماعاتها، إذن فالحروب المحلية تتحول إلى حروب أديان و صراع حضارات » [3].

لكنّه لم يكن الوحيد في هذا المجال، بل أنّ هذا التوجه كان موجودا لدى الكثير من الباحثين، و من بينهم:« **ميلر**Miller، **إليسون** Ellison، **كارمنث** Carment، و هم جميعا يعتبرون الدين سببا

[1] – هاشم صالح،مدخل إلى التنوير الأوروبي ، ص،244.

[2] –صامويل–بي–هانتنجتون.من نحن؟،المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،464.

[3] – صامويل بي–هانتنغتون،صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،438.

للنزاعات » [1]. و يجب أن نوضح بأنّ أراء هؤلاء الباحثين برزت في فترة التسعينيات، و هي التي بدأ فيها **هانتنغتون** ينظّر لأطروحته.

في نفس المنحى يسير **هانتنغتون** و يتصور بأنّ« الدين سبب المواجهات التي وقعت في العالم بعد نهاية الحرب الباردة، بل أنّ الصراعات الدينية أصعب من الصراعات الإيديولوجية، فالخلافات بين الإيديولوجيات العلمانية المتمثلة في الماركسية، اللينينية ، و الديموقراطية الليبيرالية، يمكن التفاوض حولها، و يمكن كذلك تسوية الخلافات المتعلقة بالمصالح المادية. لكن عندما يتعلق الأمر بالخلافات الثقافية فإنّ التفاوض غير ممكن، و الإجابات على المسائل الثقافية تكون قاطعة، إما لا، أو نعم، و لا وجود لخيار آخر. و كمثال على ذلك فإن الخلاف على ارتداء الحجاب في المدارس الفرنسية في نظره كان رد فعل المسلمين و السلطات على حد سواء هو عدم قبول الحل الوسطي »[2].

و هنا نلاحظ أمرين أساسيين: الأول يتمثل في تضخيم صراعات الهوية و إعتبارها أشد خطورة من الصراع الإيديولوجي. أما الأمر الثاني فيتمثل في انتقاء الأمثلة. لقد اختار **هانتنغتون** أن يضرب مثلا بالجاليات المسلمة التي اعتبرها متعنتة في موقفها من الإجراءات المتعلقة بالرموز الدينية، ليس هذا فحسب، بل أنّه فيما يتعلق بالمستوى المحلي للصراعات السياسة فإنّه يركز كذلك على المسلمين.

و يطرح **هانتنغتون** تساؤلا: « لماذا و القرن العشرون يوشك على الإنتهاء، نجد أن المسلمين هم الأكثر تورطا في مزيد من العنف بين الجماعات من شعوب الحضارات الأخرى(...) و هل كانت تلك هي الحال دائما » [3].؟

---

[1] - Jonathan Fox and, shamuel Sandle, **Bringing religion into international relations**, Op.Cit,pp,57-58

[2] – صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات.،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،**2011**.

[3] –المصدر نفسه، ص،**426**.

و لم يكن تساؤله هو:هل أنّ المسلمين هم الأكثر ميلا إلى العنف؟ بل كان: لماذا هم كذلك؟ و هذا يدل على أنّه يسلّم بأنّ المسلمين هم الأكثر عنفا. و هنا ينتقل من معادلة تقول بأنّ الدين هو سبب كل الصراعات الطائفية عبر العالم، إلى معادلة أخرى، و هي أن المنتمين إلى دين معين هم الأكثر عنفا.

يتجلى كذلك تركيزه على الإسلام في وصفه « لحدوده بالدموية Bloody borders فالمسلمين في نظره يتقاتلون على طول حدودهم مع الآخرين، في إفريقيا، وسط آسيا، و البلقان، و هم كذلك في صراع مع اليهود، الهندوس، و البوذيين في بورما، و مع الكاثوليك في الفلبين ».[1]

أما أسباب ميل المسلمين إلى العنف فهي في نظره لا يمكن أن تفهم بسهولة، لأنّ تحليل الميل إلى العنف في الحضارات يتطلب بحثا مطولا، لكنّه يرجح بعض الأسباب كالآتي:

« أولا: الإسلام "في رأيه دين" عنف و هو يمجد القتال فقد نشأ بين قبائل متناحرة، أما النبي (ص) في رأيه فقد كان قائدا مقاتلا و عنيفا. ثانيا: بعد توسع الإسلام أصبح محتكا مباشرة بالآخرين فتسبب في مشكلات معهم. ثالثا: النزعة القتالية و عدم القدرة على التقارب مع غير المسلمين. أما الأسباب التي يرشحها بشكل أكبر فتتمثل في افتقاد الإسلام لدولة مركز أي دولة تقود المسلمين، و معاناته من الانفجار السكاني الذي يسبب مشاكل داخلية و أخرى مع الآخرين ».[2]

أي أنّ **هانتنغتون** بدون تردد ينظر إلى الإسلام هلى أساس أنّه دين عنف، و المحك الذي أظهر هذه الميزة في نظره هو احتكاك المسلمين بالآخرين الذي أثبت في نظره ميلهم للعدوان.

حول هذا الموضوع يشير الأستاذ **ديتر سنغاس** Dieter Senghaas بأنّ« **هانتنغتون** لا يعتبر الأصولية الإسلامية مشكلة رئيسية، بل إنّه يخلص إلى نتيجة هي أنّ الإسلام ذاته يقوم على العنف ».[3]

---

[1]- Samuel p.Huntington,"**The clash of civilizations ?"** Foreign Affairs Op.Cit. p35.

[2]– صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات.،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص، 26 إلى، ص30.

[3]–ديتر سنغاس،الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية،ترجمة: شوقي جلال، كلمة، أبو ظبي،ط 1، 2008،ص،136.

أي أنّ **هانتنغتون** انطلق من حالات جزئية، ليصل إلى حكم عام حول الدين الإسلامي، كما نلاحظ بأنّه اعترف بصعوبة البحث عن دوافع العنف، و مع ذلك نجده يسلم بأنّ الإسلام دين عنف. و بعدها مر مباشرة إلى تشخيص أسباب ميل المسلمين إلى ممارسة العنف مع الآخرين، و هي كما لاحظناها بعيدة عن الموضوعية. بل أنّه للبحث عن الحقيقة يجب السير في اتجاه آخر، و ينبغي استقراء نصوص هذا الدين، و قيمه التي لو لم تكن كابحة للعدوانية لما تآخت القبائل فيما بينها. كما أنّه لو كان نبي هذا الدين عنيفا لما جمع الفرقاء، لأنّ فاقد الرحمة لا يلتف الناس حوله. و قد أكد القرآن الكريم هذه الخصلة: (فبما رحمة من اللّه لنت لهم و لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على اللّه إنّ اللّه يحبّ المتوكّلين)* .

نضيف كذلك بأنّ **هانتنغتون** يربط بين الانتشار الجغرافي للهويات الدينية و خريطة الصراعات السياسية التي عرفها العالم بعد الحرب الباردة.

و هو يعتقد بأنّ« مناطق العالم التي عرفت صراعات دينية حادة كثيرة و منها: البوسنة، كوسوفو، الشيشان، كشمير، باكستان، ايرلندا الشمالية، جنوب الصحراء الإفريقية، الشرق الأوسط، و بعض مناطق آسيا »[1].

أي أنّ الصراعات التي عرفها العالم مؤخرا في نظره كلها دينية، و لمزيد من التوضيح نقوم بعرض أمثلة على الصراعات حول الهوية التي يطلق عليها **هانتنغتون** كما لا حظنا مصطلح السياسة المحلية.

---

*–قرآن كريم، سورة آل عمران آية، **159**.

[1]– صامويل–بي–هانتنجتون.من نحن؟،المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص، **464**

بالنسبة لأفريقيا أشار إلى« الصراع الدموي بين القبائل في الصومال و إن كان قد قلل من شأنه حيث اعتقد بأنّه لن يكون طويل المدى، و كذلك الصراع الدموي في رواندا ونتائجه على دول عديدة منها أوغندا، زائير ، و بوروندي » [1].

من بين مظاهر الصراع كذلك« الحرب التي كانت دائرة في السودان بين العرب و السود، و التوترات بين المسيحيين الأرثوذوكس و المسلمين في منطقة القرن الإفريقي، و كذلك المواجهات العنيفة بين المسلمين و المسيحيين في نيجيريا »[2].

كل هذه الصراعات دينية في نظره، رغم أنّ لها عوامل أخرى منها التقسيمات الاستعمارية التي لم تخضع لأي منطق، حيث يذكر المؤرخون بأنّ الفرنسيين أزالوا دولا إسلامية في السودان الغربي، كما أزال البريطانيون دولا في مصر، منها الدولة المهدية في السودان، دولة بنين، و ممالك يوروبا، و دولة سوازيلاند، كما أزالت بقية الدول بلدانا أخرى »[3]. و من المتوقع أنّ تقسيمات كهذه سوف تترتب عنها مستقبلا أزمات حادة في الهوية.

مكان آخر كان مسرحا لأقوى الصراعات الدينية حسب **هانتنغتون** ألا و هو البوسنة، و لكنّه يشير أولا إلى العامل الديموغرافي. حيث يذكر بأنّ« إقليم كوسوفو وصل تعداد سكانه من الفئة المسلمة إلى 67 بالمائة، و 24 بالمائة من الصرب، أما سنة 1991 فقد بلغت نسبة المسلمين 90 بالمائة، و سبب انخفاض نسبة الصرب هو أنهم كانوا يهاجرون بحثا عن العمل، لكنّهم ومع ذلك كانوا يعتبرون كوسوفو أرضا مقدسة، و بسبب اضطهاد المسلمين لهم استيقظت القومية الصربية و تفجرت الأزمة [4] ».

---

[1] – صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات. اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،46.

[2] –صامويل.بي هانتنغتون،الإسلام والغرب،الإسلام و الغرب، ص،27.

[3] – وال–تر رودني.أوروبا و التخلف في إفريقيا .ترجمة: أحمد القصير،المجلس الوطني للثقافة و الفنون،الكويت ، تاريخ الطباعة،1988،ص،299.

[4] - صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد،مصدر سابق،ص ص،423–424.

و يذهب بعض الباحثين إلى تحليلات متشابهة مع التي يأخذ بها **هانتنغتون**، حيث أنّ بعض المراقبين للحالة اليوغوسلافية « يعتبرون الكنائس مسؤولة عن خلق هويات مغلقة للأمم كما أنها هي التي أيدت التجاوزات، و الاعتداءات التي مارسها أتباعها، كما كانت الكنائس هي حامية الثقافات »[1].

« بعد تراجع الاشتراكية سنة 1990 عرّفت الديانة الكاثوليكية نفسها بالوطنية، و في هذا العام أيدت الهيئات الدينية نزعة الاستقلال، و أظهر الكاردينال **كوهاريك** Kuharic ميله إلى تأييد قيام الكروات بالدفاع عن أنفسهم ضد الصرب، من جهة أخرى قدمت الكنيسة الأرثوذوكسية التي كانت وطنية هي الأخرى نفسها بوصفها مدافعة عن الهوية الصربية »[2]، و هكذا اندلعت الأزمة.

لكن على الرغم من كل ذلك فإن الدين تم إقحامه في هذه الصراعات، و الدليل هو أنّ هذه المكونات الموجودة في يوغوسلافيا سابقا، كانت تعيش في سلام و وئام و لم تطرح مشكلات الهوية، ضف إلى ذلك أنّ الأطراف الخارجية أججت الصراعات، ولم توظف الدول الأوروبية نفوذها من أجل التوفيق بين الأطراف المتقاتلة، بسبب أهدافها التي جعلتها تتضارب في إدارة الأزمة، فكل طرف بقي يتابع الأزمة منتظرا ما إذا كانت نتائجها سوف تؤدي إلى ترتيبات تكون في صالحه، مع التدخل في حالة تراجع الطرف الذي يدعمه. كما أنّ هذه الحرب أثبتت عجز المجتمع الدولي عن إدارة الأزمات.

منطقة أخرى من العالم حسب **هانتنغتون** كانت مسرحا للنزاعات ألا و هي آسيا، التي« شهدت في نظره عودة الصراع التاريخي بين المسلمين و الهندوس ليعبر عن نفسه من جديد بين الباكستان و الهند، و كذلك بين الجماعات الهندوسية و الجماعات الإسلامية، حيث أنّ هدم مسجد **أيوضيا** ayodhya في ديسمبر سنة 1992 يثير شكوكا حول مدى قدرة الهند على أن تكون بلدا علمانيا أو دولة هندوسية »[3].

[1]-K.R.Dark**,religion and international relations**,Macmilian press ltd,London, First published,2000,p,83.
[2] - Ipid,pp, 89-91.
[3]- Samuel p.Huntington,**"the clash of civilizations ? "**Foreign Affairs, op.Cit,pp33-34.

و نفس الظاهرة يتناولها **أمارتيا سين** لكن من زاوية مخالفة، حيث يوضح بأنّ« الطوائف بإمكانهما أن تتجاوز التناقض الموجود بينها؛ لكي تلتقي في هوية أخرى تعبر عن طبقة عاملة كادحة » [1].

تعقيب:

من خلال تناولنا لهذا الجزء من البحث و الذي عالجنا فيه نظرة **هانتنغتون** إلى الصراعات السياسية في فترة ما قبل الحرب الباردة وما بعدها، و بعد عرضنا لموقفه مركزين على الهوية في مستواها الضيق، أي هوية الجماعات العرقية داخل الحضارة أو الدولة الواحدة، يمكن لنا أن نستخلص بأنّ **هانتنغتون** قد ميّز بين فترتين من الصراعات السياسية، حدّهما الفاصل تمثل في الحرب الباردة. قبل نهاية هذه الفترة كانت الصراعات في نظره ذات بعد إيديولوجي، على أساس أنّ العالم كان مقسما إلى إيديولوجيتين محوريتين هما الاشتراكية و الليبيرالية، و في هذه الفترة كانت الإيديولوجيات هي التي تحتوي الهويات الفرعية. لكن بعد نهاية الحرب الباردة تفجرت هذه الهويات و انبعثت بشكل جديد، ما جعل العالم يعج بصراعات طاحنة خاصة في الجمهوريات الاشتراكية سابقا.

و هذا من منظور **هانتنغتون** يدل على أنّ البشرية انتقلت إلى عهد جديد تميز بإفلاس الإيديولوجيات؛ و ذلك لأنّها لم تعد مقوما كافيا و مقنعا لبناء هوية جماعة معينة، أو شعب ما، و هنا تدخلت الثقافة، و بالتحديد الدين ليتولى أمر بناء الهوية.

و فيما يتعلق بمسألة الهوية كانت نظرة **هانتنغتون** تبسيطية للغاية، فرغم الجدال الكبير حولها ، إلا أنّه بسّط الأمور و اعتبر الهويات صخورا جامدة لا تقبل التغير، لقد كان موقفه منسجما مع نظرة **هوبز** للطبيعة البشرية، فالنّاس مفطورون في نظره على العدوانية، و لإثبات ذلك انتقى نظريات علم النفس التي

[1] - Amartya Sen,**Identité et violence**, Op.cit,p, 38.

تؤكد بأنّ البشر بطبعهم يميلون إلى الحرب. و لم يقف عند هذا الحد بل أنّه دعم هذه النظرة بمركب آخر هو الدين الذي يجعل الهويات في نظره ثابتة لا تقبل التفاوض، و من هنا فهو الوقود الأساسي الذي يغذي مختلف النزاعات.

نستخلص كذلك بأنّ **هانتنغتون** اعتبر الهوية الثقافية المحلية دينية بالدرجة الأولى، و هي سبب الصراعات العرقية و المحلية، اذن فهو يرجع كل أشكال العنف المحلي التي تحدث بين الجماعات إلى تعارض الهويات الثقافية، و بما أنّ هذه المسألة شديدة الأهمية فمن الضروري أن نتساءل: ما مدى واقعية هذا التفسير؟ و ما ذا يترتب عن التسليم بصحته ؟

نحاول أن نجيب انطلاقا من اعتبارات علمية، و إجرائية.

فيما يتعلق بالاعتبارات العلمية تفسير **هانتنغتون** يقوم على تعميمات مبالغ فيها، فالعنف بين الجماعات البشرية بصفة عامة له أسباب اقتصادية، سياسية ، كما أنّ عنفا واحدا قد تتعدد أسبابه؛ « لذلك انتقد البعض تعميماته ، على أساس أنّ النزاع الواحد يمكن أن تسببه عوامل متشابكة قد تكون اقتصادية، إثنية، أو دينية.المسلمون عندما يحتجون في البنغال و يقومون بأعمال شغب، فسبب ذلك هو أنهم يطالبون بحرية العبادة، كما أن لهم ظروفا اجتماعية و اقتصادية سيئة». [1]

أما من الناحية الإجرائية فإنّ هذا التفسير الذي يرجع كل الصراعات إلى الثقافة سوف يعفي المفكرين، و العلماء، و رجال السياسة من البحث عن حلول له، طالما أنّه ناتج عن خلافات متأصلة في ثقافات الجماعات و لا سبيل لعلاجه. و هنا يتساءل **سالبوخ ززيك*** Salvoj Zizek: « لماذا ترجع الكثير من المشاكل الحالية إلى اللاتسامح عوضا عن اعتبارها نتاجا للاستغلال و غياب العدل؟ الجواب في نظره هو أنّ التفكير الذي ينطلق من ظروف الناس الناتجة عن اللامساواة السياسية تم تدجينه بل

[1]–محمد حسن البرغثي،الثقافة العربية و العولمة ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر المركز الرئيسي،بيروت لبنان ،ط1، 2007،ص،113.

* – فيلسوف سلوفيني معاصر، من مواليد 1949، و هو باحث و صاحب آراء حول النظرية السياسية، له دراسات حول الثقافة و الظرية الماركسية.

إبعاده، ليعوض بالاختلافات الثقافية و هذا ما يسمى بمثاقفة السياسة، The culturalisation of politics أي إدخال الثقافة في الظاهرة السياسية، و هو يعتبر **هانتنغتون** من المؤسسين لهذه المقاربة» [1].

و انطلاقا من هذه الاعتبارات نستخلص بأنّ تفسير **هانتنغتون** لما يسميه صراعات محلية أو عرقية يرسخ لمقاربة تلقي بكل مشكلات العنف على مقولة صراع الهوية و الأديان، كما أنّ الهوية التي يتحدث عنها أقرب إلى الهويات العرقية و العنصرية التي تتكلم بلغة الطبيعة الأبدية.

في حين أنّ الدين كثيرا ما يوضف كمبرر لفرض هويات على الناس، حيث يتم استغلال ظروفهم من جهة، و فراغهم الثقافي لزرع الهويات القتالية، و هنا يبين **تودوروف*** في تناوله ظاهرة العنف، من حيث ارتباطها بالدين و الثقافة « بأنّ أصل العنف إلى حد كبير لا يوجد في الصراع بين ثقافتين، بقدر ما يعود إلى غياب هذا الحد الأدنى من الثقافة الأصلية التي يحتاجها أي كائن حي من أجل بناء هويته»[2].

نضيف كذلك بأنّ الدين ليس سوى عامل من عوامل الصراع، و عندما نكتفي به نكون قد رضخنا إلى نظرية في غاية البساطة، تعفينا من البحث عن أسباب العنف و التفكير في كل العوامل التي تقف وراءه، ثم وضع الحلول الاقتصادية، السياسية، و حتى التربوية لمعالجته.

و يرى الأستاذ **دييتر سنغاس** المختص في قضايا السلم و الصراع و التنمية،« بأنّ للمشكلات الثقافية حسب **هانتنغتون** ـــ نتائج على المستوى الإقليمي و دون الإقليمي، فالنزاعات الداخلية، القومية و الإثنية، أبعادها ثقافية دينية. لكنّ هذا التحليل سطحي ، فهذه الصراعات مرتبطة بمظاهر التمييز الاجتماعي و الاقتصادي » [3].

---

[1] -Salvoj Zizek,**Violence Sixs Sideways Reflections**,Picador,Newyork,first edition,200,p, 140.

* - فيلسوف فرنسي من أصل بلغاري، من مواليد سنة**1939**، له آراء حول الثقافة، و النظرية الأدبية، توفي يوم **7** فبراير **2017**.

[2] **–تزفيتان تودوروف،الخوف من البرابرة ما وراء صدام الحضارات،ترجمة:جان ماجد حيدر ،هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث، ط1،2010،ص،99** .

[3] **– دييتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية ،ص،139**.

لكن رغم كل ذلك يمكن القول بأنّ العالم بصفة عامة، و العالم العربي بصفة خاصة قد ارتمى في هذه المقاربة التسطيحية التي لا تخلو من إسقاطات فكرية و إعلامية غربية، تخدم إلى حد كبير الأطراف التي تسعى إلى فرض هيمنتها على العالم، خاصة و أنّ كل أشكال العنف الداخلي أو الطائفي عبر التاريخ كانت تتدخل فيها أطراف خارج الجماعات المتصارعة. أما حاليا فبعد ثورة الاتصالات أصبح دور الأطراف الخارجية أكثر خطورة لأنّه يغذي هذه النزاعات بالدعاية الإعلامية. و طالما أنّ نتيجة الصراع تنعكس على الأطراف الخارجية التي كل واحد منها يبحث عن ترتيبات جديدة، فإنّ كل طرف يسعى إلى إطالة عمر الأزمة.

و نضيف بأنّ الصراع ليس حالة طبيعية في الهويات، لأنّه ما من جماعة إلا و تبحث عن تعاملات و تكاملات مع جماعات أخرى. كما أنّه توجد عدة أدلة تؤكد بأنّ الحلول الدبلوماسية و الإجراءات الاجتماعية الجادة بإمكانها أن توفق بين الفرقاء، فالكثير من التدخلات الديبلوماسية أسفرت على إطفاء لهيب الكثير من النزاعات الدموية بين الطوائف.

الفصل الثاني

توظيف هانتنغتون للحضارة كمتغير لفهم تناقضات و صراعات العالم

مدخل:

المبحث الأول :الحضارة من منظور هانتنغتون

المطلب الأول: الحضارة و مكونها الديني من وجهة نظر هانتنغتون

المطلب الثاني: رفض هانتنغتون لفكرة الحضارة العالمية

المبحث الثاني: توظيف هانتنغتون للحضارة كمتغير لإبراز تناقضات العالم

المطلب الأول: حضارات العالم

المطلب الثاني: الحضارات كلاعبين سياسيين متصارعين

المبحث الثالث:

براديغم الحضارة في تفسير الصراعات السياسة من وجهة نظر هانتنغتون

تعقيب:

مدخل:

إنّ دلالات المصطلحات تتغير، لأنها تتأثر بالتطورات السياسية، و الإجتماعية، و حتى العلمية، و الفلسفية التي تحدث عبر التاريخ، و هذا ما يمكن ملاحظته على مصطلحي حضارة و ثقافة.

نبدأ من« القرنين الثالث و الرابع عشر، حيث كانت الكلمة السائدة هي Cultura باللغة الإيطالية، بعدها انتقلت إلى الفرنسية مع تحويرها إلى Culture ، و كانت تعني الإعتناء بالأرض، و الحيوان. و فيما بعد تطورت و أصبحت تعني كذلك تثقيف الإنسان »[1].

« أما في القرن الثامن عشر فقد استُعملت ثقافة في صيغة المفرد، و يعّبر ذلك في نظر البعض عن كونية الفلسفة، كما كانت قريبة من مصطلح حضارة و كان يُجمع بينهما أحيانا، إلّا أنهما لم تكونا مترادفتين. لكنّه تم تداول كلمة حضارة بصيغة المفرد، و أصبحت تعني بعد فلسفة الأنوار الصيرورة التي تخلص الإنسانية من الجهل إلى العقلانية »[2].

في الحقبة الإستعمارية برر المستعمرون سياسة الهيمنة بشعار تخليص الإنسانية من التخلف، و ادعت الدول الغربية بأنّها تريد أن تضع الشعوب المتخلفة في خط صيرورة التحضر، كما ادعى العنصريون المتطرفون بأنّ الرجل الأبيض من حقه أن يستعمر الشعوب المتخلفة حتى و لو استدعى الأمر التخلص منها.

مثل هذه الادعاءات كانت رجع صدى لنظريات التطور، لأنّ أفكار الداروينية الاجتماعية بعد انتشارها Social darwinism* أثّرت على نظرة الغرب إلى الآخرين، حيث أنّه « بعد 1890 أصبحت نظرية التطور عرقية، و ذات علاقة بمفهوم الحضارة. أما بين 1890 و 1914 فقد كانت مرحلة بلغ فيها التفكير العرقي أعلى درجاته، حيث تم تسيس فكرة العرق، لأنّ النظرية العرقية إدّعت بأن الناس بالولادة

[1] - Julie Reeves، **culture and international relations,** Op.cit, p15.

[2] – دينيس كوش،مفهوم الثقافة في العلوم الإنسانية، ترجمة: د.منير السعيداني.المنظمة العربية للترجمة،ط1، 2007،ص،19.

*– الداروينية الإجتماعية نظرية تقوم على أفكار داروين، و هي تطبق الإصطفاء الطبيعي لفهم تطور المجتمعات البشرية،خصوصا و أنّ داروين اعتقد بأنّ جنس بشري معين تطور و أصبح يمتلك مؤهلات جسمية و عقلية،لذلك تنبأ بأنّ الأعراق البشرية المتحضرة سوف تقضي على الأعراق الهمجية.مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي،أول معجم شامل بكل المصطلحات الفلسفية في العالم و تعريفاتها،دار أسامة للتوزيع و النشر،عمان،ط1،2009،ص ص 2018– 2019 .

مختلفين في الصفات الجسمية، و تم توظيف هذا الإدعاء من أجل تبرير مقولة تفوق الإنسان الأبيض، و هنا فإنّ فكرة حضارة القائمة على هذا التصور أثرت على العلاقات الدولية بشكل تراتبي » [1].

استمرت فكرة العرق في تأثيرها على مفهوم حضارة، إلى درجة أنّ علم الأنثروبولوجيا*أصبح ينظر إلى الثقافة انطلاقا من فكرة التفوق و الإختلافات، حيث أنّ عالم الأنثروبولوجيا **هانري مورغان** Henry Morgan كان يؤمن« بتصنيف الناس في إطار تطوري. و على النقيض من ذلك تخلى العالم **فرانز بواز**Franz Boas و هو من الرواد البارزين للأنثروبولوجيا الأمريكية عن فكرة الفوارق بين الأعراق، و أشار إلى أنّ الإختلافات بين الحضارات ليست راجعة إلى حتمية بيولوجية بل إلى عوامل تاريخية »[2]. لكن و مع ذلك بقيت فكرة تفوق جنس معين على الأجناس الأخرى سائدة بين الغربيين.

كان الفهم الأنثروبولوجي للثقافة في الكثير من الأحيان مقترنا بأهداف سياسية و عسكرية، فقد لاحظنا بأنّ أعمال كل من **مرغريت** ميد و**بنديكت** في فترة الأربعينيات كانت مرتبطة بأهداف عسكرية، حيث كانت الدراسات الأنثروبولوجية تهدف إلى فهم عقلية الشعوب المعادية كاليابان.

و بعد إنتهاء الحرب الباردة استمر التوظيف السياسي للثقافة من منظور أنثروبولوجي، حيث تم إدخالها كمتغير في مجال السياسة، و هي المرحلة التي عاصرها **هانتنغتون**. لكن كيف ينظر **هانتنغتون** إلى الحضارة؟ و كيف يوظفها كمتغير لتفسير الصراعات السياسية؟

[1]- Julie Reeves‹, **culture and international relations**,Op.cit,p,25.

*– الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يهتم بالإنسان، و بالأجناس البشرية،و هو يبحث في كل ما يتعلق بالإنسان،من خلال العظام و الموميات القديمة، و كذلك أثار الحاضارات العظمى إلى يومنا هذا، و هو ينقسم إلى عدة فروع متعددة تهتم بالخصائص الثقافة المختلفة للإنسان. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي،الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية(عربي–انجليزي)مركز الإسكندرية للكتاب،2005،ص،60

[2]– كليفورد غيرتز،تأويل الثقافات ،ص، 35.

المبحث الأول : الحضارة من منظور هانتنغتون

المطلب الأول: الحضارة و مكونها الديني من وجهة نظر هانتنغتون

نشير أولا إلى أنّ الهدف الذي نريده من معرفتنا لمعنى الحضارة من وجهة نظر **هانتنغتون** هو الأهمية التي يوليها إليها من أجل فهم مسار التاريخ حيث يقول: « Human history is the history of civilizations. »[1]

أي أنّ تاريخ الحضارات هو نفسه تاريخ الانسانية، و كأنّ **هانتنغتون** يطابق بين الأمرين، لذلك فإنّه وفقا لمنظوره لايمكن فهم التاريخ الانساني الا بتتبع مسار الحضارات .

و في تحديده لمفهوم الحضارة، ينطلق أولا من فكرة التمييز بين الجماعات البشرية، و الشعوب المختلفة، لكنّه فرّق بين مستويين من هذا التمييز، أحدهما أعلى و الآخر أدنى، و يمكن فهم ذلك كما يلي:

« التمييز الأدنى عندما يتعلق الأمر مثلا بثقافة مكان موجود في منطقة من بلد ما، و هو إيطاليا على سبيل المثال، فقرية جنوبية في هذا البلد تختلف بثقافتها عن قرية أخرى في الشمال الإيطالي »[2].

التمييز بين القريتين كما نلاحظ تم انطلاقا من الثقافة.

---

[1]-Samuel P.Huntington,**The Clash Of Civilizations And The Remaking Of World Order Order,**Op.cit,p.40,

[2]– صامويل بي هانتنجتون، الإسلام و الغرب ،ص،8.

ننتقل الآن إلى المستوى الأعلى من التمييز، حيث « أن القريتين المذكورتين تشتركان في ثقافة إيطالية متميزة عن ثقافة ألمانيا، لكنّ الدول الأوروبية تتشابه في بعض الملامح الثقافية التي تميزها عن مجتمعات أخرى كالعربية أو الصينية »[1].

و بوصولنا إلى ما يميز المجتمعات الصينية عن العربية أصبح الأمر يتعلق بتجمعات بشرية كبيرة مختلفة فيما بينها بالحضارة التي هي كما يقول **هانتنغتون** :« أرفع تجمع ثقافي للبشر و هي أشمل مستوى للهوية الثقافية » [2].

في الدولة الواحدة أو في المجتمع الواحد في نظر **هانتنغتون** نجد نمطا ثقافيا سائدا بدرجات متفاوتة بين المنتمين لهذا المجتمع أو هذه الدولة: « لمعظم الدول جوهر للثقافة أو مجرى رئيسي لها يتقاسمه بدرجات متباينة معظم الناس في مجتمعهم » [3]. و الأمر يتعلق هنا بالثقافة.

أما الحضارة فهي في نظره « الكيان الثقافي الأوسع، القرى و المناطق و الجماعات العرقية و القوميات و الجماعات الدينية (...) كلها لديها ثقافات محددة و على مستويات مختلفة من التمايز الثقافي » .[4]

و في موضع آخر يقول:« و الحضارة التي ينتمي إليها هي أعرض مستوى من التعريف الذي يمكن أن يعرف به نفسه. الحضارات هي نحن الكبرى، التي نشعر ثقافيا بداخلها أننا في بيتنا، في مقابل هم عند الآخرين خارجنا» .[5]

و من هنا فالحضارة لا تختلف عن الثقافة إلّا من حيث اتساع دائرتها، الحضارة أشمل من الثقافة، و هذه الأخيرة تمثل في نظره دائرة ضيقة، أمّا من حيث الدور فهما تشتركان في نفس الوظيفة ألا

---

[1]–المصدر السابق الصفحة نفسها.

[2]– المصدر نفسه،ص،9.

[3]– صامويل بي هانتنجتون.من نحن؟المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،97.

[4]–صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص، 71.

[5]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وهي بناء هوية تميز جماعة معينة عن الجماعات الأخرى. الثقافة في صورتها الضيقة تميز بين الجماعات الصغيرة، و نذكّر هنا بأنّ **هانتغتون** اعتبرها سببا للصراعات المحلية كما لاحظنا في الفصل الأول، أما الثقافة في مستواها الأشمل و الأوسع فهي الحضارة، و هي تميز بين عدة شعوب كبيرة.

و من خلال استعمال **هانتنغتون** لمصطلحات منها: نحن الكبرى، نشعر بأنّنا في بيتنا، يبدو واضحا أنّه يركز على دور الثقافة في تحديد هوية جماعة بشرية إلى أن نصل إلى الحضارة كأعلى تجمع بشري يتميز بثقافة خاصة به، وهذه الثقافة تمثل الدرجة الأعلى من الهوية.

لذلك فإنّ بعض الباحثين سجلوا بأنّ« معنى الحضارة كان هامشيا عند **هانتنغتون،** فبالرغم من أنّه يتكلم بلغة الحضارة، إلّا أنّ نظرته متأثرة بالفكرة الأنثروبولوجية عن الثقافة، كما أنّ هذه الأخيرة هي أساس نظريته، و كذلك مقارنة بكل من **اشبنجلر** Spengler، و **توينبي**Toynbee فإنّ معنى الحضارة عنده لم يكن أساسيا، بالنسبة إليهما الحضارة تنمو و تتطور لكن بالنسبة إليه فهي وسيلة لتحديد الهوية »[1].

نستخلص إذن بأنّ **هانتنغتون** ركز على دور الثقافة في التمييز بين البشر ابتداءا من الجماعات البشرية المحدودة، والإطار الثقافي الأعلى الذي يجمع الشعوب في ثقافة مميزة هو الحضارة في نظره.

لكن من أجل فهم أوسع لموقفه من الحضارة نقترح تأمل قوله الآتي:« العلاقات الإجتماعية و العادات و كل النظرات الشاملة للحياة تختلف تماما من حضارة إلى أخرى، و إعادة إحياء الدين في معظم أنحاء العالم تقوي من تلك الفروق الثقافية، الثقافات يمكن أن تتغير و طبيعة تأثيرها على السياسة و الإقتصاد يمكن أن تتغير من فترة لأخرى، إلّا أنّ الإختلافات الرئيسية في التطور السياسي

[1] -Julie Reeves**,Culture and international relations**,Op.cit,pp148-149.

و الإقتصادي بين الحضارات ذات جذور عميقة في ثقافاتهم المختلفة » [1]. و من أهم ما نستخلصه من هذا القول:

1- **هانتنغتون** يوظف مصطلح حضارات.

2- الثقافة هي أساس الحضارة، و الثقافات هي سبب الإختلاف بين الحضارات.

3- الدين من مكونات الحضارة في نظره.

و سوف نحاول عرض موقف **هانتنغتون** من الحضارة ملتزمين بالأطر التي حددناها آنفا:

1- فيما يتعلق بالفرض الأول، اعتقد **هانتنغتون** بأنّه يوجد فرق بين الحضارة بمعناها المفرد و الحضارات بصيغة الجمع،« لقد تطور مفهوم الحضارة على يد المفكرين الفرنسيين و أصبح نقيضا للبربرية، كما قدم مفهوم الحضارة حسب رأيه مقياسا من خلاله يمكن الحكم على شعوب أخرى ليست أوروبية، من حيث مدى تحضرها. ومع ذلك تم تداول مصطلح حضارات، و هذا يدل على أنّ فكرة الحضارة النموذج تم رفضها. »[2].

و يمكن القول أنّ الدافع الذي جعل **هانتنغتون** يرفض مصطلح حضارة بصيغة المفرد، هو أنّه يشير إلى الوحدة و عدم و جود اختلافات بين البشر، أما توظيف مصطلح حضارة بصيغة الجمع فسيفسح المجال للإنتقال إلى فكرة الصدام الحضاري التي تعتبر فكرة جوهرية في أطروحته كما سوف نكتشف لاحقا.

مع العلم أنّ التسليم بتعدد الثقافات لا يترتب عنه بالضرورة الإقرار بتناقض مكونات الإنسانية حيث أنّ **هردر** Johan Gottfried Herder على سبيل المثال،« لايتخلى عن فكرة وحدة الإنسانية التي ترتكز على الأصل البيولوجي المشترك لجميع البشر، وعليه فإنّ الربط بين تعدد الثقافات و وحدة

[1] – صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،47.

[2] .–المصدر نفسه ،ص،68.

الحضارة ممكن بالنسبة إليه، كما أنّه ليس من المستحيل توحيد المشاهد المتنافرة دون خلطها »[1].**أمّا هانتنغتون** كما لاحظنا فهو يظهر الثقافات على أنّها متعارضة.

2- ننتقل الآن إلى العلاقة بين الثقافة و الحضارة، لنجد بأنّ **هانتنغتون** يربط بينهما، و ما يؤكد ارتباط الثقافة بالحضارة حسب رأيه، هو أنّها « أساسية في معظم تعريفات الباحثين، و من بينهم **برودل** Fernand Braudel الذي اعتبر الحضارة مساحة ثقافية. كما أنّ **كريستوفر داوسن** Christopher Dawson اعتبرها نتاجا لعملية أصيلة خاصة من الإبداع الثقافي و التي هي من صنع شعب ما. و بالنسبة لكل من **دوركايم** ، و **ماوس** Mauss، فالحضارة تشير إلى وسط أخلاقي يضم عددا معينا من الأمم، و كل ثقافة وطنية هي شكل خاص من الكل ».[2]

و بالتالي نتأكد مرة أخرى من أنّه يعتبر الثقافة أساسا للحضارة، و هذا ما وضحه **ألان ثوران** الذي أشار إلى أنّ « فهم **هانتنغتون** للثقافة يتصف بكونه يختلف عن ذلك الذي كان سائدا في فرنسا في القرن الثامن عشر، و هو يقترب من فكرة kultur بالألمانية و ذلك لكي يتسنى له التأكيد بأنّ الصدامات الأساسية لعالم اليوم سوف تكون بين الثقافات »[3].

3- أما فيما يخص النقطة الثالثة و المتعلقة بالدين، فإنّ **هانتنغتون** يعتبره« أهم مكون في الحضارة، حيث أنّ الحضارات الرئيسية في التاريخ الإنساني كانت دائما متوحدة، و متطابقة مع الديانات الكبرى، و الدين حسب رأيه أهم عامل في تعريف الحضارات » .[4]

و إذا كان لكل ثقافة عناصر و مكونات فإنّ « الدين هو الأهم من حيث قدرته على خلق هوية حضارية ، فهو الذي يجعل الحضارات مختلفة و حول ذلك يقول :« فالحضارات تختلف عن بعضها

---

[1]–تزيفيتان تودوروف،الخوف من البرابرة ما و راء صدام الحضارات ،ص،39.

[2]– صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،69.

[3]- Alain Tourain ,**un nouveau paradigme pour comprendre le monde d'haujourdhui**,Fayard Paris, 2005,p53..

[4]– صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،70.

البعض بفعل التاريخ، و اللغة و الثقافة، و التقاليد و الأكثر أهمية عامل الدين » .[1] أي أنّ الدين خاصية أساسية في تعريف الحضارة لدى **هانتنغتون** .

لتأكيد دور الدين يعود « إلى علماء الإجتماع و من بينهم **فيبر** الذي أشار إلى أنّ أديان العالم و التي عددها خمسة، أربعة منها مرتبطة بحضارات رئيسية ألا وهي المسيحية، و الإسلام، و الهندوسية، و الكنفوشية. بالنسبة للبودية فالأمر يختلف، لأنّها كانت في الماضي على حد ذكره دينا رئيسيا لكنّها خضعت لتطورات، حيث أنها انقرضت في الهند، أما في الصين و اليابان فقد تم تكييفها، لذلك فهي في نظره لا تمثل أساسا لحضارة رئيسية الآن. كان **كريستوفر داوسن** كذلك يعتقد بأنّ الأديان الكبرى في العالم هي الأسس التي تقوم عليها الحضارات الكبرى »[2].

و إذا عدنا إلى هذا المؤرخ الأخير الذي اعتمد عليه **هانتنغتون** من أجل التدليل على أهمية الدين كأساس جوهري للحضارة، سنجده يعتقد بأنّ« العالم مقسم إلى أربع ثقافات كبرى و هي :الأوروبية، و الإسلامية، و الهندية، و الصينية. بالنسبة للحضارة الغربية في نظره حققت نوعا من السيطرة العالمية و مع ذلك لم تلغ الثقافات المتبقية، و كل واحدة من الثقافات المذكورة ترتبط بعادات روحية و هذا من شأنه أن يحقق نوعا من الوحدة داخل كل ثقافة. لكنّ هذه الصفة موجودة بوضوح في الثقافة الإسلامية حيث أنّ الحضارة هي الثقافة »[3]. و بالتالي فإنّ **هانتنغتون** ينتقي أراء المؤرخين التي تدعم نظرته القائمة على اعتبار الدين مكونا أساسيا في الحضارة.

لكن إذا كان **هانتنجتون** يلح على دور الدين مستشهدا بهذه الأراء فهو حسب الباحث **جورج كونتو جيورجيس** Geroge Contogeorgis يؤسس لما يسمى« بالحضارة الدينية، و ذلك لأنّه ركز على دور الدين في التمييز بين الناس، و تكوين الحضارات. و يضيف بأنّ معلوماته حول الدول و الحضارات

[1] – صامويل بي هانتنجتون، الإسلام و الغرب ، ص،11.

[2] – صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص ص 79–80.

[3] -CHrsitopher Dawson,**Enquieries into religion and culture**,the Catholic university of America press,2009,p,55.

مصدرها الأخبار المتداولة، و المناقشات مع الدبلوماسيين، كما أنّه يشكك فيما إذا كان **هانتنغتون** قد قام بزيارات للدول و الحضارات التي ذكرها »[1].

و في الحقيقة كان موقف **هانتنغتون** من علاقة الدين بالحضارة مثيرا للجدل، ويعتبر البعض تعريفه لها تبسيطيا، كما أنّه أقرب إلى تعريفات العلماء للعرقية و من بينهم على سبيل المثال **غور**Gurr الذي « نظر إلى المجموعات العرقية الشعبية على أساس أنّها طائفات سيكولوجية أعضاؤها مشتركين في هوية جماعية مميزة مبنية على خصائص ثقافية، و لكل هوية جماعية أسس منها الدين، اللغة، الأساطير، لكنّ المجموعات العرقية لا تعرّف نفسها انطلاقا من مميزات تخصها بل من خلال النظرة المشتركة لهذه الصفات التي تميز المجموعة. »[2].

و يوجد علماء آخرون بحثوا في تصور المجموعة لذاتها، و اهتموا بالهوية كعامل أساسي في العرقية، و هو ما نجده في تعريف **هانتنغتون** للحضارة ،« الفارق الوحيد هو أنّ **غور** جعل الدين واحدا من الصفات المشتركة، أما **هانتنغتون** فقد اعتبره جانبا أساسيا في الحضارة، من بين الإختلافات كذلك أنّ المجموعات التي تحدث عنها **غور** ضيقة، بينما تحدث **هانتنغتون** عن هوية ثقافية أوسع »[3] .

لكي يبرهن **هانتنغتون** على دور الدين، يذكر بعض الحوادث الواقعية،« ما حدث بلبنان و يوغوسلافيا يثبت بأنّ عدم وجود دين واحد يؤدي إلى اشتعال الصراع حتى و إن كانت اللغة واحدة و العرق واحد، كما أنّ الدين لا يضاهيه عامل آخرن، فالجنس لا يمكنه أن يوحد الشعوب مثل الحضارة

[1] -Geroge Contogeorgis,**Samuel Huntington et le choc des civilizations**, **Pole sud n°14**-ARPoS,Montpellier,mais2001(p107à124)p,108.

[2] -Jonathan Fox and Shmuel Sandler.**Bringing Religion Into international relations**, Op.cit,p.117,

[3]- -Jonathan Fox and Shmuel Sandler.**Bringing Religion Into international relations**, Op.cit,p,16.

بدليل أنّ الكثير من الناس لهم انتماءات حضارية مختلفة رغم أنهم من جنس واحد، من جهة أخرى نجد بأن حضارة واحدة تجمع أجناسا عديدة » [1].

و يجب أن نوضح هنا بأنّ الكثير من المفكرين اعتبروا الدين بعدا مهما في الحضارة، لكنّهم لم يخلصوا إلى نفس نتائج **هانتنغتون**. فقد اهتم المؤرخ **أرنولد ثوينبي** كثيرا بدور الأديان العالمية، و وضح بأنّ« الحضارة التي توشك على الإنقراض تترك بدرة ، و الدين هو الذي يتولى حفظها طوال فترة فراغ، إلى أن تأتي حضارة جديدة تستفيد من هذه البدرة. و كأمثلة على ذلك أنّ الحضارتين المسيحيتين الغربية و الشرقية تولدتا عن الحضارة الهيلينية لكن ذلك تم عن طريق المسيحية، أمّا الإسلام فعن طريقه تولدت الحضارتان العربية و الإيرانية عن الحضارة السريانية »[2].

لكنّ **ثوينبي** ينفرد بنظرة خاصة تجاه الأديان حيث أنّه إذا كان **هردر** كما لاحظنا لا يلغى الوحدة الإنسانية رغم تعدد الثقافات فإنّ **ثوينبي** هو الآخر لا يلغيها في تناوله للأديان، لأنّه « يعتبر الأديان العليا الأربعة وهي المسيحية، و الإسلام، و المهايانة، و الهندوكية مجرد ألوان أربعة لمنهج و احد »[3].

أما **هانتنغتون** فهو لا يسلّم بوجود و حدة بين الأديان بل يعتقد بأنّ« لكل دين نظرته لمختلف المسائل و من هنا فالحضارات مختلفة، كما يصر على أنّ احتمال ظهور دين عالمي أقل من احتمال ظهور لغة عالمية، ودليله هو أنّ أواخر القرن العشرين شهدت انبعاثا أو صحوة دينية في أنحاء العالم »[4].

---

[1] – صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،70.

[2] –أرنولد ثوينبي.مختصر دراسة للتاريخ،الجزء الثالث،ترجمة:فؤاد محمد شبل،المركز القومي للترجمة،القاهرة،2011،ص،153.

[3] –المرجع نفسه،ص،165.

[4] – صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،106.

اذن إذا كان كان **توينبي** قد اعتبر الأديان و جوها لحقيقة واحدة، فإنّ **هانتنغتون** يعتبر الدين أهم عنصر في الثقافة، و هو يركز عليه من حيث كونه معلما يميز بين الشعوب. لذلك نستنتج بأنّه يعتبر الثقافة هي المتغير الأساسي الذي يقف وراء الإختلافات الموجودة بين الجماعات البشرية، أو بين شعوب العالم. لكنّ من أجل منح الثقافة قدرة أكبر على التمييز بين الشعوب أضاف إليها الدين، و ربط بين الدين و الثقافة بشكل قوي من أجل هدف ألا وهو تصنيف الشعوب إلى هويات حضارية متباينة.

المطلب الثاني: رفض هانتنغتون لفكرة الحضارة العالمية

ظهرت نقاشات كثيرة تتعلق بموضوع الحضارة العالمية خاصة بعد ثورة الإتصالات، حيث اعتقد البعض من زاوية إنسانية أنّه يمكن تحقيق نموذج حضاري عالمي قائم على إنتقاء القيم العليا بين الحضارات. أمّا بعض علماء الإقتصاد و السياسة الغربيين فقد ظنوا بأنّ العولمة ستضمن هيمنة الغرب على العالم، حيث ظهر إتجاه في أمريكا يهدف إلى قولبة كل الشعوب، و عندما لوحظ بأنّ الثقافات الأخرى تقاوم الثقافة الغربية نظر البعض إلى مشروع الحضارة العالمية بنوع من التشاؤم.

أمّا **هانتنغتون** فهو يرفض فكرة الحضارة العالمية،« و هي نتاج للحضارة الغربية، و قد مرت دلالة هذا المصطلح بعدة تطورات، حيث أنّه في القرن التاسع عشر كان يقصد به عبء الرجل الأبيض، و تم توظيف هذه الفكرة من طرف الدول الإستعمارية من أجل استعمار بلدان أخرى، كما تم توظيف شعار حضارة عالمية من أجل تبرير سيطرة الثقافة الغربية » [1].

إنّ فكرة الحضارة العالمية في نظره ظهرت عندما كان الغرب مهيمنا على العالم، لكنّها حاليا لم تعد حسب اعتقاده تتماشى مع الواقع يقول:« فالنظرية الخاصة عن امكانية و جود

[1]–المصدر السابق، ،ص،109.

حضـارة عالميـة ليسـت سـوى مجـرد فكـرة غربيـة تتنـاقض مباشـرة مـع خصوصـية معظـم المجتمعـات الآسيوية »[1].

يفهـم مـن ذلـك أنّ **هـانتنغتون** يجعـل مـن الغـرب مقياسـا لمفهـوم حضـارة عالميـة، كمـا أنّـه يـربط هـذا المفهـوم بعنصـر القـوة، و مصـطلح حضـارة عالميـة بالنسـبة إليـه يعنـي قـدرة الحضـارة الغربيـة علـى إحتـواء كـل العـالم، لـذلك فـإنّ مفهـوم العالميـة بالنسـبة إليـه مـرتبط بالهيمنـة الإقتصـادية و السياسية و العسكرية للغرب.

أمّـا مبـررات رفضـه لفكـرة الحضـارة العالميـة فـيمكن حصـرها فـي ثلاثـة: 1-تراجـع قـوة الغـرب.2-اخـتلاف قـيم الثقافـات الأخـرى عـن القـيم الغربيـة.3-عجـز العولمـة عـن توحيـد ثقافـات العالم. و سوف نعرضها حسب الترتيب المذكور.

1- تراجع قوة الغرب:

أولا نشير إلى أنّ **هانتنغتون** ينظر إلى الغرب على أساس أنّه « الأقوى بين كل حضارات العالم، و سوف يكون قادرا على التحكم في العالم حسب أهدافه، قد يكون اليابان بلدا مساعدا له في ذلك. و كل من الولايات المتحدة، و بريطانيا، و فرنسا سوف تتحكم في زمام الأمور المتعلقة بالأمن و السياسة عبر العالم. الغرب كذلك هو المهيمن على المؤسسات الدولية كصندوق النقد، و مجلس الأمن، حيث أنّ قرارات هذه المؤسسات مرتبطة بمصالحه »[2].

أما فيما يتعلق بالقوة العسكرية فإنّ الغرب في نظره متفوق على الحضارات الأخرى،« فهو في الوقت الحالي يتمتع بقدرة على نشر قوات عسكرية في كل مناطق العالم » [3].

[1] – صامويل بي هانتنجتون، الإسلام و الغرب ،ص،45.

[2] –المصدر نفسه،ص،41.

[3] – صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،145.

هذه الصورة التي قدمها عن الغرب تظهره كحضارة متفوقة على بقية الحضارات الأخرى، لكنّ رغم الهيمنة الغربية الحالية بقيادة الولايات المتحدة فإنّه سوف يقدم صورة أخرى يبرز من خلالها حجم التراجع الذي أصاب الغرب خاصة من حيث القوة.

لقد أصبحت أمريكا مثلا مهددة بأخطار حسب **هانتنغتون** من أهمها،« ظهور أتباع التفكيك الثقافي، الذين شجعوا المهاجرين على ثقافتهم الأصلية، فقد بدأ المثقفون و السياسيون يدفعون في اتجاه أيديولوجية التعددية الثقافية و يلحون على إعادة النظر في السياسة الأمريكية من زاوية غير أوروبية، و سوف يؤدي ذلك إلى حرب داخلية في أمريكا في نظره. و حسب بعض الإحصائيات فإنّ الولايات المتحدة سوف يكون فيها23 بالمائة هيسبانيين، و16 بالمائة سود، 10 بالمائة هجين من الأسويين و الأمريكيين، لذلك فإنّ أمريكا مهددة بفقدان هويتها » [1].

و هذا من منظور بعض الباحثين يعكس تأثر **هانتنغتون** بالخطاب المتشائم حول مستقبل الولايات المتحدة،« الذي كانت مقدماته سنوات 1970 عندما ظهرت مشكلات داخلية كحركة المطالبة بالحقوق المدنية، و ظهور التعددية الثقافية. و قد كان **ليو ستراوس** Léo Strauss بخطابه النقدي للحداثة من المؤثرين على السياسين الأمريكيين، ثم تلميذه **ألان بلوم** Allan Bloom الذي نبّه إلى خطورة النسبية الثقافية و اعتبرها خطرا على مستقبل الولايات المتحدة. لكنّ **هانتنغتون** لايصنّف كتلميذ ل **ستراوس**، إلّا أنّه امتداد للتيار المتشائم » [2].

[1] - Samuel P Huntington,**If not civilizations what ?,The clash of civilizations ?the debate,** Foreign Affairs, Second Edition2010, Copyright by The Concil on Foreign Relations,New york,p,79

[2] -Geoffrey Delcroix,**impactes des revolutions sociales au regard des cultures,des religions des modes de vie,del' organisation des societétés sur le système international a trente ans,** Futuribles/Das05 251, novembre 2006,Paris, pp18-19.

بعد ذلك ينتقل **هانتنغتون** إلى تقدير حجم التراجع الذي أصاب الحضارة الغربية بصفة عامة مقارنة بالماضي، من أجل التأكيد على أنها ليست في وضع يؤهلها لأن تكون حضارة عالمية، و يبيّن جوانب التقهقر الذي حلّ بها كما يلي:

لقد تغيرت في نظره المعطيات « فبعد أن كان الغرب هو الذي يدير شؤون العلاقات الدولية طرأت تحولات على هذه المعادلة، و أصبحت الحضارات غير الغربية تمتلك قوة فاعلة و لم تعد منفعلة فقط ما جعل هذه العلاقات تتجرد من الطابع الغربي باستمرار » [1].

تقلصت المساحة الجغرافية للغرب وهنا يقارن **هانتنغتون** بين فترتين:« ففي سنة 1920 كان الغرب مسيطرا تقريبا على ما يقارب نصف مساحة العالم بنسبة 25.5 مليون ميلا مربعا. أما سنة 1993 فقد أصبحت 12.7. فيما يتعلق بمساحة المجتمعات غير الغربية و منها الإسلامية تزايدت. و بالنسبة لعدد السكان سنة1900 كان يمثل 0/030 من سكان العالم، و كان الغرب كذلك سنة 1920 يتحكم في حوالي48 بالمائة من سكان العالم لكن سنة 1993 أصبح الغرب يتحكم في الغربيين فقط »[2].

و فيما يتعلق بالأخطار الخارجية ينظر إلى قوة الولايات المتحدة على أنها لم تعد كافية،« لأنّ هجمات الحادي عشر من سبتمبر أظهرت بأن ذلك الإطمئنان الذي كان يستند إلى الحواجز المائية قد تبخر، فلم تعد هذه الحواجز توفر مناعة ضد الهجمات، كما أنّ هذه الهجمات جعلت الأمريكيين يشعرون بأنهم في حرب متعددة الجبهات، و أخطر هذه الجبهات، الجبهة الداخلية، و للتعامل مع هذا الوضع أصبح الأمريكيون أمام إختبار صعب ألا و هو الإختيار بين الحرية، و حرية الشعور بالأمن » [3].

أي أنّ **هانتنغتون** يريد أن يوضح وضع أمريكا مركزا على بعد القوة، خاصة بعد ظهور جدل واسع يتعلق بتعريفها، فقد اعتقد فريق كبير من رجال الفكر السياسي بأنّ أمريكا أصبحت تؤدي دورا إمبراطوريا

---

[1] – صامويل بي هانتنجتون، الإسلام و الغرب ، ص،60.

[2] – صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص ص،137–138.

[3] – صامويل.بي هانتنغتون،من نحن؟المناظرة الكبرى حول أمريكا ، ص،438.

في العالم. على سبيل المثال **برادلي ثاير** Bradely-A-Thayer طرح تساؤلا:« هل أنّ أمريكا امبراطورية؟ و هو يجيب بنعم، لكنّ أمريكا في نظره امبراطورية فريدة من نوعها عن الأمبراطورية البريطانية سابقا،لأنها لا تهتم بالتوسع الجغرافي و ليس لها دور استعماري، و إنما هي مهتمة بالوضع السياسي و الإقتصادي الإيجابي لحلفائها » [1].

نفس التصور نجده لذى **نيال فورغوسون** Niall Ferguson الذي« اعتبر أمريكا إمبراطورية ليبيرالية تقوم على مؤسسات مقبولة عموما تضمن المصلحة العامة من خلال حفاظها على السلم و الحرية في كل مكان، كما أنّ هيمنتها تتم باسم مناهضة الإمبريالية و باسم نظام عالمي يفيد الدول الأخرى. كما يفضل البعض مصطلح المنظومة الأمريكية، و يؤمنون بتطابق النموذج الأمريكي مع الآخرين » [2].

لكن **هانتنغتون** « لايؤيد هذا التصور الذي ينظر إلى أمريكا على أساس أنها أقوى دولة في العالم، كما أنّها أمة ذات قيم عالمية. التفوق و العالمية كخاصيتين ينسبها البعض إلى أمركا حكم لا يتماشى مع الواقع. السبب هو وجود دول قوية في العالمم منها: بريطانيا، و ألمانيا، و فرنسا، و روسيا، و الصين، و اليابان.أما إقليميا فهناك كذلك دول قوية منها:البرازيل، و الهند،و إيران، و جنوب إفريقيا، و أندونيسيا »[3].

و مما أتينا على ذكره نسجل بأنّه إذا كناّ قد لاحظنا في الفصل الأول بأنّ **هانتنغتون** يعتبر الهوية أمر مصيري، فهو هنا يريد أن يحدد هوية أمريكا في العالم، فهي رغم أنّها الأقوى إلاّ أنّه توجد دول أخرى لا يستهان بها في نظره. و إذا كان الخصم الإشتراكي قد تراجع فإنّه يقدم قراءة جديدة لأوضاع الغرب

[1] -Christopher Layne,Bradley A.Thayer **,American empire the debate**, Routledge, Newo yourk published,2007,p,07..

[2]- – جيرار ديسوا، دراسة في العلاقات الدولية، الجزء الأول ترجمة: قاسم المقداد ، ص ص، **73–74**.

[3]–صامويل.بي هانتنغتون،من نحن؟المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،**42**.

على كل الأصعدة، من أجل إبراز موقعه في عالم عرف ترتيبات جديدة تختلف عن التي كانت سائدة خلال الحرب الباردة.

بعد ذلك ينتقل **هانتنغتون** إلى الجزء المتبقي من العالم الذي يضم حضارات غير غربية لكي يبرز وزنه من حيث القوة مقارنة بالحضارة الغربية. و هو يتصور بأنّ « الحضارات غير الغربية أصبحت تتمتع بقدرة على فرض قوتها، بل أنّها تعمل على تنمية ثرواتها، و قدراتها العسكرية، و سوف تكيف هذه القوة مع قيمها و ثقافتها التقليدية »[1].

من مظاهر ذلك،« القوة العسكرية و الإقتصادية أخدت تنتقل إلى الدول الآسيوية ، أمّا العالم الإسلامي فقد تزايد عداؤه للغرب، لذلك تنبأ بتراجع قوة الغرب في القرن الواحد و العشرين، و التحول الذي يطرأ على عامل القوة في الحضارات غير الغربية سوف يشجع يقظة المجتمعات غير الغربية التي ستعمل على توكيد ثقافتها »[2].

و من هذه المعطيات يمكن القول بأنّ **هانتنغتون** تناول فكرة الحضارة العالمية من منظور استراتيجي مستقبلي بحت، فهو يقيّم وضع الحضارة الغربية في المستقبل على المدى البعيد، الغرب من جهة حضارة قوية في الوقت الحاضر و قادرة على التحكم في القضايا المصيرية، لكنّه يعاني من التقهقر، كما أنّه مهدد بخطر مستقبلي بوادره تتمثل في تنامي الثقافات الأخرى، و من وجهة نظره لو استمرت هذه المعادلة المتمثلة في تراجع الغرب و تزايد قوة حضارات أخرى سوف تكون النتائج سلبية على الغرب .

2- رفض الثقافات الأخرى للقيم الغربية:

حسب **هانتنغتون**« يعتمد المؤيدون لفكرة حضارة عالمية على عدة حجج منها انتشار أنماط الإستهلاك الغربي، إلا أنّ ذلك في نظره لا يدل على إمكانية تحول الثقافة الغربية إلى العالمية، و دليله

[1] –صامويل بي هانتنغتون،الإسلام و الغرب ، ص،63.

[2] – صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص ص،133–134.

هو أنّ الأزياء و الإبداعات كانت تنتقل عبر الحضارات، بل أنّ تقمص الآخرين لأساليب الغرب لايدل على قبولهم لحضارته، فقد يقوم شخص يرتدي الجينز في المشرق بتفجير طائرة ركاب أمريكية ».[1]

و مثال كهذا في الحقيقة يعكس الكثير من الأراء الأساسية في فكر **هانتنغتون**، فالزي لا يدل على الباطن في نظره، و قد لاحظنا سابقا بأنّ الهوية الحضارية أساسها الدين الذي يتصف بعدم القابلية للتغير، و بالتالي فلا يجب الحكم على الأمور من الظاهر حسب رأيه، فمهما تأثر الآخرون بأساليب الغرب فإن عقائدهم و هوياتهم تبقى ثابتة.

في نظر **هانتنغتون**،« إذا كانت الأزياء أمر سطحي يمكن أن تنتقل من الغرب إلى الآخرين، فإنّ القيم التي هي الجانب العميق في الحضارة تختلف عن الأزياء فهي لا تنتقل، حيث أنّه على المستوى التأصيلي نجد بأنّ قيم الغرب تختلف تماما عن قيم الحضارات الأخرى، ما يميز الغرب هو الفردانية، الليبيرالية، الدستورية، حقوق الإنسان، المساواة، حكم القانون، و السوق الحرة.كل هذه القيم حسب رأيه لم تنتقل إلى الثقافات الأخرى »[2].

من بين الأدلة كذلك على بطلان فكرة الحضارة العالمية،« أنّ الدراسات أثبتت نسبية القيم حيث أنّ بعض الباحثين قاموا بأبحاث تقوم على مقارنة قيم المجتمعات ببعضها و قد أثبتت هذه الدراسات بأنّ القيم التي ينظر إليها على أنها مهمة في الغرب يعتبرها الناس قليلة الأهمية في أنحاء كثيرة من العالم » [3].

أي أنّ **هانتنتغتون** يطرح إشكالية تتعلق بمدى قدرة الإنسانية على تجاوز النسبية الثقافية و هو موضوع خلافي،« حيث أنّه في المدرسة الإنجليزية مثلا هناك من شكك في ذلك و منهم **كار** Carr و **ووايت** Wight، و من بين المقتنعين **مانينغ** Maning و **ويلر** Wheler، و كانت أراء **هانتنغتون**

[1] – صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،96.

[2] –صامويل.بي هانتنغتون،الإسلام و الغرب ،ص،44.

[3] – المصدر نفسه، ص،45.

متقاربة مع **روبرت كوكس** Robert W.Cox الذي اعترف بوجود تعددية حضارية لكنّه يؤمن بتفادي الصدام » [1].

و هنا نقول بأنّ دفاع **هانتنغتون** عن نسبية القيم يخدم مقولة الصراع، و كل النظريات التي ظهرت حول الصراع في الحقيقة تؤمن بأن القيم الإنسانية نسبية، بما فيها نظريات التطور و النظريات العرقية، فالنسبية هي الشرط الأساسي لتأكيد الصراع.

و نضيف بأنّ رأي **هانتنغتون** ينسجم مع موقف **بيتر إيل برغر** الذي« يرى بأنه إذا كانت هناك ثقافة غربية بأكثريتها أمريكية الأصل، فإنّ الأخذ بفكرة التحدي و الإستجابة التي جاء بها **ثوينبي** تؤدي إلى افتراض ردود أفعال مصدرها الثقافات الأخرى تتراوح بين القبول و الرفض » [2].

كما« يعتقد بأنّه قد ظهرت في أرجاء العالم الإسلامي مقاومة للغرب، و مساعي لتحقيق حداثات بديلة كما هو الشأن بالنسبة لتركيا على سبيل المثال، و في مجتمعات إسلامية عديدة توجد تطلعات لمجتمع حديث لكن بروح إسلامية »[3].

و عليه فكل من **هانتنغتون** و **برغر** يؤمن بوجود ثقافات منافسة للغرب أو مقاومة له، بل أنّهما يعتقدان بأنّ النزعة العالمية موجودة في الثقافات الأخرى، و منها الإسلامية، و الصينية. لكنّ السؤال الذي يمكن طرحه هو:هل أنّ **هانتنغتون** يؤمن بالتنوع الثقافي في العالم؟

و الجواب من وجهة نظرنا هو أنّه لم يكن مهتما بالتنوع الثقافي عبر العالم، بقدرما كان حريصا على الوصول إلى نتيجة وهي أنّ العالم متعدد الثقافات و متعدد الأقطاب، و نلمس تشاؤما واضحا لدى **هانتنغتون** و يأسا من إمكانية إتفاق البشر على قيم واحدة. كما يستبعد امكانية تعميم النموذج الحضاري الغربي، بل أنّ للحضارة الغربية خصوم.

---

[1]- جيرارديسوي،دراسة في العلاقات الدولية ،ص ص، 80-81

[2]- بيتر إيل بيرغر،صامويل.بي.هانتنجتون،عولمات كثيرة،ترجمة:د فاضل جنكر،مكتبة العبيكان،الرياض، ط1 ،2004،ص، 14.

[3]-المصدر نفسه،ص،31.

و إذا أردنا تحديد موقع **هانتنغتون**، نقول بأنّه طالما أنّ المثالية كما يوضح البعض تعبر عن العالمية، لأنّها تجعل الروح فوق الإعتبارات المادية، في حين أنّ المادية نوع من النسبية على أساس أنّها تُخضع الروح إلى أسس إجتماعية إقتصادية و تاريخية، كما أنّ المادي يؤمن بتعميم الإستثنائي » [1]، فإنّ آراء **هانتنغتون** أقرب إلى النزعة المادية . و مبرر حكمنا على ذلك هو أنّه يستبعد التوافق و يرسخ لنسبية القيم، و هذا سيسهل المرور إلى نتيجة أخرى ألا وهي حتمية الصراع.

3- فشل العولمة في تحقيق العالمية:

يتصور **هانتنغتون** بأنّ« العولمة زادت من حدة الإختلافات الحضارية، و على وجه الخصوص فقد أظهرت تميز الحضارة الغربية عن بقية الحضارات، و هي ليست وسيلة لتحقيق وحدة عالمية، و السبب هوأنّ تطور وسائل الإعلام لم يحقق التقارب في نظره، بل أنّ اتساع التفاعلات أدى إلى نتيجة عكسية ألا و هي تقوية الشعور بالهوية عبر أنحاء العالم »[2].

ليس هذا فحسب، بل يعتبرها نقمة على الغرب، لأنّ« الإتصالات الكونية التي تعتبر من أهم مظاهر القوة لذى الغرب تم توظيفها من طرف السياسيين الشعبيين في مجتمعات غير غربية، من أجل رفض الإستعمار الثقافي الغربي، كما وظفوها من أجل تحفيز الشعوب على الإحتفاظ بثقافتهم الأصلية، و عليه فإنّ وسائل الإتصال جلبت العداء للغرب »[3].

يتصور كذلك بأنّ« افتراض ظهور ثقافة مشتركة عبر العالم قد يكون صحيحا في بعض الحالات، لكنّه يوجد أمر آخر يثبت عكس ذلك، فالحروب التي حدثت في عصر العولمة كانت بين شعوب بينها درجة كبيرة من التفاعل، فلا الحداثة و لا التطور الإقتصادي قادر على تحقيق ثقافة معاصرة مشابهة

[1]- Vicent Cito,**L'dée De L'humanité Pardela L'universalisme Métaphysique Et Le Relativisme Nihiliste, Le Philosophoire**,2002/1n°31 pages (89 a112) Vrin Paris,p,90.

[2] - Samuel P Huntington,**The clash of civilizations ?** Foreign Affairs Op.Cit,p,25

[3]– صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص ص،**97–98**.

لثقافة الغرب» [1]. « كما يوجد افتراض بأنّ التحديث و التطور الإقتصادي سوف يخلق ثقافة مشتركة مشابهة للتي هي موجودة لذى الغرب، لكنّ التحديث لا يعني التغريب Modernization does not equal westernization، حيث أنّ سانغافورة، و اليابان، و العربية السعودية، كلّها دول مارست التحديث لكنّها ليست غربية »[2] .

و انطلاقا من هذه الإعتبارات فإن **هانتنغتون** يقارب العلاقة بين الحضارات من منطلق العولمة كمتغير، لكنّه يركز على التفاعل السلبي فقط، و يستبعد أنواع التفاعل الأخرى بين الدول كالتعاون في قضايا السلم، و هو يستبعد كذلك الوعي الحضاري كآلية للإستفادة من العولمة من أجل التقارب و تفادي المواجهات. كما أنّه اعتبر العولمة متغيرا يدعّم الصراع بين ثقافة الغرب و بقية الحضارات.

لكن إذا كانت الحضارة العالمية غير ممكنة في نظر **هانتنغتون** فإنّه يريد الوصول إلى النتيجة الآتية: « و في المستقبل لن تكون هناك حضارة عالمية بل عالم ذو حضارات مختلفة سيتعين على كل منها أن تتعلم كيف تتعايش مع الحضارات الأخرى. » [3].

[1]- Samuel P Huntington,**If not civilizations what ?,The clash of civilizations ?the debate**, Foreign Affairs,Op.cit,pp,81-82.

[3]– **صامويل بي هانتنجتون، الإسلام و الغرب ، ص،63.**

المبحث الثاني: توظيف هانتنغتون للحضارة كمتغير لإبراز تناقضات العالم

المطلب الأول: حضارات العالم

في هذه الجزئية نحاول أن نبحث في رأي **هانتنغتون** من الحضارات الموجودة في العالم حاليا، و هذا الأمر جد أساسي بالنسبة إليه، و هو في ذلك« يريد أن يستفيد من حكمة نبه إليها **فرناند برودل** ألا وهي ضرورة معرفة و تحديد الحضارات الموجودة على خريطة العالم، و الهدف من ذلك هو التمكن من تعيين حدودها، مراكزها و محيطاتها و أقاليمها و حتى هوائها، و بدون ذلك سيكون الأمر مجرد تخبط فادح في نظره »[1].

و يفهم من ذلك أنّ معرفة حضارات العالم شرط أساسي من أجل فهم تركيبته من جهة، و من أجل فهم طبيعة العلاقات بين هذه الحضارات، و بالتالي فإنّ معرفة عدد الحضارات بالنسبة إليه أمر مهم. و يشير **هانتنغتون** أولا إلى وجود خلاف يتعلق بعدد حضارات العالم، لكنه يوضح بأنّ أحد الباحثين ألا و هو« **ميلكو**Melko استخلص نوعا من الإتفاق المعقول على وجود 12 حضارة على الأقل، سبعة منها ليست موجودة الآن وهي: وادي الرافدين، الحضارة المصرية، الحضارة الإغريقية، الكلاسيكية، البيزنطية، حضارة وسط أمريكا، و حضارة الأندين. أما الحضارات التي لا تزال موجودة فهي الصينية، اليابانية، الهندية، الإسلامية و الغربية، بعض الباحثين أضافوا الحضارة الأرثوذوكسية كحضارة متميزة مقارنة بالحضارة الغربية المسيحية والحضارة البيزنطية »[2].

---

[1] – صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات. اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،65.

[2] - المصدر نفسه، ص ، 74.

لكنّ **هانتنغتون** لم يقتنع بهذا العدد المذكور لذلك فهو يريد أن يضيف حضارتين هما حضارة أمريكا اللاتنية و الحضارة الإفريقية، حيث يقول: « و من المفيد لأهدافنا في العالم المعاصر أن نضيف إلى تلك الحضارات الست، الحضارة الأمريكية اللاتنية، كما يمكن اضافة الحضارة الإفريقية »[1].

و هنا نتأكد من أنّ فهم الحضارات بالنسبة إليه مرتبط بأهداف، لقد كان علماء الحضارة و مختلف المؤرخين يبحثون في تاريخ الحضارات من أجل فهم أسباب ظهورها و قوانينها، لكنّ **هانتنغتون** كعالم سياسة بالرغم من استشهاده بمؤرخين عظام معروفين بدراساتهم للحضارات، إلا أنّ أهدافه من تحديده لحضارات العالم تتجاوز الجوانب المعرفية.

في حالة الإلتزام بالمعيار المذكور سابقا ألا وهو احتمال اضافة الحضارة الإفريقية و الأمريكية اللاتنية سيكون مجموع الحضارات ثمانية: « العالم سوف يكون مرسوما بالتفاعلات بين سبع أو ثماني حضارات هي: الغربية ، الكونفوشية ،اليبانية ،الإسلامية ، الهندية ، الأرثوذوكسية السلافية ،حضارة أمريكا اللاتنية ، و من المحتمل الحضارة الإفريقية » [2].

و إذا علمنا بأنّ المؤرخ **أرنولد ثوينبي**« قد قارن بين 21حضارة، أربعة عشر منها زالت و سبعا منها فقط ما تزال قائمة في الوقت الحاضر » [3]، فسوف يتضح بأنّ **هانتنغتون** لا يختلف عنه كثيرا فيما يتعلق بعدد الحضارات، وموضع الإختلاف هو أنّ **هانتنغتون** قال بوجود سبع حضارات مع احتمال اضافة الحضارة الإفريقية، و بالتالي فإنّ حضارات العالم من منظوره هي:

الحضارة الصينية: و قد رأى أنّه من« الأدق استعمال مصطلح حضارة صينية لأنّ الحضارة الصينية أوسع، و ما الكونفوشية سوى واحد من المكونات الأساسية للحضارة الصينية، و هذه الحضارة تتخطى

[1] – صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات. اعادة صنع النظام العالمي الجديد ، ص،74.

[2]-Samuel P Huntington,**The clash of civilizations ? Foreign Affairs**,Op.Cit,p25.

[3]–أرنولد ثوينبي، مختصر دراسة للتاريخ ،ص،69.

الحضارة الصينية، أما مصطلح الحضارة الصينية فهو صحيح على أساس أنّه ينطبق على ثقافة الصينيين و ثقافة مناطق أخرى من آسيا تقع خارج الصين » [1].

الحضارة اليابانية: حسب **هانتنغتون**« من الباحثين من اعتبر الثقافتين الصينية و اليابانية واحدة، لكنّ باحثين آخرين اعتبروا الحضارة اليابانية مستقلة، و هذا ما يرجحه مع إعترافه في نفس الوقت بأنّ الحضارة اليابانية قد ولدت من رحم الحضارة الصينية، أمّا تاريخ ظهور الحضارة اليابانية فهو من 100ق م إلى 400 م »[2].

الحضارة الهندية:« و هي تسمى بعدة مسميات:الأندين، الأنديك ، الهند، و المصطلح الأخير هو الأليق عندما نتحدث عنها في شكلها الحديث، كانت الهندوسية أساس ثقافة شبه القارة الهندية قديما، و لا تزال الهندوسية تمثل أساسا للحضارة الهندية رغم وجود مجتمع إسلامي في الهند و أقليات أخرى ذات ثقافات محتلفة »[3].

الحضـــارة الإســـلامية:« وهـــي حضـــارة مميـــزة بـــاعتراف أغلـــب البـــاحثين ، و قـــد ظهـــرت بعـــد نشـــوء الإسـلام فـي شـبه الجزيـرة العربيـة ثـم اتسـعت بعـد انتشـاره إلـى أمـاكن مختلفـة مـن العـالم منهـا شـمال شـبه جزيـرة ايبيريـا، و إلـى منـاطق مختلفـة مـن آسـيا، و للحضـارة الإسـلامية حضـارات فرعيـة هـي العربية، التركية و الملايو » [4].

الحضارة الغربية:« يؤرخ لظهورها حوالي 700م أو800 م و هي حسب الباحثين ذات مكونات أساسية تتمثل في أوروبا، أمريكا الشمالية، و أمريكا اللاتنية، لكن في مجال آخر يذكر بأن لها تنوعين أساسيين هما الأوروبية و الأمريكية »[5].

---

[1]– صامويل،بي هانتنغتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،75.

[2]–المصدر نفسه الصفحة نفسها.

[3]– المصدر نفسه الصفحة نفسها.

[4]– صامويل بي هانتنجتون، الإسلام و الغرب ، ص،10.

[5]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

و« إذا كانت أمريكا و أوروبا متضادين في القرن التاسع عشر فإنّهما في القرن العشرين متحدين، كما أنّ أمريكا قائد للغرب، بتعبير آخر لقد مرت هذه الحضارة بمرحلتين، فقد كانت أوروبية فقط ثم أصبحت أوروبية أمريكية »[1].

و ما نسجله هنا هو أنّ **هانتنغتون** ينظر إلى الحضارة الغربية بنوع من التجانس، و هو لا يرى في انضمام أمريكا إلى الدول الأوروبية عبر مشروع **مارشال** مثلا أي نوع من الهيمنة ، كما أنّه حرص على إبراز تجانسها، و نسجل كذلك بأنّه استبعد منها الشعوب الأرثوذوكسية و الكاثوليكية.

حضارة أمريكااللاتنية: هذه الحضارة في نظره« لها ثقافة تشترك مع الثقافة الغربية السائدة في أوروبا و أمريكا الشمالية لكن بدرجة أقل، و ذلك لأنّ أمريكا اللاتنية بقيت كاثوليكية* فقط في حين أنّ كل من أوروبا و أمريكا الشمالية خضعتا لحركة الإصلاح البروتستانتي**، بالإضافة إلى كل ذلك فإنّ أمريكا اللاتنية فيها ثقافات محلية في عدة مناطق منها المكسيك، بوليفيا ، بيرو، و أماكن أخرى، و يفضل **هانتنغتون** اعتبارها حضارة مستقلة مرتبطة بالغرب منقسمة حول ما إذا كانت تنتسب إلى الحضارة الغربية أم لا »[2].

1– صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ، ص ص ،77–78.

***– الكاثوليك أكبر الكنائس النصرانية في العالم،و هي تدعي أنّها أم الكنائس، و تزعم أنّ مؤسسها هو بطرس الرسول،كما يدعي أتباعها بأنّ بطرس هو مؤسس كنيساتهم سنة 62م حيث أنّه كان أول من استعمل لفظ كاثوليك من أجل الدعوة إلى تأييد الكنيسة في وجه الحركات التي حاولت الخروج عن مفاهيمها و عقائدها.مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة، دار الندوة للطباعة و النشر،ط4،1998،ص،602.**

****– البروتستانت فرقة من المسيحيين احتجوا على الكنيسة الغربية باسم الإنجيل و العقل، و يسمون كذلك بالإنجيليين،لأنّهم يتبعون الإنجيل دون سواه، و يعتقدون أنّ لكل قارئ الحق في فهمه، و تعد البروتستانتية حركة إصلاحية بدأت في الكنيسة الكاثوليكية في القرن16م من أبرز روادها، مارتن لوتر،و جون كالفن. مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة، دار الندوة للطباعة و النشر،ط4،1998،من ص621 إلى ص،623.**

[2]– صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات ،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،77.

و نسجل هنا بأنّ **هانتنغتون** لم يدرج حضارة أمريكا اللاتنية كجزء من الغرب بل جعلها حضارة قائمة بذاتها، و السند الذي اعتمد عليه بطبيعة الحال يتمثل في الدين، وهذا يدل على أنّه لا يعتبر الكاثوليكية جزءا من الثقافة الغربية.

الحضارة الإفريقية: يشير **هانتغتونغ** إلى« أنّ معظم الباحثين لا يعترفون بوجود حضارة أفريقية مختلفة عن الحضارات الأخرى باستثناء **برودل** ، وهي حسب رأيه في جزء منها ذات انتماء إلى الحضارة الإسلامية، لكن في بعض مناطق أفريقيا قام الإستعمار بنشر ثقافة غربية، و الأمر المهم هو تأثيرات الإستعمار على هذه الحضارة الذي جلب المسيحية لهذه القارة » [1].

لكنّ الأفارقة حسب رأيه « تميزوا بعودتهم إلى الهوية الإفريقية، أما احتمال ظهور حضارة افريقية فهو يتوقف على نجاح دولة مثل جنوب افريقيا على أن تصبح قائدا لجزء من القارة الإفريقية »[2].

بالنسبة للحضارة الإفريقية نلاحظ بأن **هانتنغتون** يعتبرها خليطا حضاريا، حيث أنّ لها ثقافة محلية، لكن الإستعمار غرس فيها ثقافة أخرى **و** ما دام الأفارقة يرفضون الهوية التي جاء بها الإستعمار، فهم يتخبطون بين هويتين.

بعد ذكر هذه المعطيات يمكن القول بأنّ أهم ما نلاحظه على **هانتنغتون** أنّه بشكل ممنهج يقسم العالم إلى كيانات مركزا على الاختلافات الثقافية بين شعوب العالم، بل أنّه يعدد مجموعة من العوامل تمنع تحقيق التقارب بين الحضارات منها: « مشاعر التفوق و الدونية تجاه الآخرين، الخوف منهم و عدم الثقة فيهم، صعوبة الإتصال بسبب إختلاف اللغة، غياب الألفة مع الإفتراضات و الدوافع و العلاقات و الممارسات الإجتماعية للآخرين »[3].

---

[1] – المصدر السابق ،ص، 78.

[2] –المصدر نفسه، ص،89.

[3] – صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،210.

و إذا كنا قد لاحظنا بأنّ **هانتنغتون** في تعريفه للحضارة يركز على المكون الديني، فهو في تقسيمه لحضارات العالم كذلك كان يستند إلى النظرة الدينية، و هذا ما يلاحظه الكثير من الباحثين. حيث يوضح **غيدار ماتيو** « Mathieu Guidere بأنّ الدين كان أهم عامل في تعريف الحضارة لدى **هانتنغتون**، كما أنّه حسب تصوره فإنّ العالم في القرن العشرين سوف يكون مقسما إلى كتل حضارية متعارضة متصارعة بسبب الدين، رغم أنّ الإحصائيات تثبت حسب رأيه بأنّ الصراعات الحضارية لم تكن أكثر حدة من الصراعات غير الحصارية »[1].

كما يرى آخرون بأنّ « تصنيف **هانتنغتون** للحضارات كان مثيرا للجدل، فإذا كانت الحضارة تعرّف بعناصر مشتركة منها اللغة، الدين، التاريخ، و العادات و المؤسسات، فلماذا يميز بين أمريكا اللاتنية، و الحضارة الغربية؟ علما بأنّ الأوروبيين أدخلوا إلى هذه القارة اللغة، و العقيدة الدينية. كذلك ماهي روسيا إن لم تكن غربية؟ نعم لقد وضع نزاع الحرب الباردة أوروبا في سياق صراعي، لكن الأرثوذوكس أوروبيين، كما أنّ الأرثوذوكسية جزء من الثقافة الغربية » [2].

و من خلال هذه الجزئية من البحث نستنتج بأنّ **هانتنغتون** كان متأثرا بالفهم الأنثروبولوجي في تعريفه للثقافة لأنّه ركز على دورها في تمييز جماعة عن أخرى، و في تصنيفه للحضارات يركز على الإختلافات الموجودة بينها، لكنّ أهم عامل في الإختلاف هو الدين، وبالتالي فإنّ نظريته تبدو و كأنها خريطة دينية.

ما يمكن استخلاصه كذلك هو أنّ **هانتنغتون** انطلق من الدين كمعيار لجمع شعوب معينة داخل إنتماء مميز، و في نفس الوقت وظفه كمعيار لإلغاء الإختلافات داخل كل إنتماء. فقد ميز بين المسلمين و المسيحيين مثلا إنطلاقا من الدين، كما ميز بين البروتستانتيين

[1] – Mathieu Guidere,**the Clash of Perceptions**, **Das Defense Concepts Seriecentre for Advenced Defense** ,2006, Washington,pp,2-3.

[2] - Jean J-Kirk-Patrick**, The Modernizing Imperative, The clash of civilizations ?the debate**, **Foreign Affairs**,op.cit p,63.

و الأرثوذوكس إنطلاقا من العقيدة الدينية.أماعلى المستوى الداخلي لكل فئة فإنّ الدين في نظره عامل جمع، فهو لا يهتم على سبيل المثال بالتنوعات التي قد تكون موجودة بين المسلمين.

<u>المطلب الثاني</u>: الحضارات كلاعبين سياسيين متصارعين

بما أنّ **هانتنغتون** ينظر إلى العالم على أساس أنّه كيانات حضارية متناقضة فما هو دور الدولة من منظوره؟ و هل أنّ الحضارة قد حلت مكانها؟

نشير إلى أنّ النظريات كانت تهتم ببعدين هما: عدد القوى و الصراع، كما كان هناك اهتمام بطبيعة اللاعبين، لكن بسبب تسارع الأحداث وجدت الفرضيات النظرية نفسها عاجزة عن فهم العالم و نتيجة لهذا المأزق تفجرت النظريات التحليلية التي من خلالها يمكن فهم العالم، خاصة بعد أن أخفقت نظرية الواقعيين المبنية على مركزية الدولة، نظرا لظهور لاعبين آخرين على الساحة الدولية. لذلك ظهرت تساؤلات منها :هل يجب الأخذ بأطروحة **فوكوياما**؟ أم يجب تبني أطروحة **هانتنغتو** »[1] ؟

يغتنم **هانتنغتون** هذا العجز المسجل على المستوى التنظيري لكي يحدد اللاعبين الأساسيين. لكن ينبغي أن نلقي أولا نظرة على تركيبة الحضارة من وجهة نظره، حيث أنّ الحضارات التي حددها تختلف من حيث تركيباتها البشرية، و من حيث الدول التي تنتمي إليها.

حسب **هانتنغتون**« توجد حضارات تضم عددا كبيرا من البشر كما هو الشأن بالنسبة للصين، و هي حضارة تدعي بأنها دولة، و قد نجد حضارات لا تضم سوى دولة واحدة كما هو الشأن بالنسبة لليابان مثلا. أما بعض الحضارات فهي تضم عددا محدودا من الناس و هذا ينطبق على الكاريبيين الناطقين

[1] -Henri Mova Sakanyi,,**comprendre la fin de la guerre froide et la Mondialisation,** L'harmattan,2009,Paris, pp, 12-13.

باللغة الإنجليزية. فيما يتعلق بحضارات أخرى مثلما هو الشأن بالنسبة للحضارة الغربية، الإسلامية، و حضارة أمريكا اللاتنية فهي تضم عدة دول »[1].

بمعنى أنه ينظر إلى الدولة في إطار حضاري، و الحضارات التي عددها سابقا هي وعاء الدول، و كأنّه لا وجود لأية دولة إلا في إطار حضاري معين.

أما شكل عضوية الدولة فيحدده كما يلي:« العالم يصبح تجمعات حضارية كل واحد يضم دول مركز و دولا أعضاء » [2].

أي أنّه توجد حضارات لها دول مركز، و أخرى ليست كذلك، مع العلم أنّ دولة المركز في نظره هي الدولة التي تكون قوية و ثقافتها مركزية و محورية في الحضارة، و عدة دول قد تؤدي هذا الدور.« في بعض الحضارات نجد الدولة الحضارة هي في حد ذاتها دولة المركز، و بالنسبة لحضارات أخرى كالصينية، و الهندوسية، و الأرثوذوكسية لكل واحدة منها دولة مركز، أما فيما يتعلق بالحضارة الغربية فهي تمتلك أكثر من دولة مركز، فالولايات المتحدة دولة مركز فيها، لكن لها دول مركز أخرى أوروبية. أما الحضارات المتبقية و هي الإسلامية، و الإفريقة ، و أمريكا اللاتنية، فليس لها دول مركز » [3].

و هنا نلاحظ بأنّ **هانتنغتون** يحتفظ بمعيار القوة و يركز عليه لأنّه عندما تحدث عن دول المركز في الحضارات أراد أن يظهر الطرف القوي في كل حضارة، لكنّه ينظر إلى الدولة في إطار الحضارة.

و قد كانت هذه المسألة مثيرة للجدل حسب الكثير من الباحثين، حيث أنّ **فؤاد عجمي** Fouad Ajami « اعترض على ذلك مبينا بأنّ الحضارات لا تراقب الدول بل أنّ الدول هي التي تراقب الحضارات » [4].

---

[1] – صامويل.بي هانتنغتون الإسلام و الغرب ، ص، 9.

[2] – صامويل بي هانتنغتون.صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،253.

[3] – المصدر نفسه، ص ص،221–222.

[4] -Fouad Ajami,**The Dangers Of decadence The Clas Of Civilizations The Debate,foreign Affairs**.op.cit,p,44.

إلا أنّ **هانتنغتون** رد على ذلك مشيرا إلى أنّه « لا جدوى من الحديث عن الدول و الحضارات من حيث المراقبة، إنّ الدول في نظره بطبيعة الحال تحاول أن تحقق توازن القوة، لكن لو كان هذا هو كل ما تقوم به لكانت دول أوروبا الغربية قد انضمت إلى الإتحاد السوفياتي ضد الولايات المتحدة بعد1940. إنّ الدول تحاول تحديد التهديدات، و الدولة القومية سوف تبقى لا عبا حقيقيا في شؤون العالم، لكن مثلما كانت دولة قومية تنتمي إلى أحد الأطراف الثلاثة في الحرب الباردة، فإنّه بزوال هذه العوالم، فإنّ الدول القومية أصبحت بشكل قوي تدافع عن هويتها و مصالحها بناءا على البعد الحضاري، و دول أوروبا الغربية أصبحت تدرك وجود تهديد ثقافي Cultural threat مصدره الشرق »[1].

أي أنّ الأحلاف الإيديولوجية حسب **هانتنغتون** قد زالت، لذلك فإنّ المعيار الذي من خلاله تحدد الدول مصالحها هو الثقافة، لقد أصبحت هي المنطلق الذي على أساسه تتكتل الدول، فأوروبا الغربية مثلا و هي ذات ثقافة مميزة، أصبحت تتصور نفسها مهددة بأخطار ثقافية، إذن فالمتغير الأساسي هنا هو الحضارة، و ليس الدولة .

بل أنّ **هانتنغتون**« يوافق على التقسيم الذي ذكره **هنري كيسنجر**kissinger Henry عندما قال بأن النظام العالمي في القرن الواحد و العشرون سوف يكون مشكلا من قوى رئيسية عددها ستة على الأقل وهي: الولايات المتحدة، أوروبا ، الصين، اليابن، روسيا، وربما الهند، وهذه القوى تنتمي إلى ست حضارات مختلفة، يضاف إلى هذه الكتل مجموعة من الدول الإسلامية التي تمتلك قوة التأثير على الشؤون العالمية بسبب عوامل منها مواقعها الإستراتجية و مواردها البترولية »[2].

[1] -SamuelP. Huntington,**If not civilizations what ? The Clas Of Civilizations The Debate,foreign Affairs,** Op.Cit P,80.

[2]– صامويل بي هانتنغتون،صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،46.

يفهم من هذا بأنّه إذا كانت نظريات الفكر السياسي تقوم على تحديد الأطراف القوية، فإنّ **هانتنغتون** يربط بين القوة و انتمائها الحضاري. و إذا حاولنا الوقوف على نسقية فكره بدءا من تعريف الحضارة، إلى تقسيمه لحضارات العالم يمكن لنا أن نستنتج بأنّ **هانتنغتون** و ضع هدفا منهجيا كان يسعى إليه ألا وهو الوصول في نهاية المطاف إلى حتمية الصدام بين حضارات العالم التي حددها، و بالتالي استبعاد إمكانية جمع شعوب العالم في إطار حضارة عالمية.

هذا ما وضحه **محمد عابد الجابري** الذي أشار إلى« وجود هدف من وراء توظيف **هانتنغتون** للثقافة بهذا الشكل، فالغاية من التمييز بين الثقافة و الحضارة على أساس أن هذه الأخيرة أوسع مستوى من مستويات الثقافة، هو الوصول إلى نتيجة ألا وهي استحالة جمع المجموعات البشرية في كيان حضاري أعلى، و بعدها بسهولة يمكن القفز إلى إلى نتيجة أخرى وهي أن الصراع العسكري مر بتطورات حيث انتقل من مستوى الأمراء و الأباطرة إلى الملكيات، ثم صار بين الدول القومية، بعدها تحول إلى صراع أطرافه معسكرات ايديولوجية، و أخيرا سيتحول إلى المستوى الحضاري » [1].

و نستخلص أنّ اهتمام **هانتنغتون** بحضارات العالم كان يهدف في الحقيقة إلى تحديد اللاعبين السياسيين، و بهذا يكون قد غير معادلة الصراع، لأنّه عوض الدولة بالحضارة، و جعل هذه الأخيرة وحدة أساسية للتحليل في مجال الفكر السياسي، و هو أمر لم يكن معهودا. لكن كيف يوظف **هانتنغتون** الحضارة كمتغير تفسيري للصراعات السياسية؟

[1] – محمد عابد الجابري،قضايا في الفكر العربي المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ط1،1997،ص،1001.

المبحث الثالث: براديغم الحضارة في تفسير الصراعات السياسة من وجهة نظر

هانتنغتون

سجل الملاحظون بعد نهاية الحرب بأنّ المفهوم الأنثروبولوجي للثقافة سيطر على أذهان الباحثين، لأنّه ينسجم مع أهداف علماء السياسة المتمثلة في رصد الإختلافات بين الشعوب و الجماعات بناءا على التباينات الثقافية. و حول هذا الأمر يوضح **يوسف لبيد** Youcef.Lapid بأنّ« هذا التوجه برز بعد انتهاءالحرب الباردة،لأنّ إنهيار الإتحاد السوفياتي فاجئ المنظرين الذين لم تكن نظرياتهم متماشية مع ظاهرة إنبعاث الهويات القديمة »[1].

كما أصبح أهم شيء في الثقافة يتمثل« في فكرة الإختلاف و قدرتها على تركيب هوية تميز شعبا أو جماعة عن الشعوب الأخرى. أي أنّ مفهوم الثقافة تم تضييقه، و حصره في فكرة الهوية » [2].

هذا ما لاحظناه بوضوح على **هانتنغتون** في حد ذاته، عندما تناولنا نظرته إلى الحضارة، لكنّ تصوره لها كان يهدف إلى غاية، ألا وهي تأسيس منهج ينطلق من الحضارة كمتغير لفهم الصراعات السياسية.

و أول شيء يبدأ به هو ضرورة توفر منهج، حيث أنّنا في نظره بحاجة إلى طريقة نسير عليها في استقصائنا للصراعات:« بيد أنّنا إذا كنا نريد أن نفكر جديا بشأن العالم و نعمل

[1] -Youcef Lapid, Friederich Kratochwill,**The return of culture and identity in IR-theory,** Lynne Rienner publishers.Inc,United states of America ,1996, p21.

[2] - Julie Reeves,**culture and international relations** Op.cit,p,137.

فيه بفعالية، فمن الضروري أن يكون لدينا خريطة حقيقية موضحة و نظرية ما و مفهوم و نموذج، بدون هذه البنى الفكرية لن يكون سوى "ارتباك" "طنطنة"و "فوضى" كما يقول **وليام جيمس** »[1]

المقصود هنا هو أنّه يريد أن يفهم العالم، لذلك فهو يبدأ بتحديد المنهج لكي يتمكن من تجنب الفوضى التي تعيق فهم الواقعة المدروسة، و المتمثلة في المتغيرات الجديدة في عالم السياسة.

كان **هانتنغتون** « يحاول أن يجسد أفكار **توماس كون** Thomas kuhn الذي اشتهر بأرائه حول نظريات العلم، و التي من أهمها الدعوة إلى ضرورة استبدال النموذج العاجز عن فهم المستجدات بآخر يفسر الحوادث بطريقة مرضية »[2].

بمعنى أنّه أراد أن يبني نموذجه* على مرتكز منهجي أساسه موجود في نظرية هذا العالم، الذي« اشتهر باستعمال مصطلح براديغم** Paradigm أو نموذج إرشادي كما و ضح هذا العالم بأنّ النماذج الجديدة في العلم تثبت نجاعتها مقارنة بما سواها بناءا على مدى قدرتها على حل مشكلات حادة صادفها فريق من الباحثين »[3].

---

[1]– صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص، 49.

[2]- Samuel p Huntingtun, **if not civilizations what ?The clash of civilizations ?the debate, Foreign Affairs**,Op.cit, p,72.

*– مصطلح نموذج يشير عادة إلى تقاليد عامة أو افتراضات و أدوات تكتيكية لأنظمة علمية،و يكتسب النموذج مكان النظرية عندما يتحول إلى أداة قابلة للتطبيق الكافي، اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي،الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية(عربي–انجليزي)مركز الإسكندرية للكتاب،2005،ص،469.

**– البراديغم أو النهج العام يقصد به النضج العام لأي فرع من فروع العلم بحيث يتبناه غيره من العلوم و يصبح قابلا لأن يعمم.اسماعيل عبد الكافي،الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية(عربي–انجليزي)مركز الإسكندريةللكتاب،2005،ص،469 .

[3]–توماس كون، .بنية الثورات العلمية ،ترجمة شوقي جلال،عالم المعرفة نجمهورية الكويت، 1962،ص،54.

استنادا إلى هذه الإعتبارات فإنّ المشكلات التي تعترض الباحثين موجودة إذ بعد التطورات التي حدثت في العالم، لم تعد النظريات السابقة تمتلك القدرة على فهم ما يجري من حوادث، لذلك يحاول **هانتنغتون** إحداث ثورة منهجية في علم السياسة. أما أهم شيء في نظره فيتمثل في تحديد نموذج واضح تبسيطي يمكن الباحث من القيام بما يلي:

« 1- القدرة على القيام بترتيب و تعميم الوقائع.

2- التمكن من فهم العلاقات السببية بين الظواهر .

3- القيام بتنبؤات مستقبلية إذا أمكن ذلك.

4- التمييز بين ما هو مهم و ما هو غير مهم.

5- رؤية الطرق التي يجب اتباعها لتحقيق الأهداف » [1].

و يمكن شرح منهج **هانتنغتون** بناءا على فكرتين أساسيتين هما الهدم و البناء، الأولى نشير من خلالها إلى رفضه للنماذج التفسيرية السابقة، و الثانية تعني البديل المنهجي الذي يقدمه.

أولا : الهدم:

رفض **هانتنغتون** النماذج التي كانت سائدة و التي كان يعتمد عليها المفكرون في دراستهم للصراعات السياسية و من بين هذه النماذج التي رفضها :

1-النموذج القائم على البهجة و التوافق: هذا النموذج كما يوضح **هانتنغتون** « يفترض بأنّ العالم قد دخل في مرحلة توافق بعد نهاية الحرب الباردة، و هو يشير هنا إلى أطروحة نهاية

[1]- صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي الجديد ، ص، 50.

التاريخ التي نظّر لها **فرنسيس فوكوياما** الذي ظن بأن الصراع الكبير في مختلف أنحاء العالم قد انتهى، بعد أن سجلت الليبيرالية انتصارها على النظام الإشتراكي ».[1]

لقد تبدد التوافق في نظره و ذلك لأنّه بعد« نهاية الحرب الباردة بخمس سنوات حدثت صراعات عرقية، كما برزت أشكال جديدة من التحالفات و الصراعات بين الدول، و تم تسجيل انبعاث حركات شيوعية و فاشية جديدة بالإضافة إلى اتساع الأصولية الدينية ».[2]

و هنا نسجل التعارض الواضح بين نظرة **فرونسيس فوكوياما** و **هانتنغتون**. الأول تصور« بأنّ سعي الشعوب من أجل نيل التقدير و الإعتراف سوف يجعل الشطر الأكبر من البشرية تسير صوب الديموقراطية الليبيرالية، بل أنّ كل الثقافات سوف تطمح إلى الديموقراطية الليبيرالية ».[3]

أما نظرة **هانتنغتون** فقد كانت تشاؤمية لأنّه تصور خصوما للحضارة الغربية، كما أنّه لم يؤيد فكرة انتصار الليبيرالية و دخول العالم في مرحلة توافق تتميز بزوال الصراعات بين البشر.

و قد أدرك الكثير من الباحثين الإختلافات الواضحة بين هاتين النظريتين،« فأطروحة نهاية التاريخ كانت مبنية على نظرة متفائلة، و على الأمل في إمكانية تحقيق التوافق بفضل الديموقراطية الليبيرالية و عولمتها، و نظرة كهذه منسجمة مع المواقف الداعمة لمشروع العولمة الإقتصادية، و من بينهم **توماس فريدمان**Thomas Freidman ».[4] أما **هانتنغتون** فقد استبعد ذلك .

2-نموذج عالمان :« رفض كذلك **هانتنغتون** النموذج الذي ينظر إلى العالم بناءا على تقسيم ثنائي، هذا المنهج حسب رأيه كان سائدا عبر التاريخ، حيث أنّ الناس يميلون إلى تقسيم

---

[1] - Samuel p Huntingtun,**if not civilizations what ?The clash of civilizations ?the debateForeign Affairs,** Op.Cit ,p,81.

[2] – **صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،53.**

[3] –**فرنسيس فوكوياما،نهاية التاريخ و خاتم البشر،ترجمة :عادل زعيتر ،كلمات عربية للترجمة و النشر ،القاهرة ،ط1،1993، ص،56.**

[4] - Stanley Hofmann,**The Clash Of Globalizations**,**the clash of civilizations ?the debate,Foreign Affairs,**Op.cit pp,88-89**.**

بعضهم إلى طرفين هما: نحن و هم، كما قسم الباحثون العالم إلى شرق و غرب، إلى شمال و جنوب »[1].

حسب **هانتنغتون**« التقسيم الذي قدمه الباحثون الأمريكيون بعد الحرب الباردة ينظر إلى العالم على أساس أنّه مكون من مناطق سلام و مناطق حرب، الأولى تضم الغرب و اليابان، أما مناطق الحرب فهي تضم الجزء المتبقي من العالم. و توجد تقسيمات أخرى منها ذلك الذي يقوم على التمييز بين دول متقدمة و أخرى فقيرة، و كذلك التقسيم الذي يستند إلى التمييز الثقافي بين الشرق و الغرب. لكن التقسيم المبني على الفوارق الإقتصادية لا يمكن أن يفسر ظاهرة الصراع و ذلك لأنّ الصراع بين عالم غني و آخر فقير لا يحدث إلا إذا قامت الدول الغنية باستعمار الدول الفقيرة، أما حاليا فقد زال الإستعمار بحروب تحرير تلتها حروب داخل الدول التي تحررت، بالإضافة إلى ذلك فالدول الفقيرة لا تمتلك الإمكانيات الكافية لمواجهة الدول القوية »[2].

إذن يرفض **هانتنغتون** التقسيم الذي يستند إلى العامل الإقتصادي و بالتالي فهو يتجاهل الأسباب الإقتصادية للتوترات التي عرفها العالم، و هو بهذا لا يتبنى نظرة شمولية للأوضاع، كما أنّه يختلف عن المفكرين الذين اعتبروا تلك التوترات مرتبطة بتطورات الليبيرالية.

3-نموذج الدولة القومية: والمقصود هنا هو النظرية الواقعية* في مجال العلاقات الدولية** و هي تعتبر الدول القومية لاعبين أساسيين في شؤون السياسة الدولية. يرى **هانتنغتون**« بأنّ

---

[1]- صامويل بي-هانتنغتون.صدام الحضارات،اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،53.

[2]- المصدر السابق،ص،54.

*- واقعية، هي النظرة السائدة للعلاقات الدولية، و تشدد النظرة الواقعية على الطبيعة التصادمية للسياسة الدولية،كما تصفها بالإضطراب و التنافس. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي،الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية(عربي-انجليزي)مركز الإسكندرية للكتاب،2005،ص،483.

الـدول القوميـة سـوف تسـتمر بـدورها الفعـال فـي السياسـة الدوليـة، لكـن الصـراعات الأساسـية للسياسـة الكونيـة سـوف تكـون بـين جماعـات و أمـم مـن حضـارات مختلفـة، و صـراع الحضـارات هو الذي سوف يهيمن على السياسة الكونية »[1].

يضـيف بـأن« الـدول لا تسـتعمل فقـط لغـة القـوة و لا تسـعى فقـط إلـى تحقيـق تـوازن القـوى، و لـو كـان هـذا الأمـر صـحيحا حسـب رأيـه لوقفـت دول أوروبـا الغربيـة إلـى جانـب الإتحـاد السوفياتي ضد الولايات المتحدة الأمريكية أواخر الأربعينيات »[2].

كمـا يوضـح « بـأنّ الـدول أصـبحت تحـدد مصـالحها انطلاقـا مـن أبعـاد حضـارية، الـدول المتقاربـة ثقافيـا تتحـالف، مـن جهـة أخـرى فالـدول غالبـا مـا تكـون فـي علاقـة صـراع مـع الـدول التـي تنتتمـي إلـى ثقافـات مختلفـة، بـل أنّ الإعتبـارات الثقافيـة تحـدد نوايـا الـدول تجـاه بعضـها، حيـث أنّـه عـادة مـا يتوقـع الخطـر مـن دولـة مختلفـة ثقافيـا، بينمـا تسـتبعد التهديـدات مـن دول متقاربـة فـي الدين و اللغة »[3].

يُفهـم مـن هـذا أنّـه أراد أن يتجـاوز التقليـد الـواقعي فـي العلاقـات الدوليـة الـذي يقـوم علـى اعتبـار الدولـة فاعـل أساسـي، و يمكـن القـول أنّ رؤيـة **هـانتنغتون** قـد تبـدو متناسـبة مـع التحـولات الجديـدة التـي طـرأت علـى الدولـة القوميـة، و أدت إلـى تقلـيص سـيادتها بسـبب ثـورة الإتصـالات، و كذلك بسبب مشكلات دولية كالجرائم المظمة و تجارة الممنوعات و الأسلحة.

****–العلاقات الدولية حسب تعريف بعض الباحثين و من بينهم ريمون ارون تمثل العلاقات بين الوحدات السياسية الموجودة في العالم منذ عصر دولة المدينة الإغريقية إلى عصر الدولة القومية المعاصرة،في نظر بعض الباحثين و من بينهم د،محمد طه بدوي العلاقات بين الدول أصبحت أكثر اتساعا و تشمل الجوانب السياسية ،الثقافية ،و الإقتصادية أنظر.محمد سعد أبو عامود ،العلاقات الدولية المعاصرة ،دار الفكر الجامعي الإسكندرية، 2013،ص،1.**

[1]– Samuel p.Huntington,**the clash of civilizations ? Foreign Affairs** ,Op.cit,p,22.

[2]–صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات. اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،56.

[3]–المصدر نفسه ،ص،57.

كل واحد من النماذج المذكورة حسب **هانتنغتون** يظهر العالم على صورة معينة و بالتالي فلا بد من نموذج آخر:« و التحدي هو أن نبني نموذجا يفسر الأحداث الأكثر أهمية و يقدم لنا فهما أفضل للتوجهات عما تقدمه النماذج الأخرى في نفس المستوى من التجريد الذهني » [1].

نستخلص أنّ **هانتنغتون** يرفض النظريات السابقة للعلاقات الدولية، و هو غير مقتنع بإنتصار الديموقراطية الليبيرالية و زوال الصراعات، و أخيرا فهو لا يقبل بالتفسير الإقتصادي للصراعات الموجودة في العالم.

ثانيا:

البناء: يرى **هانتنغتون**« بأنّ الحاجة إلى نموذج جديد استدعتها التغيرات التي حدثت في عالم السياسة، و الفرضية التي يقيم عليها نموذجه تقوم على الإعتقاد بأنّ المصدر الأساسي للصراعات في هذا العالم الجديد لن يكون بالدرجة الأولى إيديولوجيا، أو إقتصاديا، و إنّما الثقافة سوف تكون سبب الإنقسامات و الصراعات بين البشر » [2].

هذا البديل الذي يقدمه « يقوم على النظر إلى العالم على أساس أنّه مكون من سبع أو ثماني حضارات، و هو يقدم اطارا سهلا لفهم العالم كما يمكننا من التمييز بين الصراعات المهمة و غير المهمة، و من مميزات هذا النموذج كذلك، أنّه يبنى على النماذج الأخرى و يتكامل معها و ينفرد بتناغمه مع بقية النماذج بدرجة تفوق تناغم هذه النماذج مع بعضها »[3]. لكن هذا النموذج يقوم على بعض الإعتبارات منها:

[1] – صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات. اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،59.

[2] - Samuel p.Huntington,**the clash of civilizations ? Foreign Affairs**, Op.Cit,p,22.

[3] – صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات. اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،60.

« – رغم وجود اندماج قوي في العالم إلّا أنّه توجد قوى مضادة من التوكيد الثقافي و الوعي الحضاري.

– اعتبار العالم مقسم إلى طرفين هما الغرب كحضارة سائدة و الآخرون الذين لا تجمعهم أشياء مشتركة.

– رغم استمرار الدول القومية كأطراف فاعلة إلا أنّ الأبعاد الثقافية و الحضارية هي التي تحدد علاقاتها

– العالم مليء بالصراعات أخطرها هي التي تدور بين جماعات تنتمي إلى حضارات مختلفة »[1].

هذا التفسير حسب **هانتنغتون**« يختلف تماما عن ذلك الذي كان معتمدا خلال الحرب الباردة حيث كان يُنظر إلى العالم على أساس أنّه مكون من تجمعين أحدهما بقيادة الولايات المتحدة، و آخر يقوده الإتحاد السوفياتي، و كانت معظم المواجهات تقع خارج التجمعين. لكن بحكم التطورات فالمرحلة الجديدة تختلف، حيث أنّه بعد خمس سنوات من انتهاء الحرب الباردة أثبتت التحولات الدراماتيكية عدم نجاعة النموذج الذي كان سائدا من قبل و أصبح من الضروري فهم التطورات بنموذج جديد »[2].

لإثبات فعّالية منهجه يحاول **هانتنغتون** حشد مجموعة الحوادث التي تثبت صحة النموذج الذي اقترحه، والتي كانت قد وقعت بعد شهور فقط من نشره لمقاله حول صدام الحضارات سنة 1993 في مجلة الشؤون الدولية، و من بينها:

[1]-المصدر السابق،ص ص،**60– 61**.

[2] - Samuel p Huntingtun,**if not civilizations what ?The clash of civilizations ?the debate,ForeignAffairs**,Op.Cit,p,73.

« – عدم قدرة الغرب على مساعدة مسلمي البوسنة، و عجزه كذلك عن إدانة الكروات بسبب عنفهم رغم إدانته للصرب.

– إعلان الهيئات المسؤولة في وزارة الدفاع الأمريكية عن حربين محتملتين الأولى ضد كوريا الشمالية، و الثانية ضد إيران أو العراق.

–قيام أمريكا مدعومة بتأييد دول غربية بتوجيه ضربات عسكرية ضد بغداد، و وقوف المسلمين ضد هذا التصرف.

– إعلان الولايات المتحدة للسودان كدولة داعمة للإرهاب.

– الانتخابات البرلمانية الروسية التي أظهرت روسيا كبلد ممزق " Torn contry* " متدبدب بين التوجه نحو الغرب، أو معارضته »[1].

« – عدم نجاح الغرب في دعم مسلمي البوسنة أو إدانة جرائم الكروات بنفس الحدة التي أدين بها الصرب.

– تصاعد الحرب بين الأرمن و الأذريين.

– المواجهات في و سط آسيا بين الروس و المجاهدين.

– عدم تدعيم روسيا للمواقف التي دعت إلى إجبار الصرب على عقد سلام مع الحكومة الكرواتية، و قيام دول إسلامية و من بينها ايران بتقديم عروض لدعم مسلمي البوسنة بالجنود من أجل حمايتهم.

– الإقتراع الذي كانت أبعاده حضارية و الذي منح تنظيم أولومبياد سنة2000 لسيدني و لم يمنحها للصين »[1].

*–هذا المصطلح يطلقه هانتنغتون على دول فشلت في تحقيق تحول حضاري،مثل تركيا،روسيا،و المكسيك.

[1] - Samuel P.Huntington,**The Clash Of Civilizations And The Remaking Of World Order**,Op.Cit,pp,38-39.

« – دعوة الرئيس الإيراني لتحالفات مع الصين و الهند.

– بيع الصين لمكونات صواريخ لباكستان و تفجر نزاع بين الصين و الولايات المتحدة حول نقل تكنولوجيا الأسلحة النووية »[2].

الحوادث المذكورة من وجهة نظر **هانتنغتون** أدلة على دور المتغير الثقافي في مختلف الصراعات التي شهدها عالم ما بعد الحرب الباردة.

يضيف **هانتنغتون** توضيحات أخرى تتعلق بمنهجه، حيث يحاول اختباره من حيث قدرته التنبؤية، و يوضح بأنّه « إذا كان نموذج الدولة قد تنبأ بقيام حرب بين روسيا و أوكرانيا، فإنّه من منظور حضاري من المستبعد أن تقوم قيام حرب بين البلدين لوجود روابط بينهما ، و اختلاط الروس بالأوكرانيين. كما يركز نموذج الحضارة على التقسيم الفاصل بين أوكرانيا الأرثوذوكسية، و أوكرانيا الغربية المنتمية للكنيسة الشرقية، و يرجح انقسامها إلى طرفين لكنّ العنف سيكون أكثر من تشيكوسلوفاكيا، و أقل دموية من الذي وقع في يوغوسلافيا » [3].

و ما نسجله هو أنّ **هانتنغتون** اجتهد في تأسيس نموذج يقوم على البعد الحضاري من أجل فهم العالم، لكنّه كان مترددا بين قبول المناهج السابقة، و إلغائها، فهو لم يعتبرها خاطئة بصورة مطلقة.

نضيف كذلك بأنّه رغم إصراره على إحداث ثورة في الفكر السياسي إلاّ أنّ **الجابري** « يرى بأنّ منهجه في بعض الجوانب لا يختلف عن منهج **ماركس**. فهذا الأخير جعل البورجوازية، و البروليتاريا قلبي الصراع الوطني و العالمي و القوى الأخرى الموجودة بينهما هي أحلاف. أما **هانتنغتون** فرغم تعارضه معه إلا أنّه سلك نفس النهج حيث أنّ بعض

---

[1] - Samuel p Huntingtun,**if not civilizations what ?The clash of civilizations ?the debate,ForeignAffairs,**Op.cit,p,75.

[2] - ipidem.

[3] – صامويل بي–هانتنغتون.صدام الحضارات. اعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،62.

الحضـــارات، الروســـية و اليابانيـــة اعتبرهـــا قابلـــة للإنـــذماج فـــي الغـــرب، أمـــا حضـــارات أخـــرى كالأمريكيـة اللاتنيـة فقـد اسـتبعدها »[1]. و مـن توضـيحات **الجـابري**، نسـتنتج بـأنّ **هـانتنغتون** غيّـر مجـال الصـراع، فبعـد أن كانـت أطرافـه مـن منظـور الماركسـية موجـودة داخـل المجتمـع الرأسـمالي، قام بنقلها إلى كل العالم.

و يقدم بعض الباحثين جملة من الملاحظات المنهجية على هذه النظرية ; حيث أنّ عالم الإجتماع **فيتوريو كوتيستا***VittorioCotesta يوضح بأنّه« إذا كان **هانتنغتونغ** قد أراد أن يقدم تبريرا نظريا لأطروحته justification théorique من خلال إقامتها على على مبادئ، هي:التنظيم و التعميم، فهم الأسباب، ثم التنبؤ إن كان ممكنا، مع توضيح كيف نصل إلى الأهداف، فإنّه يوجد تناقض بين الجانب النظري لمعياره العلمي و جانبه الإجرائي. السبب في نظره هو أنّه من جهة يؤكد بأنّ العالم أثناء الحرب الباردة كان منظما على أسس سياسية إقتصادية، بعد الحرب الباردة أصبحت الحضارات و الثقافات هي الفاعل الأساسي، في نظره لم يقم **هانتنغتون** بأي تعميم، على أساس أنّه من جهة يعتبر التاريخ قائما على الحضارات، و من جهة أخرى يحصر البعد الحضاري في مرحلة محددة »[2].

[1] - Mohamed Abed Aljabri ,**Confluences Méditerranée**,Op.Cit, p,35.

[2]- Vittorio Cotesta,**image du monde et société globale,**les presses de l'université Laval,2006,Canada,pp146-147.

تعقيب:

بما أنّ **هانتنغتون** يعتبر الدين أهم مكون في الثقافة، سواء تعلق الأمر بالهويات الثقافية الضيقة أي الجماعات الصغيرة، أو بالهويات الأوسع المتمثلة في الحضارات، و طالما أنّه يعتبر الصراع أمرا محتوما، فإنّه من الأهمية البالغة أن نطرح تساؤلا: ألا يمكن اعتبار نموذج **هانتنجتون** براديغما دينيا؟ و ما هي التداعيات التي تترتب عن ذلك؟

مبرر هذا التساؤل هو أنّ **هانتنغتون** بدون تردد يبين بأن الحروب و الصراعات دينية بالأساس، خاصة وهو يعلن بأنّ الدين بشكل متزايد أصبح يتدخل في الشؤون الخارجية بين الدول:« نموذج التداخل الحضاري الذي كان قائما على خلافات سياسية سوف يعوض بصراع بين الحضارات و الأديان: Clash of culture intercivilizational and religion.[1] »

لذلك يمكن القول بأنّ مقولة **هانتنغتون** حول الصراع تقوم على مصادرة واضحة مفادها، أنّ المواجهة بين الحضارات حتمية طالما أنّ لكل حضارة دين يميزها. و تفسير كهذا يمنح تبريرا لبعض السياسات التي تسعى إلى تأجيج الخلافات الدينية في العالم و استغلالها.

و يؤكد بعض الباحثين« بأنّ مهندسي السياسة في الدول الغربية اهتموا بدور الدين، و من أشهرهم **زيبغنيو بريجنسكي** الذي دعى إلى استراتيجية إحياء الأصوليات المسيحية، اليهودية، و الهندوسية، و الإسلامية وغيرها، وذلك من أجل تحقيق أهداف أهمها إفشال الأنظمة الشيوعية، إنطلاقا من نظرية ضرب أسفل الجدار، أي توظيف القوة البشرية بتحريك المكونات الدينية للتخلص من الإتحاد السوفياتي. الهدف الثاني هو تفكيك الدول طائفيا و التخلص من الحركات التحررية، و بهذه الصورة سوف يتم قدف كرة الصراع إلى صراعات

[1]- Samuel P.Huntington **The Clash Of Civilizations And The Remaking Of World Order**Op.Cit,p,54.

دينيـة طائفيـة غيـر مفهومـة و بهـذه الطريقـة يخـرج الغـرب مـن معادلـة الصـراع لتحصـر المسـألة فـي صراع الأديان و الحضارات » [1].

و علـى الصـعيد الفكـري فسـحت أطروحـة **هـانتنغتون** المجـال لظهـورر مقاربـات جديـدة تؤسـس لمـا يسـمى بـالبراديغم الـديني فـي مجـال السياسـة، حيـث ظهـرت أراء تفسـر مـا يحـدث فـي العـالم إنطلاقـا مـن تضـارب الأديـان. و مـن أبرزهـا« مـا قـام بـه **إريـك هانسـون** Erik– O.Hanson الـذي نظّـر لنمـوذج يقـوم بالأسـاس علـى الـدين، و هـو يؤيـد **هـانتنغتون** فيمـا يتعلـق بـدور الـدين فـي الحضـارة، كمـا سـعى إلـى تقـديم رؤيـة مبنيـة علـى الـدين تسـاعد طـلاب العلـوم السياسية في نظره على فهم التحولات السريعة التي حدثت على الساحة الدولية »[2].

ليس هذا فحسب بل كان لهذه النظرية صدى على نظريات العلاقات الدولية بدليل ظهور علماء سياسة و باحثين يعتمدون على الدين في فهم السياسة الخارجية. حيث أنّ« **جيان ماير فرانسوا** Jean Mayer François قدم أطروحة حول تأثيرات الدين في العلاقات الدولية » [3] .

كما نجد الباحث الأمريكي« **مارك جورجنس ماير** Mark Jurgensmeyer الذي حاول وضع مصطلحا جديدا يعبر عن الحروب الحضارية، حيث إبتكر مصطلح الحرب الكونية Cosmic War على أساس أن المقاتلين يستندون إلى فكرة الصراع الأبدي بين الخير و الشر » [4].

كل هذه التوجهات متقاربة مع نظرة **هانتنغتون** و هي تختزل كل عوامل الصراع في الدين، و كأنّ السياسة لم تعد تتحكم في الدين، بل أنّها تخضع إليه، و هذه الفرضية لا تتماشى مع الواقع، لأنّ الدين يتم توظيفه فقط من أجل تعبئة القوى عندما يكون هناك صراع .

---

[1] **–محمد سويفي عبد الله،بريجنسكي رأس الأفعى و شيطنة سياسات أمريكا في الشرق الأوسط.**
دار الكتاب العربي دمشق القاهرة،ط1، 2013،ص ص،69–70.

[2] -Eric O.Hanson **ReligionAnd Politics InTheInternational System Today.**
Cambridge university press,New york,First published,2006,p,12.

[3] -Geoffry Delcoix **Raport Final, Futuribles/das**02 25125 novembre, 2006 Paris, P,52.

[4] -ipid p55.

تفسير كهذا في نظر الكثيرين بعيد تماما عن الواقع، فالحروب أسبابها ليست دينية، و يستبعد **تودوروف** « قدرة الإيديولوجيا و الدين على إنتاج حرب، كما يرى بأن الثقافات، و الديانات لا تتدخل في الحروب، بل أنّ الكيانات السياسية هي التي تقوم بذلك »[1]

و مع ذلك فقد و جدت الكثير من الأراء في هذه الأطروحة أداة في غاية البساطة، تعفي الباحثين من مشقة البحث و ترجع كل ما يحدث في العالم من نزاعات إلى الدين، مع إغفال العوامل الأخرى منها نضال الشعوب ضد الهيمنة.

و من خلال معالجتنا لهذا الفصل نستخلص بأنّ **هانتنغتون** يعتبر الحضارات هويات واسعة، و قد حرص على اظهار العالم في صورة صراع، لذلك منح للثقافة قدرة كبيرة على خلق هوية حضارية مغلقة، تقوم بالدرجة الأولى على المكون الديني، بعدها قام بتحديد حضارات العالم منطلقا من معيار الدين.

كما نستنتج بأنّ هدفه من تحديد حضارات العالم سياسي بالدرجة الأولى، و لم تعد الدولة هي الوحدة الأساسية في الفكر السياسي، بل استبدلها بالحضارة، وقد حاول أن يبرر ذلك انطلاقا من وقائع تؤكد من وجهة نظره أنّ الحضارة أصبحت هي الفاعل الأساسي في سلوك الدول. و النتيجة التي حاول أن يقودنا إليها هي اعتماد براديغم الحضارة المنسجم مع طبيعة المرحلة من أجل فهم مايحدث في العالم من صراعات بين مختلف الكتل الحضارية.

لكن كيف سيكون شكل الصراعات السياسية بين مختلف هذه الحضارات من وجهة نظر **هانتنغتون؟**هل أنّ كل حضارات العالم خصوم لبعضها؟ ألا تختص حضارة معينة بنوع من الاستثنائية تجعلها محورا للصراع حسب **هانتنغون؟**

[1] - تزفيتان تودوروف،الخوف من البرابرة ما وراء صدام الحضارات ،.ص،98.

كل هذه التساؤلات هي منطلقات لمقاربتنا التي ستأتي في الجزء الموالي من البحث.

الفصل الثالث

مركزية الثقافة الغربية في أطروحة صدام الحضارات

مدخل:

المبحث الأول : مركزية الحضارة الغربية لدى هانتنغتون

المطلب الأول: مركزية الحضارة الغربية في عموميتها لدى هانتنغتون

المطلب الثاني : الاستثنائية الأمريكية من منظور هانتنغتون

المبحث الثاني: الصراع بين الغرب كحضارة مركز و حضارات العالم من وجهة نظر هانتنغتون

المبحث الثالث: أطروحة هانتنغتون بين علم الحضارات و استراتجية أمن الحضارة الغربية

تعقيب:

مدخل:

إنّ ثنائية الأنا و الآخر طبيعة بشرية، فمنذ القديم كان أفراد كل أمة أو جماعة يدركون بأنّ لديهم خصائص تميزهم عن الآخرين، منها العادات و التقاليد، و اللغة، و المعتقدات، و بناءا على هذه المقومات يتكوّن لدى كل جماعة تمركز ذاتي، و هو ظاهرة اعتيادية تمارسها كل جماعة من أجل حماية نفسها، كما أنّ لكل ثقافة مركزيتها* الخاصة بها، و من الطبيعي أن ينظر أهلها إلى أصحاب الثقافات الأخرى على أساس أنّهم مغايرون لهم.

لكنّ البعض كما يوضح **تودوروف** « قد يقتنع بأنّ قيمه عالمية، فيمارس تمركزا**اثنيا ساذجا، أو دوغمائية عمياء و يصل الأمر إلى درجة الخطورة عندما تتصور جماعة بأنّه ينبغي عليها أن تعمم قيمها على العالم بأسره و أنّه يجب احتلال الآخرين من أجل تنويرهم، و قد كان ذلك منطق المنظرين للاستعمار في الماضي، و دعاة التدخل الإنساني و الديموقراطي حاليا » [1].

***– المركزية الثقافية (F) Culturocentrisme :شعور بتسامي الثقافة التي تنتمي إليها جماعة ما، هذه الظاهرة حسب الكثيرين موجودة في كل ثقافات العالم عبر التاريخ.** Kathinka Evers **Neuroéthique Quand la Matiére S éveille Odile**

Jacob Paris 2009 P 185

–كما يرى بندكت إريكسون بأنّ الجماعات الكلاسيكية الكبرى كانت تتصور نفسها مركز الكون، و أساس هذا الشعور هو لغتها المقدسة.بندكت أندرسن، الجماعات المتخيلة،ترجمة:ثائر ديب، قدمس للنشر و التوزيع،بيروت،ط1،2009،ص،57.

****– التمركز من المركزية،و هو مصطلح يشير إلى التمحور حول الذات،مركزية الإنسان في الفلسفة Anthropocentrisme تعني النزعة التي تعتقد أنّ الإنسان هو مركز العالم، و أنّ كل ما في الكون لخدمته،هذه النظرة كانت موجودة لدى الرواقيين، الشكاك، و أتباع أبيقور،كما أيدت الكنيسة هذه النزعة في القرون الوسطى.مركزية الذات Egoncentrisme(F) أو Egocentrism(E) تعني الميل إلى إرجاع كل شيء إلى الذات، الأطفال مثلا يعتبرون أنفسهم مركز العالم.إبراهيم مدكور،المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،1983،ص ص 180–181.**

[1] – تزيفيتان تودوروف، الخوف من البرابرة ماوراء صدام الحضارات،ص،19.

و يفيد تاريخ الانسانية بأنّ أفراد أمة ما انطلاقا من اعتبارات دينية، أو عرقية قد يتصورون بأنّهم ليسوا متمايزين عن غيرهم فحسب، بل أنّهم أسمى منهم، و من هنا يعتبرون أنفسهم مركز العالم، و يتعاملون مع الأمم الأخرى على أساس أنّها مجرد أحداث عارضة في هذا الوجود، و هذه النزعة تميزت بها الكثير من الشعوب،« فقد ساد بين اليونانيين تصور إثني مركزي جعلهم يؤمنون بامتياز عنصرهم عن الآخرين خاصة في المرحلة الهيلينية. لكن **أراتوستين** Eratosthene تجاوز تقسيم البشر إلى يونانيين و برابرة، و أرتأى بأنّ النصيحة التي قُدمت للإسكندر و التي من خلالها دعاه أصحابها إلى معاملة اليونانيين كأصدقاء و البرابرة كأعداء، من الأفضل أن تستبدل بمعيار الفضيلة و النزاهة، و مبرره هو أنّ الكثير من اليونانيين أشرار، كما أنّ الكثير من البرابرة لهم حضارة راقية كالهنود، و الفرس، و القرطاجيين، و الرومان » [1] .

فيما يتعلق بالحضارة الرومانية نجد بأنّ أهلها في مراحل ازدهارها اعتبروا أمتهم محور العالم، حيث يذكر المؤرخ **تـــوينبي** « بأنّ الكاتب اليوناني **آليـــوس آريســـتديس** Aelius Aristeides قال، بأنّ روما تضم إلى أحضانها جميع شعوب الأرض، فهي كالأرض تحمل على ظهرها البشر جميعا، و مثل الأنهار تلتقي بالبحر » [2].

لكنّ الرومان أكّدوا ذاتهم تجاه الآخرين، و من أجل الدفاع عن هويتهم، « انتهجوا على الصعيد الثقافي سياسة لغوية تقوم على فرض اللاتنية في كل أنحاء الإمبراطورية، بل أنّهم فرضوها كلغة وحيدة للقيادة العسكرية، مهما كانت المواطن الأصلية لوحدات جيشهم »[3].

---

[1] –تزيفتان تودوروف،الخوف من البرابرة، ما وراء صدام الحضارات ،ص،23.

[2] –أرنولد توينبي،مختصر دراسة للتاريخ،الجزء الثالث،ترجمة:فؤاد محمد شبل،المركز القومي للترجمة القاهرة،2011 ،ص،22.

[3] –المرجع نفسه،ص،86.

قـــاموا كـــذلك خـــلال القـــرنين الميلاديـــين الأول و الثـــاني بـــإجراءات لضـــمان أمـــن رومـــا Paxa Romana ، و مـــن أبرزهـــا وضـــع حـــد للحـــروب الداخليـــة بـــين القبائـــل، و لتحقيـــق الأمـــن الخارجي اهتموا بإنشاء فيالق في الجيش، من أجل احتواء المخاطر التي تأتي من الخارج .

و تعتبر روما حسب الكثير من الغربيين هي التي أنتجت المسيحية، كما أنّ إرثها الحضاري امتد إلى النهضة الحديثة في نظرهم. لكنّ الغرب حديثا بعد أن تدعّم بالعلم و التنوير أدرك تفوقه على الآخرين، لذلك أصبح الرجل الأبيض حسب **سارج لاتوش** Serge La Touche « مدعما بسحر من نوع آخر، تمثل في التقنية، التي أضافها إلى المكون الديني في سعيه من أجل نقل المسيحية إلى الشعوب المتخلفة »[1].

كانت المركزية الدينية كذلك من بين الدوافع التى وقفت وراء طموح الأوروبيين من أجل فرض نفوذهم على العالم، حيث أنّ المؤرخ **أوليفي روا** يوضح « بأنّ مشروع نشر الحضارة الغربية امتزج بالتبشير الديني لأنّ المسيحيين ربطوا بين تحضير الشعوب و نشرهم للمسيحية. و إلى غاية النصف الأول من القرن العشرين كان المبشرون يعترفون بوجود ثقافات مختلفة، لكنهم كانوا مقتنعين بوجود حضارة واحدة هي حضارتهم. كما كان مشروع الكنيسة العالمية أمر مشترك بين الكاثوليكية و البروتستانتية، و الفرق بينهما هو أنّ البروتستانت يعتبرون التغريب في حد ذاته تقدما، أما الكاثوليك فقد جعلوا الكنيسة هي الصدارة »[2].

لذلك يمكن القول بأنّ عقيدة المركزية انتقلت من روما القديمة إلى أوروبا الحديثة، لأنّ الإنسان الأوروبي خلال فترة الاستعمار، انطلاقا من اعتبارات دينية و عرقية، شرّع لنفسه الحق في الامتداد نحو بقية العالم عن طريق الاكتشاف و الاحتلال. و يذكر الباحث العراقي **عبد الله إبراهيم**« بأنّ هذه

[1] -Serge La Touche,**L'occidentalisation du monde,Essias sur La Signification La Portée Et Les Limites De L'uniformisation Planétaire**,La Decouverte,Paris,1992, P,44.

[2] **–أوليفي روا،الجهل المقدس، ترجمة: صالح الأشمر،دار الساقي،بيروت،ط 1 ، 2013، ص،104.**

المركزية التي كانت تتخذ لنفسها مظاهر عدة حسب الظرف، و الحاجة ، في العصر الحديث أصبحت تقوم على مبدأ الحضارة، حيث ظهرت في الفكر الغربي رؤى عنصرية تضع الصينيين و الشرقيين في مستوى دون الإنسانية »[1].

و قد سجلنا في الجزء السابق من البحث بأنّ **هانتنغتون** ينطلق من الحضارة كمتغير لفهم العالم، حيث اعتقد بأنّ الثنائية الإيديولوجية قد زالت، و انتقلت البشرية إلى التقسيم الحضاري، لذلك اهتم بتصنيف الأمم و الدول في مجموعات حضارية متمايزة ثقافيا. بل أنّه نظر إلى بعض الشعوب و منها اللاتتية انطلاقا من مدى انسجامها مع قيم الحضارة الغربية. إذن فهو يعتبر الثقافة الغربية معلما ينظر من خلاله إلى بقية الشعوب ، و هذا يكشف عن تصور مركزي لديه، لأنّه قيّم الحضارات انطلاقا من الثقافة الغربية.

و نرى بأنّه من الأهمية البالغة أن نبحث في تجليات ملمح المركزية في أطروحته، من حيث علاقته بنظريته حول صراع الحضارات، و نقترح أن يكون منطلقنا تساؤلات نحددها كما يلي: ما موقع الحضارة الغربية من بقية الحضارات في أطروحة **هانتنغتون؟** هل أنّه يختصها بنوع من الإستثنائية؟هل أنّ كل حضارات العالم خصوم لبعضها؟ أم أنّ الصراع يدور بالأساس بين الحضارة الغربية و بقية الحضارات؟

[1]–عبد الّله إبراهيم،المطابقة و الإختلاف،بحث في المركزيات الثقافية،المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت،**2004**،ص،**594**.

المبحث الأول : مركزية الحضارة الغربية لدى هانتنغتون

اعتبر **هانتنغتون** الحضارة الغربية حالة استثنائية مقارنة بغيرها من الحضارات، لكنّه في الوقت نفسه يضفي على الحضارة الأمريكية خصوصية متميزة، و بالتالي فإنّه بالنسبة إليه، يمكن الحديث عن مركزية غربية عامة و أخرى خاصة.

المطلب الأول:مركزية الحضارة الغربية في عموميتها لدى هانتنغتون

ينظر **هانتنغتون** إلى الحضارة الغربية بصفة عامة على أساس أنّها مركز العالم، و بناءا على هذه المعادلة يبني تصوره للسياسة الكونية و يتجلى ذلك من خلال قوله:« تفاعل قوة و ثقافة الغرب مع قوة و ثقافة الحضارات غير الغربية سوف يكون مركزيا بالنسبة للسياسة في عالم ما بعد الحرب الباردة » .[1]

لم يتحدث هنا **هانتنغتون** عن تفاعل بين الحضارات السبعة أو الثمانية التي حددها كما نلاحظ، بل أنّه يربط مصير السياسة العالمية بمتغيرين هما ثقافة الحضارة الغربية، و قوتها من حيث تفاعلهما مع بقية الحضارات الأخرى.

و يتجلى ملمح المركزية الغربية في فكر **هانتنغتون** من خلال حرصه على إبراز ما تتفرد به هذه الحضارة من خصوصية تتعلق بمنشئها، لذلك قام بحشد مجموعة من الإرهاصات التاريخية و الثقافية يريد من خلالها أن يبرز خصوصية الهوية الغربية.

[1]–صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ، ص،48.

الغرب في نظره ميلاد الديموقراطية أما الحضارات الأخرى فهي بعيدة عن ثقافة الديموقراطية:« وقد نشأت الحكومات الديموقراطية المعاصرة أصلا في الغرب، أما في المجتمعات غير الغربية فقد ظهرت بسبب الاستعمار الغربي، أو عن طريق الفرض » [1].

أي أنّ الغرب حسب رأيه هو الوحيد القادر على إنتاج القيم الرفيعة كالديموقراطية، و لا قدرة للشعوب غير الغربية على تبني الديموقراطية، إلا عندما احتكت عن طريق الاستعمار بالغرب، فهوّ هنا يمجد الأنا الغربي و يقلل من شأن الآخر .

كما أنّ الحضارة الغربية حسب اعتقاده تختص بتجارب سياسية لا نجدها في أية حضارة أخرى،« ففكرة القانون التي هي موروث روماني كانت مركزية فيها، و في العصور الوسطى تم توسيع فكرة القانون الطبيعي، بعدها خُرق هذا المبدأ بسبب ظهور الاستبداد. لكن في العصر الحديث تمت العودة إلى حكم القانون و سمح ذلك بوضع الدستورية و حماية حقوق الإنسان، أما في الحضارات الأخرى فلم تكن للقانون أهمية معتبرة في تشكيل الفكر و السلوك » [2].« تختص الحضارة الغربية كذلك بمؤسسات للديموقراطية الحديثة، على أساس أنّه قد ظهرت في أوروبا برلمانات و مؤسسات مختلفة تقوم بتمثيل مصالح مختلف الجماعات، و هذا الإرث التاريخي يقتصر على الحضارة الغربية فقط » [3].

أي أنّ **هانتنغتون** يحصر الأصول التاريخية للديموقراطية في الحضارة الرومانية، و يرى **دييتر سنغاس** بأنّه « يحاول مع قدر من المبالغة أن يبين بأنّ الخصائص الثقافية الجوهرية التي يتميز بها الغرب أقدم عمرا من التحديث »[4].

---

[1] –صامويل.بي هانتنغتون، الإسلام و الغرب ،ص،45. -

[2] –صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ، ص ، 117. -

[3] – المصدر نفسه الصفحة نفسها. -

[4] – دبير سنغاس الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية ،ص،139.

لكن إذا كانت العصور الوسطى مرحلة انحطاط فإنّ ما هو مهم حسب **هانتنغتون** هو استمرار فكرة القانون، رغم ارتباطها بالكنيسة و الدين، و لعل ما يهمه بالدرجة الأولى هو نسج تواصل إيجابي بين مختلف المراحل التاريخية للغرب، إلى غاية العصر الحديث الذي تتوج باالتخلص من الاستبداد، ثم نضج التجربة الديموقراطية الذي تحقق بعد تغيرات دينية و سياسية.

و يهتم **هانتنغتون** بشكل كبير بالتطورات الدينية، حيث يرى بأنّ الكاثوليكية في أول الأمر ثم البروتستانتية، مع بعضهما تشكلان أهم طابع تميزت به الحضارة الغربية.« إلّا أنّه يركز على البروتستانتية، و يسميها بالمسيحية الغربية، و هي التي جعلت الشعوب الغربية متميزة عن الأتراك، و المورسكيين، و البيزنطيين، وغيرهم، كما أنّ الغربيين عندما قاموا بغزو العالم خلال القرن السادس عشر، فعلوا ذلك في سبيل اللّه و الذهب » [1].

لكن الدين المقصود من منظور **هانتنغتون** هو المرتبط بحركة الإصلاح التي شملت أوروبا، حيث يشير إلى« أنّ الإصلاح و الإصلاح المضاد الذي ترتب عنه انقسام في المسيحية إلى طرفين أحدهما كاثوليكي و آحر بروتستانتي من الملامح التي تميز بها تاريخ الغرب، و قد بقي الجانب الأرثوذوكسي في نظره بعيدا عن هذه الإصلاحات، أما في أمريكا اللاتنية فقد تم التخلص منها » [2].

و ما نستخلصه هو أنّ **هانتنغتون** يركز على البروتستانتية، كما أنّه يهتم بأمرين أساسيين في الحضارة الغربية، و هما: التبشيرية، و البحث عن الثروة. و نفس الصفتين ينسبهما **ماكس فابر** إلى البروتستانتية التي« تتميز بخصائص لا نجدها في الكاثوليكية، فهذه الأخيرة أكثر انفصالا عن العالم، و عناصرها النسكية عالية، و نتيجة لذلك فالشخص الكاثوليكي يتصف

[1] – صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ، ص،115.

[2] – المصدرنفسه ،ص،116.

بالهدوء و عدم التعطش للكسب. بينما تقوم البروتستانتية على فكرة إنجاز عمل محدد، أو القيام بمهمة حياة »[1].

لمزيد من التوضيح فإنّ البروتستانتية في نظر **فابر**« تقوم على العمل، على أساس أنّ فكرة انجاز الأعمال و المهمات الوظيفية المطلوبة طبيعيا يعتبر خدمة لله و للمجتمع، لأنّ غاية التنظيم الإجتماعي تتمثل في توفير حاجات الجنس البشري و هذه الميزة موجودة في أحكام التوراة » [2].

أي أنّ البروتستانتية حسب **فابر** تتميز بتعطش أصحابها للكسب على خلاف الكاثوليك، و هي كذلك متقاربة مع أحكام التوراة فيما يتعلق بإنجاز المهمات. و بما أنّ **هانتنغتون** اعتقد بأنّ الأوروبيين قاموا بغزو العالم إنجازا لمهمة ربانية، و بحثا عن الذهب، فهو ينسب ذات الصفتين اللتين ذكرهما **فابر** إلى الحضارة الغربية.

و من شدة تمسكه بالبروتستانتية كمقوم أساسي للغرب، نجده يرسم حدود المسيحية الغربية داخل الجغرافيا الأوروبية، و هو يتحدث عن « تقسيم جديد، فبعد الحرب الباردة زال التقسيم الإيديولوجي لأوروبا ليحل محله التقسيم الثقافي The cultural division بين المسيحية الغربية، و المسيحية الأرثوذوكسية، و الإسلام[3] » .

و بناءا على ما سبق فإنّ الغرب الذي يقصده **هانتنغتون**، لا يتمثل في مجموعة من الشعوب أو البلدان المتواجدة في مكان محدد من أوروبا، بل أنّه يتجاوز البعد الجغرافي. و هنا نسجل بأنّ **هانتنغتون** يقلل من شأن التراث الكاثوليكي في الفكر الغربي، رغم أنّ الكاثوليك طرحوا مشروع الديموقراطية المسيحية و كما يوضح **ماريو كاسياجلي** Mario Caciagli ،

[1] – ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ترجمة:محمد علي مقلد،مركز الإنماء القومي،بيروت،بدون تاريخ طباعة ،ص،52.

[2] –المرجع السابق ، ص،73.

[3] – Samuel p.Huntington,**the clash of civilizations ? Foreign Affairs**,Op.cit,p,29.

« فقد طمح هذا الفكر إلى التوفيق بين الكاثولكية و الدولة التعددية الديموقراطية، حيث أنّ الكاثوليك تبنوا المنافسة الحرة على السلطة »[1]. و كل هذه الإسهامات لا تمثل شيئا بالنسبة للتاريخ الأوروبي حسب **هانتنغتون**، فضلا عن تنكره لتأثيرات الثقافة الإسلامية.

يرى **هانتنغتون** كذلك « بأنّه بعد سقوط الشيوعية أصبح من الضروري الإجابة عن سؤال: ما هي أوروبا؟ و الجواب الذي يمكن أن يكون وافيا في نظره هو الذي ينطلق من النموذج الحضاري الذي يوضح بأنّها تنتهي حيث تنتهي المسيحية الغربية و يبدأ الإسلام و الأرثوذوكسية »[2].

و نسجل هنا إصرار **هانتنغتون** على تحديد هوية الغرب في ظل المتغيرات الجديدة، و لكنّ الجواب الشافي على سؤال حول هويته في نظره يجب أن يستند إلى النموذج الحضاري، الذي يقوم بالدرجة الأولى على الدين، و أوروبا البروتستانتية هي المقصودة.

يحدد **هانتنغتون** الانتشار الجغرافي للبروتستانتية في أوروبا من أجل رسم حدود الحضارة الغربية، و يهتم « بالخط الشرقي للمسيحية الغربية لسنة 1500 الذي يفصل أوروبا الغربية عن المناطق الشرقية، و الأهم هو أنّه يفصل المناطق التي تسود فيها الديانة البروتستانتية، عن المناطق الشرقية التي تعتنق شعوبها ديانات أخرى. أما المناطق التي تتميز بكونها غير قادرة على استيعاب قيم الديموقراطية و تحقيق التنمية فهي أماكن النفوذ الأرثوذوكسي، و مناطق تواجد المسلمين الذين كانوا تابعين للإمبراطورية العثمانية. و سبب عدم امتلاكهم مؤهلات التحضر هو طبيعة ثقافتهم، كما أنّهم تاريخيا لم يتأثروا بالأحداث المصيرية لعصر التنوير » [3].

---

[1]– تيرنس بول و ريتشارد بيلامي،موسوعة كمبريدج للتاريخ،الفكر السياسي في القرن العشرين،المجلد الأول،ترجمة مى مقلد، المركزالقومي للترجمة،القاهرة،ط 1 ، 2009،ص،231.

[2]–صامويل،بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،258.

[3]– صامويل،بي هانتنغتون،الإسلام و الغرب ،ص،22.

أي أنّه يرسم خطا جامعا مانعا للحضارة الغربية يشمل كل الأماكن التي و صلت إليها حركة الإصلاح البروتستانتي، و يستثني التي لم تصل إليها، فالمناطق التي بقيت فيها الأرثوذوكسية سائدة كما هو الشأن بالنسبة لروسيا و جنوب شرق أوروبا، ليست تابعة للغرب، دون أن ننسى المناطق التي كانت خاضعة للنفوذ العثماني.

و ما نسجّله هو أنّ **هانتنغتون** يفكك المسيحية تاريخيا و جغرافيا، فقد اعتبرها موروثا غربيا، و هو يتنكر لذلك الجزء من تاريخها المرتبط بالشرق على الرغم من أنّها ظهرت هناك قبل أن تنتقل إلى الغرب، كما أنّه يخرج المسيحيين الكاثوليك من دائرة المسيحية الغربية، و الهدف من ذلك هو ترسيخ أكبر قدر من الإختلاف بين الغرب و بقية شعوب العالم.

و يتقاسم الكثير من المفكرين توجهات **هانتنغتون** المتعلقة بالتركيز على المكون الديني في صياغة الهوية الغربية، و من أبرزهم **بول مارشل** Paul Marshall الذي« دعا إلى ضرورة التفكير من جديد في مصطلح الغرب، الذي هو بالنسبة إليه حضارة مرتبطة بالمسيحية، كما يدل على القيم الغربية، و يضم مصطلح الغرب أمريكا اللاتنية، و غرب أوروبا المتميزة عن بقية العالم. يعتقد كذلك بأنّه لتحديد الغرب يجب التخلي عن بعض المصطلحات الهشة منها: العولمة الغربية، اللائكية، كما لايجب فهم العالم بمصطلحات قديمة منها: عالم أول، و عالم ثالث، لفهم العالم كما ينبغي يجب الانطلاق من الدين »[1].

هذا و يقيم **هانتنغتون** مقارنة بين قيم الحضارة الغربية و قيم الحضارات الأخرى، حيث أنّه « توجد علاقة بين الحضارة و طبيعة المؤسسات الموجودة في الدولة، ففي العالم العربي، و أمريكا اللاتنية نجد حضارة تتميز بفقدان الثقة و الشك و العدائية، و هذا يجعلها تتلقى صعوبات من أجل إقامة مؤسسات عامة، و في العالم العربي كذلك تتميز المجتمعات بثقافة تتصف بتدبدب الولاء للدولة »[2].

---

[1] **-Paul Marshall,God and the Constitution Christianity and American Politics,**
Rowman and littlefield publishers inc 2002,Boston , pp,157-158.

[2] **–صامويل.بي هانتنغتون،النظام السياسي لمجتمعات متغيرة ،ص،40.**

« كما أنّ ظاهرة الفساد لها صلة وطيدة بالقيم الدينية، حيث أنّها طاغية في دول منها اندونيسا، و روسيا و دول افريقيا، و أمريكا اللاتنية، بينما تقل في المجتمعات البروتستانتية مثل دول شمال أوروبا و بريطانيا »[1].

ليس هذا فحسب بل أنّ وتيرة التنمية الإقتصادية و التقدم لهما صلة وطيدة بالقيم الدينية في نظره،« حيث أنّ دول المسيحية الغربية تتقدم نحو النمو الإقتصادي و الديموقراطية، أما بالنسبة للمجتمعات الإسلامية فإنّ سبب فشل الديموقراطية فيها "حسب إعتقاده" هو الثقافة، و فيما يتعلق بالتطورات الحاصلة في شرق أوروبا و الإتحاد السوفياتي فهي مرتبطة بالهوية الحضارية لهذه الدول، و فيما يخص الدول الأرثوذوكسية فإن نجاح التنمية الإقتصادية بها غير مؤكد » [2].

انطلاقا من هذه المقارنات فإنّ الحضارة الغربية البروتستاننتية حسب **هانتنغتون** هي التي تختص بالقيم التي تحقق التقدم، و مرة أخرى نقول بأنّ هذا يذكرنا بأراء **ماكس فابر** الذي ربط بين الشروط الإقتصادية و القيم البروتستانتية،« فقد كان أصحاب الأملاك ، و التجارة ذوي الثقافة الرفيعة في المؤسسات الحديثة في أرووربا من البروتستانت، كما أن الشروط الإقتصادية في مناطق من أوروبا و منها ألمانيا و بالضبط مناطق **الرانخ** Reih و التي هي على البروتستانتية كانت أغنى المناطق و أكثرها تطورا »[3]. و هي تقريبا نفس المقارنة التي يقيمها **هانتنغتون** لكنّ مقارنته أشمل، لأنّه قارن قيم البروتستانتية بالديانات الأخرى الموجودة في مختلف الحضارات.

هذا و يقيس **هانتنغتون** قابلية كل حضارة للتقدم انطلاقا من الحضارة الغربية و يقول:« تتفاوت العراقيل أمام البلدان غير الغربية للانذماج في الغرب بقدر ملحوظ، فهذه العراقيل أقل بالنسبة لدول أمريكا اللاتنية و أوروبا الشرقية، و أكثر بالنسبة للدول الأرثوذوكسية

[1]–لورانس إ–هاريزون،صامويل.بي هانتنغتون، الثقافات و قيم التقدم ،ص،23.

[2]–صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص، 48.

[3]– ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ،ص،16 .

فـي الإتحـاد السـوفياتي السـابق، و لا تـزال أعظـم بالنسـبة للمجتمعـات الإسـلامية و الكونفوشـية و الهندوسية و البوذية » [1].

و كـل ذلـك يكشـف عـن إيمـان راسـخ لـدى **هـانتنغتون** بتراتبيـة الحضـارات، فالحضـارة الغربيـة في رؤيته، هي المتفوقة.

و حول هذه المسألة يرى الباحث **جيورج كونتوجيورجيس** Georges Contogeorgis بأنّ **هانتغتون**« ينظر إلى الحضارة الغربية انطلاقا من معيار ايجابي أمّا الحضارات الأخرى فلم يتحدث عن طبيعتها بل حكم عليها انطلاقا من نظام القيم الموجود في الحضارة الغربية. كما أنّه لم يحدد الطبيعة الأساسية التي تميز البروتستانتية عن الأرثوذوكسية و الإسلام، بل أنّه إكتفى بالإشارة إلى كونها حركة إصلاحية، و ما جعل الحضارة الغربية تنجح في مشروع الحداثة في نظره هو كونها مسيحية تعددية، بينما الحضارات الأخرى لم تتقدم بسبب الدين. أي أنّ القدرة على تجسيد مشروع الحداثة خاصية تتميز بها الحضارة الغربية فقط في نظره، و موقف كهذا يندرج ضمن النزعة التفكيكية في العلوم الإجتماعية التي تفكك* التاريخ عوضا عن تركيبه و تضع المخالف، الماضي، و المستقبل في خط ارتقاء نحو الأعلى » [2].

و ما يفككه **هانتنغتون** هنا هو تاريخ المسيحية حيث ركز على ما يسميه المسيحية الغربية، ثم فكك العالم انطلاقا من بعد حضاري، فليست كل الحضارات تتمتع بالقدرة على إنجاز مشروع الحداثة في نظره، و نتيجة هذا التفكيك نظرة مركزية، تعتبر الغرب مصدر قيم التقدم، و حيز التسامي.

---

[1] – صامويل.بي هانتنغتون،الإسلام و الغرب ، ص،54.

*– التفكيك كمنهج فلسفي يقوم على الهدم المنهجي، حيث أنّ جاك دريدا تصورها كهدم منهجي للميتافيزيقا الأروبية، و قد سعى هذا الأخير إلى تفكيك نظام هيجل، ونظام دي سوسور اللغوي، و ذلك عن طريق كشف إلتباساتهما و تنافضاتهما.بييرق زيما، التفكيكية دراسة نقدية، تعريب أسامة الحاج،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت،ط1،1996،ص،09.لكن التفكيك هنا حسب كونتوجيورجيس توجه سائد في العلوم الإنسانية يفكك الغرب عن كل ما هو مخالف له، و يربط خط التطور بالغرب فقط.

[2]- Georges Contogeorgis,Samuel **Huntington et le choc des civilisation,Civilisation religieuse ou Cosmosysteme**, Pole Sud n° 14 mai,2001,(p107a 124)ARPoS,Montpellier,pp ,109-110.

و هذا ما يؤكده عبد **الوهاب المسيري** الذي يوضح بأنّ « **هانتنغتون** جعل الحضارة الغربية هي حالة الطبيعة، و مسارها هو الوحيد و الصحيح، و من يحيد عنه يجب تقويمه و وضعه على المسار الطبيعي بكل الوسائل كإسقاط الخصوصيات و كل ما يقاوم قانون التطور الغربي»[1].

أما باحثون آخرون فيعتقدون بأنّ تصور **هانتنغتون** للغرب خيالي و مثالي، و من بينهم **جيروید توتهايل*** « GearoidTuathail الذي يوضح بأنّ « مصطلح الغرب عند **هانتنغتون** مرتبط بميثولوجيا سياسية، فهو يقوم بشكل أساسي على أمر خيالي و مثالي أكثر من كونه كيان إقليمي. إنّه ليس مجرد مجتمع أو حيز جغرافي، و إنّما هو مبدأ عالمي متعلق بالمذهب الفردي و الليبرالي، حقوق الإنسان، و الديموقراطية، و الأسواق الحرة، و هو كذلك نظام ثقافي و تخيلي قبل أن يكون مكانا حقيقيا »[2].

و من كل ما تقدم نستخلص بأنّ **هانتنغتون** قد حصر الأصول التاريخية للغرب في الحضارة الرومانية، كما أنّه رسم حدودا يراها مثالية للحضارة الغربية معالمها تتمثل في مناطق انتشار البروتستانتية. و الغرب الحقيقي في مخياله ينبغي أن يكون مؤسسا بالدرجة الأولى على قيم الثقافة البروتستانتية التي جعلته متميزا عن الحضارات الأخرى من حيث المبادئ السياسية، و المؤسسات الاقتصادية.

المطلب الثاني : الإستثنائية الأمريكية من منظور هانتنغتون

ينظر **هانتنغتون** إلى الحضارة الأمريكية انطلاقا من جانبين: من جهة نجده يدافع عن وجود ارتباط مصيري يجمعها بأوروبا. لكنّه من جهة أخرى يحاول إبراز الاستثنائية التي تختص بها.

[1] – محمد حسن البرغثي، الثقافة العربية و العولمة ،ص، 134.

* – من مواليد 1962 و هو من أصول ارلندية، يعد رجل سياسة و باحث في شؤون السياسة المعاصرة.

[2] - Gearoid Tuathail,**Simon Dalby And Paul Routledgr,The Geopolitics Reader**, First Published 1988 ,Routledge London, p, 174.

إن الولايات المتحدة في نظره كتنوع في الحضارة الغربية « و كقائد للغرب مستقبلها مرتبط بالدول الغربية، فالغرب بدون أمريكا سوف يصبح منهارا، لكن مستقبل الولايات المتحدة يتوقف على مدى التزام الأمريكيين بالحضارة الغربية »[1].

و ينظر **هانتنغتون** إلى هذا الارتباط على أساس أنّه تاريخي بالدرجة الأولى،« لأنّ الولايات المتحدة كانت بالنسبة لأوروبا مثالا للفضيلة الجمهورية، على أساس أنّ الأمريكيين دعموا التغيير الديموقراطي في أوروبا »[2].

معنى ذلك هو أنّ **هانتنغتون** يؤكد الترابط التاريخي بين أمريكا و أوروبا الغربية، لكن على الرغم من أنّ الحضارة الأمريكية في حد ذاتها مرتبطة بالإرث الأوروبي على أساس أنّ مؤسسي أمريكا كانوا يستوحون من التنوير الأوروبي، فإنّه يقدم أمريكا كمثال اقتدت به الدول الغربية من الناحية السياسة.

و من غير شك فإنّ **هانتنغتون** هنا يذكّر بالدور التاريخي لأمريكا في أوروبا،« حيث أنّه بعد تدخل الأمريكيين في الحربين العالميتين الأولى و الثانية طرأ تغير على مفهوم الحضارة الغربية، و ظهر مفهوم جديد هو الحلفاء التاريخيون، و قد أعطى ذلك للحضارة الغربية قوة في نظر **جيمس كورث*** James Kurth و أصبح محتواها الأساسي هو الأمركة »[3].

لكن رغم التقارب بين أوروبا و أمريكا فإنّ هذه الأخيرة حسب **هانتنغتون** لا تتطابق بصورة مطلقة مع هوية الأروبيين.« إنّ الولايات المتحدة تتميز عن الدول الأوروبية خاصة من حيث مبادئها السياسية، إذ يمكن الحديث عن المذهب الأمريكي Americanism، لكن لا يمكن القول بأنّه يوجد مذهب بريطاني

---

[1] – صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ، ص،496.

[2] – صامويل.بي هانتنغتون،من نحن؟المناظرة الكبرى حول أمريكا ، ص،67.

* – استاذ علوم سياسية معاصر بأمريكا، و باحث في شؤون السياسة الدولية، اشتهر بمقالاته الغزيرة في مجال السياسة، و هو احد طلبة هانتنغتون، لكنّه عرف بمعارضته لآرائه .

[3] -James Kurth,**Western civilization our tradition,the inter collegiate review** , by The Intercollegiate studies institute Fall2002/Spring2004,Wilmington,(pp5-13)p,07.

Brishism، و لا يمكن الحديث كذلك عن مذهب فرنسي Frenchism، كما لا يمكن الإدعاء بوجود مذهب ألماني Germanism . بل أنّ أمريكا ليست تقاليد، و ليست وطن، و هي لا تعن ما تعنيه فرنسا بالنسبة لإنسان فرنسي، و لا تعنى ما تعنيه انجلترا لإنسان إنجليزي إنها عقيدة A doctrine، أو مذهب A creed و لايمكن لفرنسا أو بريطانيا أن تكون لهما عقيدة خاصة بهما »[1].

أي أنّ أمريكا حسب **هانتنغتون** رغم إنتمائها إلى الغرب الذي حدده سابقا، إلاّ أنّها في نظره ليست كباقي الدول الأوروبية التي تنتمي إلى ما يسميه بالمسيحية الغربية، فهي الوحيدة في نظره التي تمتلك عقيدة مميزة، و بدون شك فهو يستند إلى مبررات يثبت من خلالها صحة ذلك.

و إذا أردنا أن نعرف سبب الإستثنائية التي تختص بها أمريكا من وجهة نظر **هانتنغتون**، فإنّه ينبغي أن نذكّر أولا بأّننا عندما تحدثنا عن الحضارة الغربية بصفة عامة لاحظنا بأنّه ميزها عن بقية الحضارات إنطلاقا من الدين، و هو الأمر ذاته الذي سنسجله فيما يتعلق بالحضارة الأمريكية. حيث « أنّ أمريكا على وجه الخصوص تتفرد بثقافتها البروتستانتية الإنجليزية و تدينها، و بالنسبة لمسألة التدين فالشعب الأمريكي يتميز بكونه مسيحي بشكل قوي، هذا ما جعل الأمريكيين ينظرون إلى العالم على أساس الخير و الشر بشكل كبير مقارنة بالآخرين »[2].

و يوضح **هانتنغتون** بدقة الأصول الثقافية لأمريكا،« و هي من الناحية التاريخية تعود إلى القرنين 17 و 18، و يمكن تحديدها بمكونات من أهمها: الديانة البروتستانتية، اللغة الإنجليزية، أخلاقيات العمل، و السلطة المحدودة » [3].

---

[1] -Samuel P.Huntington,**American Politics The Promise Of Disharmony**,Op.Cit,p,25.

[2] –صامويل.بي هانتنغتون،من نحن؟المناظرة الكبرى حول أمريكا،ص،**473**.

[3] -Samuelp.Huntington,**The Hispanic Challenge,Foreign policy**, march,2004,(pp30-45),Washingtn,p,40.

مـن خـلال هـذه المعطيـات فـإنّ **هـــانتنغتون** يرمـي إلـى إظهـار تميـز الأمـريكيين عـن الأوروبيـين مـن حيـث التـدين، و هـو يشـير إلـى المؤسسـين الأوائـل لأمريكـا الـذين جـاؤوا بعقيـدة جديـدة،« و هـم المتطهـرون Puritains الإنجليـز، الـذين أنشـأوا مسـتعمرات عـددها ثلاثـة عشـر، سـوف تؤسـس الدولـة الأمريكيـة. و قـد كـان دورهـم آن ذاك كمـا يـذكر المـؤرخ الأمريكـي **بيـــري** R. B.Perry سـنة 1945 شـبيها بـدور النـازيين و الـوطنيين فيمـا بعـد، و لا تـزال هـذه الطائفـة هـي المتحكمـة فـي سياسـة هـذا البلـد، حيـث يُسـجل بأنّـه منـذ 1787 إلـى غايـة سـنة 2010، رئيس وحيد من الكاثوليك هو **كنيدي** J F Kennedy، وصل إلى الحكم » [1].

و من أبرز المفكرين الذين سجلوا التدين المتميز لدى الأمريكيين **توكفيل** Alexis De Toqueville* الذي« أشار إلى أنّه عندما كانت أوروبا تتميز بنوع من التعارض بين روح الدين و الحرية، كانت الأوضاع في أمريكا على العكس، كما أنّ الدين في الولايات المتحدة حسب ملاحظاته كان أبعد ما يكون عن معارضة الديموقراطية، بل هو قالبها الثقافي » [2].

و يعتبـر **هـــانتنغتون، توكفيـــل** علـى صـواب، « عنـدما ذكـر بـأنّ الـدين فـي هـذا البلـد يجمـع عـادات الأمـة و المشـاعر الوطنيـة، كمـا أنّ الـدين المـدني الأمريكـي مكـن مـن الجمـع بـين العلمانية و المجتمع الديني »[3].

و حول هذه المسألة يتصور بعض الباحثين و منهم **فريدريك دوزيت** Frédérick Douzet بأنّ« **هانتنغتون** يواصل على درب المفكرين الذين اعتقدوا بأنّ البروتستانتية كانت عاملا مهما في تشكل

[1]- F-G Dreyfus,**religions et politique aux etats unis, Geostratégiques**,n°29,2010,Paris, Pp,241-242.

*– فيلسوف و رجل سياسة فرنسي، و لد سنة **1805**و توفى سنة **1859**، اشتهر بآرائه حول الثورة الفرنسية و الديموقراطية بأمريكا.

[2]– دانييل هيرفيه –ليجيه جانبولويلام،.سوسيولوجيا الدين.ترجمة: درويش الحلوجي،المجلس الأعلى للثقافة،ط**1**،**2005**،ص،**59**.

[3]– صامويل.بي هانتنغتون،من نحن؟المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،**149**.

القيم الأمريكية و المؤسسات السياسية الأمريكية، كما أنّ الديموقراطية حسب توجهه ليست نظام حكم بقدر ما هي ثقافة مسيحية غربية »[1].

لذلك يمكن لنا أن نستخلص بأنّه إذا كان **فابر** قد اعتبر الرأسمالية أخلاقا بروتستانتية فإنّ نظرة **هانتنغتون** تسير في هذا المنحى، فالديموقراطية الغربية قيم بروتستانتية، وهي في شقها الأمريكي أكثر أصالة و وفاءا لهذا المقوم.

في العصر الحالي استمرت في نظر **هانتنغتون** العلاقة بين الدين و الجانب السياسي حيث« أنّ الحكم يقوم على أساس ديني، و يقوم على افتراض وجود كائن أسمى، و الذين وضعوا الدستور استندوا إلى فكرة أن الحكم الجمهوري لا يمكن اقامته إلا بين شعب يتميز بكونه متشبعا بالدين، و يستشهد بما قاله الرئيس **إيزنهاور** Eissenhower :الإعتراف بكائن أسمى هو أهم شيء يعبر عن المذهب الأمريكي Americanism »[2].

يرى كذلك بأنّ« الدين المدني منح لأمريكا مباركة دينية، و هو يقوم على افتراضات منها أنّ نظام الحكم الأمريكس أساسه ديني، يقوم على الإعتقاد بأن الأمريكيين هم شعب الله المختار، و يؤيد ما قاله **لينكولن** Lincoln :الأمريكيون شعب تم اختياره تقريبا و أن أمريكا هي اسرائيل الجديدة، ولها رسالة معتمدة إليها بأن تكون خيرة في العالم » [3].

يتضح مما تقدم بأنّ **هانتنغتون** يربط بين الوطنية و الدين البروتستانتي فهو يعتبر التمسك بالبروتستانتية وفاءا لجوهر الهوية الأمريكية، و يحاول إظهار ثبات العقيدة الدينية لأمريكا منذ أقدم الرؤساء إلى أحدثهم، كما أنّه اعتبر الأمريكيين شعب الله المختار، و أساس

---

[1] – Frédérick Douzet,**le cauchemar hispanique De Samuel Huntington,** Hérodote,n°115,la decouverte,Paris,2004(pp31-50)p,34.

[2] – صامويل.بي هانتنغتون،من نحن؟المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص، **149**.

[3] – المصدر نفسه،ص، **151**.

التفضيل بالدرجة الأولى هو الدين البروتستانتي. و سبب الاستثنائية الأرميكية مقارنة بأوروبا الغربية في حد ذاتها إذن يعود إلى كونها في نظره أكثر إلتزاما بالعقيدة البروتستانتية، و بلغة أخرى فإنّ النتيجة التي يريد **هانتنغتون** الوصول إليها هي أنّ الغرب بقيادة الولايات المتحدة هو" محور الخير".

و نلمس في أراء **هانتنغتون** نوعا من الميثولوجيا السياسية، و هي ميزة موجودة بين المحافظين الجدد* الذين ينتمي إليهم، **و** الذين حددوا قالبا لما يجب أن يكون عليه هذا البلد، علما بأنّ صدى هذا التوجه ظاهر في الخطابات السياسية. فقد قال الرئيس **بيل كلنتون** Bill Clinton :« أمريكا ليست مكان محدد، إنّها فكرة، هي الفكرة الأكثر قوة في تاريخ الأمم » « America is far more than a place it is an idea the most powerful idea in the history of nations [1] »

بناءا على ما تقدم ذكره نقول بأنّ **هانتنغتون** كان شديد الإفتخار بالهوية الأمريكية، كما أنّه يؤسس لعقيدة تنظر إلى أمريكا على أساس أنّها مختصة بالتفضيل من دون الأمم الأخرى. و هذا ما يحذر منه **أناتول ليفن**،« وهو يرفض العقيدة التي تقوم على النظر إلى أمة ما بأنّها مختارة، فلا يوجد عامل في الفكر القومي أخطر من فكرتي الإحساس بالظلم و اعتبار الأمة دائما على حق، و هذا الشعور هو سبب تدمير عدة دول منها ألمانيا و صربيا، و هو في طريقه إلى تدمير إسرائيل»[2]. كما يوضح « بأنّ مضمون الثقافة الأمريكية يقوم على فكرة مفادها أنّ أمريكا تم اختيارها من طرف الله، أو القدر أو التاريخ، و هي فكرة مماثلة لتلك التي

*– المحافظون الجدد، حركتهم تعود إلى فترة الرئيس جون كنيدي الذي جمع نخبة من الأساتذة الجامعيين من جامعة هارفارد ليستعين بهم في رسم سياساته، الفكرة الأساسية لى هذا التيار تتمثل في تأكيد الإستثنائية الأمريكية، و هذا الإعتقاد بالتفوق الأخلاقي لأمريكا جذوره تمتد إلى حركة المتطهرين للثورة الإنجليزية في القرن17،الفكرة الأساسية لذيهم هي أنّ أمريكا هي مخلّص هذا العالم الخاطئ.أميمة عبد اللّطيف،المحافظون الجدد،مكتبة الشروق الدولية القاهرة،ط1،2003،ص 15 إلى 18.

[1] - Emma Villard,qui **est l'ennemi des neoconservateurs Americains ? etude de la neo-orientalist masculinty (1996-2006**), l'harmattan, Paris,2012,p,21.

[2] – أناتول ليفن،أمريكا بين الحق و الباطل ،ص،19 .

كـان يـدعيها **ديغـول** الـذي كـان يـؤمن بـأن فرنسـا فـي نظـره اختارتهـا العنايـة الإلهيـة ليكـون لهـا قـدر بارز و مميز » [1].

و من بين النتائج التي نستخلصها من معالجتنا لهذا المبحث، التصور التراتبي للحضارات لدى **هانتنغتون**، فليست كل الثقافات قادرة على إنتاج حضارة تضاهي الحضارة الغربية، كما أنّه يطابق بين الحضارة و الإنسان الأوروبي، أي أنّه اعتبر كل من ليس له انتماء للمسيحية الغربية خارجا عن دائرة الحضارة.

نسـتخلص كـذلك بأنّـه إذا كـان الكثيـر مـن المـؤرخين ينظـرون إلـى الحضـارة انطلاقـا مـن خاصية التطور، و منهم **كـارول كـويغلي** Carrol Quigly الذي « يرى بـأنّ كل حضـارة تمر بتطـورات، و تـأتي إلـى الوجـود بعـد مسـار تطـوري طويـل » .[2] فـإنّ **هـانتغتون** يعتبـر الحضـارات ثابتـة، بمـا فـي ذلـك الحضـارة الغربيـة، بـل أنّ هـذه الأخيـرة اكتملـت ماهيتهـا بفضـل عناصـر الحضـارة الأمريكيـة. و بالتـالي فهـو لا ينظـر إلـى الحضـارات كمـا هـي، بـل كمـا ينبغـي أن تكـون عليه في تصوره، خاصة الحضارة الغربية.

من أهم ما نستنتجه كذلك أنّه يعتبر الديموقراطية الغربية منظومة ثقافية بالدرجة الأولى جوهرها يكمن في البروتستانتية، لكن تمسك الغربيين بهذه الثقافة متفاوت، حيث أنّ الأمة الأمريكية أكثر وفاءا لها، لذلك فهي المؤهلة لقيادة الحضارة الغربية، و يمكن القول بأنّ ذلك يعبر عن توجه يتماشى مع مشروع أمركة الغرب و العالم.

[1]–المرجع السابق ،ص– ص **90–91**.

[2] - Carrol Quigly,**The Evolution Of Civilizations An Introduction to Historical Analysis**, second published, Liberty Fund Inc,Indianapolis,1979, p,127.

لكنّه ما دام يستبعد بقوة قدرة الثقافات الأخرى على استيعاب قيم الغرب فإنّ النتيجة التي يريد الوصول إليها هي ترسيخ التضارب بين مركز العالم المتمثل في الحضارة الغربية، و أطرافه المتمثلة في بقية الحضارات الأخرى.

المبحث الثاني: الصراع بين الغرب كحضارة مركز و حضارات العالم من وجهة نظر هانتنغتون

من خلال ما عرضناه في الجزئية السابقة استخلصنا بأنّ **هانتنغتون** لا يضع الحضارات في نفس المرتبة، و يتجلى ذلك من خلال إصراره على إبراز ما تتميز به الحضارة الغربية من استثنائية، بل أنّه جعل أمريكا بثقافتها مركزا جديدا للغرب، ثم قيّم الحضارات الأخرى بناءا على قيم الحضارة الغربية. و على أساس هذه المعادلة يحلل من وجهة نظره طبيعة الصراع الذي سيكون بين الغرب، و بقية الحضارات الأخرى.

و يتصور **هانتنغتون** « بأنّ الصراع بين الغرب و الآخرين راجع إلى كون القيم التي هي أساسية في الحضارة الغربية ليست كذلك في الحضارات الأخرى، كما أنّ الغرب يجد صعوبات في نقل قيم الديموقراطية، و حقوق الإنسان إلى الآخرين. لذلك فإنّ محور المعادلة الأساسية للسياسة الدولية في المستقبل سوف يتمثل في الصراع بين الغرب و الباقي « The West and the rest » [1] .

[1] - Samuel p.Huntington,**the clash of civilizations ? Foreign Affairs,** Op.Cit,p,41.

إذن فالغرب الذي حدده سابقا ككيان ثقافي متميز و متفرد من حيث امتلاكه لمؤهلات تمكنه من إنتاج قيم التقدم، هو الآن في مواجهة مع الجميع، أي أنّ كل شعوب العالم الخارجة عن منظومة الثقافة الغربية، حسب اعتباره في صراع مع الغرب.

و يشخص **هانتنغتون** ثلاثة أشكال من ردود أفعال الحضارات الأخرى تجاه الغرب و هي: « الشكل الأول يتمثل في المعارضة و التحدي مثلما هو الشأن بالنسبة لكل من كوريا الشمالية و بورما. الشكل الثاني يقوم على قبول قيم الغرب و الإنذماج فيه. أما الشكل الثالث، فيتمثل في سعي بعض الحضارات إلى تحقيق توازن مع الغرب بتطوير القدرات الإقتصادية و العسكرية، و بالتالي سلوك التحديث لا التغريب » [1].

إذن حسب **هانتنغتون** كل سلوك صادر عن ما يقع خارج الغرب ليس سوى رد فعل تجاه الحضارة الغربية. و هنا يوضح **محمد عابد الجابري** بأنّ « رؤيته مرتبطة بالنظرية الأمنية التي طورها **باري بوزان**، الذي اعتقد بأنّ طرح مسألة الأمن العالمي في القرن الواحد و العشرين يتطلب تحديد الأطراف الأساسية، و هذه الأطراف تتمثل في الغرب الذي هو المركز، أما بقية العالم فيتمثل في الأطراف » [2].

و نستخلص بأنّ الحضارة الغربية حسب **هانتنغتون** هي المركز، أو هي اللاعب المحوري في السياسة الدولية، أما الحضارات الأخرى فهي أطراف متفاعلة معه. لكن مصطلح تفاعل هنا لا يعني الانسجام، بل أنّ الصراع الذي هو الوجه السلبي للتفاعل هو المقصود، و هو على درجات متفاوتة لأنّ كل حضارة من منظوره لها ردودها الخاصة. و لفهم ذلك بصورة أوضح نعرض موقفه من الصراع بين الغرب، و الحضارات الأخرى بشيء من التفصيل.

---

[1]- Ipidem.

[2]– **محمد عابد الجابري،قضايا في الفكر المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ط1،1997،ص،89.**

1-الصراع بين الحضارة الغربية و الحضارة الإسلامية:

الحضارة الإسلامية حسب **هانتنغتون** من بين الحضارات التي تتحدى الغرب، و لتأكيد ذلك « يستقرأ علاقة الإسلام بالغرب عبر التاريخ مفندا ما ذهب إليه بعض المسؤولين الغربيين عندما صرحوا بأنّه لا توجد مشكلات بين الغرب و الإسلام و من بينهم الرئيس **كلينتون**، فالمشكلة في نظرهم محصورة بين المتطرفين الإسلاميين و الغرب، لكن التاريخ يؤكد عكس ذلك، لأنّ الصراع بين الطرفين كان متواصلا طيلة أربعة عشر قرنا، و إذا قورن هذا الصراع بذلك الذي دار بين الغرب و الشيوعية فهو الأعمق » [1].

أي أنّ الصراع بين الغرب و الإسلام في نظر **هانتنغتون** ليس مجرد نزاع عابر بين الغرب و جماعات تنتمي إلى العالم الإسلامي بل أنّه تاريخي. و بما أنّه يقدّره بأربعة عشر قرنا، فهو يعتبر عمر هذا الصراع مساويا تماما لتاريخ الإسلام، منذ البعثة إلى الوقت المعاصر، و كل ذلك يبين رغبته في تضخيم هذا الصراع.

و يستعرض **هانتنغتون** من وجهة نظره مراحل تطور الصراع بين الغرب و الإسلام كما يلي:« بعد توقف المد الإسلامي نحو الغرب و الشمال سنة 732م حاول الصليبيون، بين القرنين الحادي عشر و الثالث عشر إقامة المسيحية في الأراضي المقدسة، لكنّ العثمانيين تمكنوا من استعادة قوة الإسلام بين القرنين الرابع عشر و التاسع عشر، و امتدت سيطرتهم إلى الشرق الأوسط، و البلقان، كما سيطروا على القسطنطنية، و حاصروا فينا مرتين » .[2]

أي أنّ **هانتنغتون** يذكّر بالحروب الصليبية، لكن الكثير من المؤرخين و المثقفين العرب رفضوا تسميتها بالحروب الدينية.« لقد كانت تسمى حروب الفرنجة و ذلك لأنّه في الأماكن

[1]-صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد،ص،388.

[2]-صاموي.بي هانتنغتون،الإسلام و الغرب ،ص،23.

المقدسة كان هناك مسيحيون عاشوا بين المسلمين رفضوا تلك الحملات التي شنها الغرب. بل أنّ الثقافة العربية الإسلامية بقيت بمنأى عن التطرف الإيديولوجي في نظرتها للثقافات الأخرى، و لم تنظر إلى الصراع العربي الإسرائيلي على أساس أنه صراع مع اليهودية، و إنّما اعتبرته صراعا مع الحركة الصهيونية »[1].

أما في العصر الحديث من وجهة نظر **هانتنغتون** و بعد الحرب العالمية الثانية فقد حدثت عدة مواجهات بين الغرب و المسلمين من بينها:« الحرب بين فرنسا و الجزائر، اعتداء بريطانيا وفرنسا على مصر سنة 1956، تدخل أمريكا عسكريا في لبنان ، ثم في كل من ليبيا و إيران، لكن الصراع بلغ ذروته سنة 1990 في حرب الخليج الأولى » [2] .

للبرهنة على حدة الصراع بين الغرب و المسلمين أراد **هانتنغتون** أن يستدل « بإحصائيات أثبتت "في نظره " أن 50 بالمائة من الحروب بين دول لها ديانات مختلفة. أما التي وقعت بين 1820 و 1929 فقد كانت بين المسيحيين و المسلمين، و هذه الحروب مصدرها طبيعة الديانتين »[3].

و مما ذكرناه نستخلص بأنّ **هانتنغتون** لا ينظر إلى الصراع على أساس أنّه بين طرف مهيمن هو الغرب، و آخر يسعى إلى نيل الحرية التي هي أهم القيم التي جاء بها مشروع الحداثة الغربي، علما أنّ مشروع التحرر من الهيمنة الغربية كان عالميا، و لم يقتصر على العالم الإسلامي، بل أنّ بعض ثورات التحرر في عدة أماكن من العالم كانت أقوى من تلك التي اندلعت في بعض البلدان الإسلامية. بالإضافة إلى ذلك نسجل بأنّه فيما يتعلق بالإسلام يعتبر صراعه مع الغرب تاريخي، على الرغم من أنّه في نموذجه نسب الصراعات الحضارية و الدينية إلى مرحلة ما بعد الحرب الباردة.

---

[1] –رياض نعمان آغا،العرب و تحديات القرن الحادي و العشرين،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،وزارة الثقافة، دمشق،2010، ص ص،607–608

[2] –صاموي.بي هانتنغتون،الإسلام و الغرب ،ص،24.

[3] – صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،340.

و يركز **هانتنغتون** على ظاهرة تشكل من وجهة نظره خطرا على الغرب، ألا وهي الصحوة الإسلامية،« فعندما زالت الإمبراطورية العثمانية أصبح الإسلام بدون دولة مركز، و في الوقت المعاصر ظهرت صحوة إسلامية تحاول التكيف مع الحضارة الغربية، بالسعي إلى ايجاد حل في الإسلام عوضا عن الإيديولوجيا الغربية »[1].

أي أنّ المسلمين في نظره يعانون من إحباط بسبب تراجع قوتهم و مجدهم، لذلك جاءت الصحوة الإسلامية كمحاولة لإحياء مجد الإسلام القديم. إذن فالصحوة الدينية بالنسبة إليه ليست مؤشرا يدل على العودة إلى الهوية، بقدرما تعني أنّ المسلمين من خلالها يطمحون إلى إلحاق الأدى بالغرب حسب رأيه.

كما يعتقد **هانتنغتون**« بأنّ تجاهل أثر هذه الصحوة على سياسة نصف الكرة الشرقي في أواخر القرن العشرين، يضاهي تجاهل أثر حركة الإصلاح البروتستانتي أواخر القرن السادس عشر في أوروبا لكن هذه الصحوة أعظم لأنها مست كل بلدان العالم الإسلامي » [2].

و نستخلص من ذلك أنّ **هانتنغتون** يريد أن يبرز للأروبيين قوة و خطر الصحوة الإسلامية لكنّه يخاطبهم بلغتهم، فإذا كان ما يسميه بالإصلاح البروتستانتي مسار مهم في التاريخ الأوروبي، فإنّ ما يقابله الآن في العالم الإسلامي هو الصحوة الإسلامية. لكن ليس معنى ذلك هو أنّه يقتنع بقدرة الإسلام على تغيير المجتمع، بل أنّه تحسيس للأروبيين و دعوة لهم لكي يتحصنوا بهويتهم، طالما أنّ الشعوب الأخرى خاصة الإسلامية تسعى إلى تحدي الغرب انطلاقا من دوافع دينية في نظره.

و ينبغي أن نوضح بأنّ عدة آراء سارت في اتجاه **هانتنغتون** حيث أنّ الكاتبة **جوديث ميلر** Judith Miller* « اعتقدت بأنّ الحركات الإسلامية في كل العالم العربي تمكنت من تغيير لغة

---

[1] – صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ، ص،181.

[2] – المصدر نفسه ،ص،183.

* – صحافية أمريكية و لدت سنت 1948 بنيويورك ، من المؤيدين لآراء هانتنغتون، كما عرفت بآرائها المعادية للعالم الإسلامي.

السياسة، كما أنّ الإسلام أضفى طابعا أصوليا على الثقافة القومية، أما أنظمة الحكم فأصبحت تقوم بمجهودات كبيرة من أجل تلبية مطالب المواطنين الداعية إلى أسلمة الدولة »[1].

لذلك فهي ترى بأنّه « يجب على الدول الغربية أن تعارض تلك الحركات التي حتى و إن ادعت الإقرار بالتعددية و الديموقراطية فهي في الحقيقة لا تؤمن بهاتين القيمتين، و من المرجح أن يستمر هؤلاء الإسلاميين في مناهضتهم للغرب و للأمريكيين و الإسرائيليين»[2].

أما أخطر مواجهة بين الإسلام و الغرب حسب **هانتنغتون**« فقد تمثلت في هجمات الحادي عشر من سبتمبر، و هي الأكثر تدميرا في سلسلة الهجمات التي تعود إلى مرحلة الثمانينات. و قد تم إستهداف أمريكا لمجموعة من الأسباب منها، أنّها قوية، كما أنّها في نظر المتشددين تقوم بنشر قواتها في العالم الإسلامي. لكنّ هذا الهجوم ملأ الفراغ الذي تركه **غورباتشوف**، حيث أنّه قد حدد بشكل دقيق هوية أمريكا كأمة مسيحية، و إذا كان الصراع الإيديولوجي قد أدى إلى خلق تعريفات سياسية و عقائدية للهوية الأمريكية فإنّ هذا العداء الإسلامي يشجع الأمريكيين على إدراك هويتهم في إطارها الثقافي و الديني » [3].

و هنا نسجل بأنّ **هانتنغتون** يؤمن بدور الحرب في تكوين الهويات، و الهوية التي نسجها عن أمريكا تتحول هنا إلى أمر واقع، كما أنّها عرضة للهجوم بل للإفناء في نظره، و عليه فإنّه يريد أن يشعر الأوروبيين بأنّهم أمام عدو يستهدفهم بسبب هويتهم، و خير مثال يثبت ذلك في نظره هو هجمات الحادي عشر من سبتمبر.

و يذهب **بول مارشل** Paul Marshall إلى أبعد مما تصوره **هانتنغتون**،« حيث يتحدث عن وجود غفلة لدى أمريكا حجبت عنها الأخطار التي تأتي من العالم الإسلامي، و يرجع ذلك إلى ما يسميه

---

[1]–صامويل.بي هانتنغتون،الإسلام و الغرب ، ص،70.

[2]–المصدر نفسه ،ص،72.

[3]–صامويل.بي هانتنغتون،من نحن؟المناظرة الكبرى حولأمريكا ،ص ص، 464–465.

"عمى لائكي" Secular myopia، تسبب في عدم انتباه أمريكا إلى هجمات الحادي عشر من سبتمبر، و هي لم تكن أول مرة في نظره، بل أنّ أمريكا كذلك لم تنتبه من قبل لخطر قادم من المسلمين تمثل في الثورة الإيرانية »[1].

حول هذه المسألة يرى **تودوروف** بأنّ فكرة العدو في أطروحة **هانتنغتون**« قد لقيت نجاحا كبيرا بعد حوادث 11سبتمبر 2001، فقد قام عدة محللين بإعلان حرب عالمية رابعة بين خصمين هما الغرب و الإسلام، و هنا ظهرت خطابات اليمين المتطرف في الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تستند إلى رؤية توتاليتارية، و التي هي في الحقيقة تجسيد لسلوك تقليدي تترجمه بعض العبارات كتلك الموجودة في الإنجيل: "من لم يكن معي فهو ضدي". و إذا كانت بعض البدع المسيحية تؤمن بثنائية عالم الشر الدنيوي، و عالم الخير الأخروي، فإنّ هذا المعيار قد يترجم إلى طرفين، هما نحن محور الخير و الآخرين مصدر الشر. و هذا يؤسس للرغبة في التخلص من العدو الذي يجسد الشر، و هي رؤية سادت بين المسؤولين الأمريكيين من أجل إستمالة القناعة الدينية للمواطنين »[2]

و ما يمكن استخلاصه من هذه التوضيحات التي قدمها **تودوروف**، أنّ اطروحة **هانتنغتون** و الآراء المؤيدة لها كانت تعتمد على الخطاب الديني، و تستغل الأجواء السياسية المناسبة، من أجل التأثير على الشعوب الغربية، و إقناعها بوجود عدو يهدد عقيدتهم، ثم دفعهم إلى معاداة الإسلام.

لكنّ **هانتنغتون** استقى فكرة معاداة الإسلام للغرب من مصدر آخر ألا و هو **برناردلويس**، خاصة و أنّه يستشهد بأرائه حول العالم الإسلامي، ففيما يتعلق بهوية المسلمين تصور **برنارد لويس** « بأنّ المسلمين في أوقات الشدة يتميزون بميل متواتر للبحث عن الهوية و الإنتماء من خلال الإسلام »[3].

[1]-Paul Marshall,**God and the Constitution,Christianity and American Politics**,Op.Cit,p,158.

[2]– **تزيفيتان تودوروف،الخوف من البرابرة،ما وراء صدام الحضارات ،ص ص،103–104.**

[3]–**صاموي.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،161.**

و يمكن اكتشاف المزيد من التلاقي عندما نقارن أراء **هانتنغتون** بما تضمنته مقالة **برنارد لويس** بعنوان: "جذور السخط الإسلامي"، التي ادعى من خلالها « بأنّ الإسلام قام بغرس الكراهية تجاه العالم الغربي، و بعض دوله تعادي الغرب منها ايران، ليبيا، و لبنان، و هذه الكراهية تتجاوز العداء حول المصالح بل هي رفض للحضارة الغربية و لقيمها، فهذه المبادئ تبدو لهم حقا شر متأصل، و أولئك الذين يتبعونها أو يقبلون بها يعتبرون أعداء الله »[1].

إضافة إلى ذلك فإن **برنارد لويس** نظّر لفكرة صدام حضاري بين الغرب و الإسلام،« وسبب هذا الصدام هو عودة المسلمين إلى تبني الرؤية التقليدية القائمة على تقسيم البشر إلى طرفين، هما دار الإسلام و دار الحرب، القسم الأول يتمثل في العالم الإسلامي أين تطبق الشريعة، و الثاني يتمثل في الآخرين و هم الكفار الذين يجب محاربتهم »[2].

هذا التقاطع الموجود بين أفكار **هانتغتون** و أراء **برنارد لويس**، و الذي يقوم على نظرة عدائية للإسلام أدركه عدة باحثين ،« حيث يعتبرهما البعض مشتركين في توجه يسعى إلى التماهي عن المشكلة الحقيقية في العالم العربي الإسلامي، و المتمثلة في الاستبداد السياسي، و إظهار المشكلة على أساس أنها راجعة لأسباب ثقافية » [3].

إضافة إلى كل ما سبق، يعتقد **هانتنغتون** بأنّ المسلمين خاضوا حربين حضاريتين، الأولى تمثلت في الحرب الأفغانية و الثانية كانت حرب الخليج.

بالنسبة للحرب الأفغانية، ساهمت حسب **هانتنغتون**« في انهزام إمبراطورية الإتحاد السوفياتي، و حسب مبادئ السياسة الغربية، فإنّ هزيمة السوفيات كانت انتصارا كبيرا. أما فيما يتعلق بالمسلمين

[1] –برنارد لويس،لغة السياسة في الإسلام،ترجمة:د.إبراهيم شتا،دار قرطبة للنشر و التوثيق و الأبحاث ط 1 ، 1993،ص،11.

[2] – برنارد لويس،إدورد سعيد،الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الأمريكية،من وجهة نظر أمريكية،دار الجيل بيروت،ط1،1994،ص،13.

[3]- Jin Cohn,**Samuel Huntington dans l'univers stratégique américain Mouvements,n°30** novembre,decembre,2003,Emmanuelle Tonnerre,Paris,p,25.

فتعني أول مقاومة ناجحة ضد قوة غازية، و هذا الانتصار جهاد، منح قوة و ثقة في النفس للذين حاربوا السوفيات. لذلك فما يراه الغرب انتصار للحرية يراه المسلمون انتصارا للإسلام »[1].

و ما نسجله هنا هو أنّ حسابات **هانتنغتون** تدخل في إطار استراتيجي، فهو لا يقرأ المتغيرات على أساس أنّها مرحلة تتويج لقيم الليبيرالية، بل أنّ انهزام الإتحاد السوفياتي في أفغانستان من منظوره ليس زوالا للأخطار التي تهدد الحضارة التي ينتمي إليها، بل هي في نظره بداية تحد جديد مصدره الإسلام.

كما أنّ هذه الحرب حسب اعتقاده« أدت إلى تحالف بين منظمات إسلامية أصرت على مواجهة القوى غير الإسلامية، أما من حيث القوة المادية فقد تركت هذه الحرب إرثا من المقاتلين المدربين، و عددا من معسكرات التدريب، و تسهيلات لوجستية »[2].

الحرب الحضارية الثانية في نظر **هانتنغتون** تمثلت « في حرب الخليج، فهي أول حرب موارد بين الحضارات بعد الحرب الباردة، و رهان هذه الحرب كان حول ما إذا كان أهم جزء من البترول في العالم سوف يكون تحت سيطرة حكومات الخليج، أم أنّه سوف يكون تحت سيطرة أنظمة معادية للغرب، ربما ستتمتلك قدرة على استخدامه كسلاح ضدها »[3].

و لعل ما نسجله هو أنّ **هانتنغتون** في حد ذاته مقر بأنّ أهم عامل في هذه الحرب يتمثل في المورد الحيوي و المتمثل في البترول، الذي يسعى الغرب إلى الحفاظ عليه بكل السبل، لكنّه رغم كل ذلك يعتبر الحرب حضارية.

الدليل على أنّ حرب الخليج الثانية كانت حضارية في نظره هو« أنّ الكثير من النخب العربية أشادوا بصدام حسين الذي تحول إلى بطل من منظور الكثير من الجماهير العربية. كما أنّ **صفر**

[1] – صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص ص،399–400.

[2] – المصدر نفسه ،ص،401.

[3] – المصدر نفسه، ص،408.

الحوالي عميد كلية الدراسات الإسلامية بجامعة مكة صرح بأنّ العالم لايقف ضد العراق، بل ضد الإسلام، أما الزعيم الإيراني آية اللّه خامينائي فقد دعا إلى الجهاد ضد الغرب »[1].

نستخلص إذن بوضوح بأنّ **هانتنغتون** يعتبر الحضارة الإسلامية الوحيدة التي خاضت حروبا حضارية ضد الحضارة الغربية، و بالتالي فإنّ معادلة الصراع التي تمثلت في: الغرب ضد البقية، تقلصت و أصبح الصراع الحقيقي في نظره بين الحضارة الغربية و الإسلامية.

لكن لو عدنا إلى حرب الخليج فهي في حد ذاتها تضع النموذج الحضاري في تفسير الصراعات السياسية على المحك، و السبب في ذلك هو أنّ عدة دول إسلامية كانت متحالفة مع الغرب ضد دولة متقاربة معها ثقافيا و دينيا. بالإضافة إلى ذلك فإنّه توجد دول تخندقت خلف الولايات المتحدة لا تربطها بها أية قرابة ثقافية، بل أنّها تنتمي إلى ثقافات مختلفة. و لو كانت الثقافة هي التي تحدد سلوك الدولة كما يعتقد **هانتنغتون**، لما نجح الغرب في جمع حلف مكون من دول تنتمي إلى حضارات مختلفة.

2-الصراع بين الحضارة الغربية و الحضارة الصينية:

يهتم **هانتنغتون** بدور الصين في آسيا و يربطه بالبعد الثقافي،« حيث أنّ الاشتراك في الثقافة هو الذي يسهل تطور العلاقات الإقتصادية بين شعوب الصين و هونجكونج، و في حالة ما إذا تدعم التقارب الثقافي بالإنذماج الإقتصادي فسوف تتحول الصين إلى مركز اقتصادي، أو قوة اقتصادية بالنسبة لمنطقة آسيا »[2].

و تكشف نظرة **هانتنغتون** عن الدور المزدوج للثقافة بالنسبة إليه، حيث أنّها قد تكون سببا محوريا للصراع عندما يتعلق الأمر بشعبين مختلفين ثقافيا، لكن عندما يتعلق الأمر بشعوب متقاربة ثقافيا فإنّ الثقافة سوف تؤدي إلى التكتل كما هو الشأن بالنسبة للدول الآسيوية في نظره.

[1]-صامويل.بي هانتنغتون،الإسلام و الغرب ،ص،33.

[2] - Samuel p.Huntington,**The clash of civilizations ? Foreign Affairs,** Op.Cit,p,28.

و يرجع **هانتنغتون** الصراع بين الحضارتين الغربية و الصينية إلى أمرين هما: الاختلافات الثقافية، و التنافس في القوة.

بالنسبة للخلافات الثقافية يشير إلى« أنّ القادة الصينيين قرروا من جهة الاشتراك في الاقتصاد العالمي، و من جهة أخرى عادوا إلى ثقافتهم التقليدية، فبعض قادة **هونجكونج** كانوا يفتخرون بقوميتهم، كما وقع تغير مهم من الناحية الثقافية ، فبعد أن كانت الكونفوشية في الصين لدى الكثيرين مصدرا للتخلف، أصبح القادة السياسيون في أواخر القرن العشرين يعتبرونها مصدرا لنهضة بلدهم » [1].

أي أنّ **هانتنغتون** يعتبر إحياء الثقافة الكونفوشية دليل على رفض الصينيين للثقافة الغربية، و لعله يشير إلى تيار الكونفوشيين الجدد. و من رواده، **جيان كينغ** Qing Jiang التي سعت إلى« إعادة تركيب الهوية الصينية، و هي تعتبر الكونفوشية تاريخيا أساس الهوية الصينية، التي تميزت بمفاهيم أساسية منها:Ren و تعني محبة القريب، Yi و تعني العدالة، Li و تعني العبادات، Zhi و تعني الحكمة. كما أنّها اعتقدت بأنّ تغريب السياسة الصينية هو بالأساس تغريب للصين. انتقدت كذلك السياسة الغربية مركزة على مفهوم الطبيعة البشرية في الليبرالية معتبرة إياه داروينية اجتماعية ».[2]

و هذه المعطيات توضح بأنّنا أمام ثقافة متميزة تقوم على نظرة خاصة للحياة، تختلف عن تلك التي نجدها في الثقافة البروتستانتية التي أشاد بها **هانتنغتون**، و بسبب هذه الإختلافات الثقافية ينظر إلى الحضارة الصينية كمصدر للتحدي و الخطر، و كأنّ إختلاف الهوية يعني بالضرورة الصدام.

[1] –صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،174.

[2] - Chen Ming,**la philosophie politique confucéenne face à la globalisation,** Diogéne(press universitaires de France,(p128à145)pp,131-132.

من بين المشكلات كذلك بين الحضارتين في نظر **هانتنغتون**« تلك التي تتعلق بموازين القوة، فالصين لا تريد أن تكون أمريكا مهيمنة على العالم، كما أنّ أمريكا بدورها ليست مستعدة لقبول هيمنة الصين على آسيا »[1].

و تمثل الصين حسب رأيه تهديدا خطيرا للغرب « لأنّها تسعى باستمرار من أجل تطوير و تحديث قدراتها العسكرية، و ما يساعدها على ذلك هو التنمية الناجحة التي يحققها اقتصادها، و قد قامت في التسعينيات باختبار تفجيري لشحنة نووية. أما في منطقتها فهي تثير سباق تسلح إقليمي مع الدول المجاورة، تقوم الصين كذلك بتصدير تكنولوجيا الأسلحة و المواد التي يمكن استعمالها في صناعة أسلحة نووية »[2].

« و من أبرز الفترات الساخنة بين أمريكا و الصين سنة 1991، حيث أنّ الصحافة الصينية تحدثت عن حرب باردة بين البلدين، و في سنة 1995 اتهم الصينيون الولايات المتحدة بأنها تسعى إلى احتواء الصين استراتيجيا. و من أهم أسباب التوتر زيارة الرئيس التايواني لأمريكا، و بيع هذه الأخيرة لتايوان طائرات حربية متطورة، كما أنّ أمريكا اعلنت التبت كمنطقة محتلة، و اتهمت الصين بمساعدة ايران للحصول على أسلحة كيمياوية، و هددتها بمزيد من العقوبات الإقتصادية »[3].

لكن إذا كان **هانتنغتون** المنتمي إلى الثقافة الغربية يضخم الصراع بين الغرب و الصين متصورا بأنّ سببه اختلاف الثقافتين ، فإنّ عدة مفكرين يفسرون علاقة الصين بالغرب بناءا على رؤية مخالفة. فالباحث الصيني **شان يان** Yan Chen « يستبعد الصدام الحضاري بين الصين و الغرب، بل أنّ

[1]–صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ، ص،370.

[2]–صامويل.بي هانتنغتون،الإسلام و الغرب ، ص،58.

[3]–صاموسل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد، ص ص، 360–361.

العلاقة بنيهما تنافسية، فالصينيين في نظره لا يبحثون عن الاستثنائية، بل أنّهم يتطلعون إلى النفوذ، و يريدون أن يكونوا الأوائل، و الغرب هو الذي لا يرى في الصين سوى الخلاف »[1] .

و بالتالي نستنتج بأنّ **هانتنغتون** حاول أن يؤكد بأنّ كل التوترات التي و قعت بين الصين و الغرب أسبابها ثقافية بالدرجة الأولى، إلاّ أنّه يدخل كذلك الحسابات الإستراتيجية، بدليل أنّه قيّم جوانب القوة التي تتمتع بها الصين، كما أشار إلى التنافس الإستراتيجي حول آسيا. و كل ذلك يثبت بأنّه لا يكتفي بالثقافة لأنّ سلوك الصين بعد الحرب الباردة يفهم بلغة الترتيبات الإستراتجية، و ليس بالبعد الثقافي. فالصين كقوة فاعلة قامت بعد الحرب الباردة بترتيبات، حيث أنّها أخذت بعين الاعتبار الجمهوريات الإسلامية الواقعة في آسيا الوسطى، و منها كازاخستان، و قيرغيزيا، و طاجكستان، و سعت إلى إنشاء تعاون إقتصادي بهذه المنطقة يضم الدول المذكورة بالإضافة إلى روسيا. و بهذه الطريقة فإنّ الصين حسب العديد من الملاحظين تطمح بالدرجة الأولى إلى تحقيق أهداف أمنية اقتصادية بعد نهاية الحرب الباردة.

3-الصراع بين الحضارة الغربية و الحضارة الإفريقية:

يعتقد **هانتنغتون** بأنّ « علاقة الحضارة الإفريقية بالغرب قد تكون أشد توترا، لأنّه على الرغم من أنّ دولة جنوب افريقيا قامت بتدمير الأسلحة النووية التي تم انجازها عهد الحكومة البيضاء، فإنّ القدرة على إنتاجها في نظره لم تدمر، و الخطر يكمن في امكانية انتاج هذه الأسلحة الخطيرة من طرف حكومة تريد أن تؤدي دور دولة مركز في أفريقيا من أجل التصدي للغرب »[2].

[1] – Geoffrey Delcroix,**impactes des revolutions sociales au regard des cultures,des religions des modes de vie,del' organisation des societétés sur le système international a trente ans, Futuribles/Das05 251**, Op.Cit, p,80.

[2] – صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ، ص،390.

بالإضافة إلى ذلك « ظهرت عملية تأصيل في أفريقيا للقضاء على القيم الغربية، فدولة جنوب أفريقيا سوف تتخلص من عناصر الثقافة الإنجليزية لتعود إلى الثقافة الأصلية، لكنّها في نظره حضارة ليست قوية بل أنها تعتمد على الغرب و قد استبعد قدرتها على أن يكون لها و زن في الصراع بين الغرب و خصومه »[1].

و لعل **هانتنغتون** يريد أن ينبه الغرب إلى مشكلتين، الأولى إحتمالية تتمثل في خطر إستحواذ دولة إفريقية مناهضة للغرب على برامج خاصة بصناعة الأسلحة النوية، حيث أنّ هذا الأمر سوف يقلب موازين القوة في هذه القارة.

أما المشكلة الثانية فتتمثل في عودة التأصيل إلى أفريقيا،« و هي ظاهرة أصبحت بارزة. على سبيل المثال فيما يتعلق بالرموز قام رئيس جنوب أفريقيا **مبيكي** سنة 2000 بإستبدال الوسام السابق لهذا البلد، ليضع مكانه وساما يحتوي على عبارة مكتوبة باللغة الخويسية Koisa وهي لغة قديمة ».[2]

« كما أنّه توجد حاليا مساعي كبيرة في أفريقيا من أجل تحقيق انبعاث أفريقي، حيث تأسس معهد في بوتسوانا له فروع في عدة بلدان منها جنوب أفريقيا، هدفه تحرير أفريقيا من الموروث الاستعماري، و من أهداف المعهد معالجة بعض المشكلات المتعلقة بالتنمية البشرية، و قضايا الإدارة و السلم، و كذلك شؤون الصحة و الثقافة ».[3]

تهديدات أخرى حسب **هانتنغتون** تأتي من القارة الأفريقية،« و على و جه التحديد من دول شمال أفريقيا ارتفاع، النمو الديموغرافي الذي أدى إلى زيادة عدد المهاجرين إلى دول أوروبا الغربية، و قد تسبب ذلك في مشاكل داخلية منها تنامي العنف ضد المهاجرين و العنصرية » [4].

[1] –المصدر السابق،ص،**391**.

[2] –بيتر إل– بيرغر،صامويل، بي هانتنغتون،عولمات كثيرة، التنوع الثقافي في العالم ،ص، **279**.

[3] –المصدر نفسه ،ص،**290**.

[4] - Samuel p.Huntington,**the clash of civilizations ? Foreign Affairs**,Op.cit,,p.32,

و من منظور **هانتنغتون** فإنّ « هذه الهجرة قد تتراجع في حالة ما إذا تمكنت دولة ما في هذه القارة و هي جنوب إفريقيا من إجتذاب المهاجرين إليها، لكن في حالة إستمرار تفق المهاجرين الأفارقة إلى أوروبا قد تصبح هذه الأخيرة مهددة بالأفرقة عوضا عن الأسلمة ».[1]

و ينبغي أن نوضح هنا بأنّ **هانتنغتون** عندما حذر من تبعات الهجرة على مستقبل المجتمعات الغربية، فإن ذلك يأتي في سياق تطور النظريات المتعلقة بالأمن،« فمنذ 1983 أصبح مفهوم الأمن مع **بوزان** يشمل الجانب الإقتصادي و الإجتماعي. و هذا الأخير يُقصد به قدرة مجتمع ما على حماية هويته من مخاطر محتملة أو حقيقية، لذلك شحص البعض الهجرة كخطر جديد حل مكان الشيوعية »[2].

بل أنّ الهجرة حسب باحثين آخرين بمثابة حرب جديدة، و منهم الكاتب الألماني **كريستوفر هاين** Hein.C الذي خاطب المهاجرين قائلا: « لقد بدأتم تعلنون الحرب علينا، إنّ عالمكم هو الذي غزا عالمنا. كما أنّه اقترح صد الأبواب أمام المهاجرين لمواجهة ذلك » [3].

و نستنتج بأنّ هذه المواقف الرافضة للهجرة تستند إلى نظرة مركزية، متأثرة بأطروحة صدام الحضارات، و هي تعتبر الخارجين عن الغرب و الوافدين إليه مقلقين، بل مهددين لأمنه الاجتماعي، لذلك كانت هذه الأطروحة سندا للتيارات العنصرية الرافضة للأجانب في عدة دول أوروبية منها فرنسا.

4–الصراع بين الغرب و الحضارة اليابانية:

يُعتبر اليابان من منظور **هانتنغتون**« حضارة فريدة من نوعها، و هذا البلد هو الوحيد الذي له حضارة خاصة به، لكن على الرغم من قدراته الكبيرة في مجال التنمية الاقتصادية إلاّ أنّه من المستبعد أن

---

[1]–صامويل، بي هانتنغتون،صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص، **330**.

[2] -Philipp Marchesin,**les Novelles Menaces,Les Relations Sud Nord Des Années 1980 A Nos Jours**,KarThala,Paris,2001,pp 31-32.

[3]–بلخيرة محمد،برديغمات العلاقات الدولية المعاصرة:المركزية الغربية نموذجا،لأكاديمية للدراسات الأجتماعية و الإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، عدد–**10**جوان**2013**،ص،**83**.

يتمكن من تشكيل كتلة تضم دولا من منطقة آسيا الشرقية و السبب هو أنّه مختلف ثقافيا عن هذه البلدان » .[1]

بمعنى أنّه إذا كانت الثقافة هي التي تجمع و تفرق بعد مرحلة الباردة كما لاحظنا في معالجتنا لموضوع الهوية الثقافية في الفصل الأول، فإنّ اليابان في نظره بسبب اختلافه ثقافيا عن دول آسيا من المستبعد أن تكون قادرة على تحقيق قوة إقليمية، و بالتالي فهو في هذا الجانب لا يعتبرها كالصين التي بسبب تقاربها مع دول آسيوية ثقافيا نجحت في تكوين كتلة تتحدى الغرب.

لكن اليابان من وجهة نظره،« هو الحضارة الوحيدة في العالم التي جعلت نفسها منتسبة للغرب و هي بالتالي تشكل حالة فريدة بالنسبة للحضارات الأخرى، و قد أصبح اليابان دولة ذات وزن كبير داخل الكتلة الغربية فهي شريك للغرب في معالجة القضايا الإقتصادية العالمية مع دول كلها أوروبية هي أمريكا ألمانيا و اليابان » [2].

يضيف **هانتنغتون** بأنّ اليابان،« من الناحية التاريخية شهد عملية تحديث لكنّ الذين مارسوه حافظوا على ثقافة اليابانيين الأصلية، و قد قام هذا البلد بمحاكاة أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، و نجح في إرساء الرأسمالية في نهاية السبعينيات، و بعدها جاء يبانيو الإحياء الذين فضّلوا الابتعاد عن الغرب، لذلك فهي تؤكد تميزها عن الغرب و عن الثقافات الآسيوية »[3].

أي أنّ عملية التأصيل للثقافة المحلية في نظر **هانتنغتون** التي تتم في اليابان قد تعمل على إبعاده عن الغرب، خاصة وهو يعتقد كما لاحظنا بأنّ الثقافات تتميز بالثبات وعدم القابلية للتغير لذلك فالثقافة اليابانية سوف تمنع هذا البلد من أن يكون غربيا.

[1] - Samuel p.Huntington,**the clash of civilizations ? Foreign Affairs** Op.Cit,p ,28.

[2] **–صامويل.بي هانتنغتون،الإسلام و الغرب ، ص،41..**

[3] **– صامويل، بي هانتنغتون،صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي الجديد،ص ص، 173–176.**

و أهم الفترات التي شهدت توترا بين اليابان و الولايات المتحدة حسب **هانتنغتون**« تمثلت في بداية التسعينات، فقد وقعت خلافات حول دور اليابان في حرب الخليج و التواجد الأمريكي على أراضيها. و أهم نزاع تمثل في حروب التجارة، حيث أنّه سنة 1994 أصدرت الإدارة الأمريكية قرارا يمنح السلطات بتوقيع عقوبات ضد اليابان. و كان رد فعل اليابان هو التهجم على سياسة أمريكا، و كانت الخلافات أكثر حدة في منتصف التسعينيات حيث أنّ قيادات اليابان بدأت تناقش الوجود العسكري الأمريكي » [1].

أي أنّه إذا كانت بداية التسعينيات مرحلة مهمة و إعادة ترتيبات من طرف الدول القوية و منها اليابان، التي أرادت أن تناقش مسألة التواجد العسكري الأمريكي داخل أراضيها فإنّ **هانتنغتون** يربط الأمور بالعامل الثقافي و يعتبره سببا للخلافات بين اليابان و الغرب.

و حول هذه المسألة يرى الباحث **جيمس كورث** « بأنّ **هانتنغتون** لم يحدد صراعا خطيرا بين الغرب و اليابان، بل أنّه ركز على الخلافات الإقتصادية بالدرجة الأولى، كما أنّه إعتبر اليابان حضارة معزولة عن الغرب و عن دول آسيا و الحضارة الصينية، و من هنا فهو يشير إلى إمكانية استغلال هذه النقطة لصالح الغرب من أجل إنشاء تحالف معها عوضا عن تركها لتحالف مع الصين » [2].

5-الصراع بين الحضارة الغربية و الحضارة الأرثوذوكسية: بالنسبة لهذه الحضارة يركز **هانتنغتون** بوجه خاص على روسيا،« و هي بلد ممزق*، لأنّ نخبها و جماهيرها منقسمة حول ما إذا كان ينبغي على بلدهم أن يسير في تيار الغرب أم يبقى معارضا له، لقد قام **يلتسين** بمحاولات لتبني بعض المبادئ

[1] – المصدر السابق، ص، 359.

[2] - James Kurth, **The Real Clash,The National Interest,(** 3 Fall 1994), Washington,p,3.

الغربية و سعى إلى جعل روسيا جزءا من الغرب، لكن هناك من عارضه و اتهمه بإخضاع روسيا للغرب[1] » .

و بالتالي فإذا كناّ قد لاحظنا سابقا بأنّ **هانتنغتون** قد ذكر بأنّ لكل حضارة دولة مركز، فهو بالنسبة للحضارة الأرثوذوكسية يهتم على وجه الخصوص بروسيا لأنّها أقوى دولة فيها، و هو يعتبرها دولة تعاني من أزمة هوية، لأنّها مترددة بين قبول قيم الغرب أو رفضها.

و مصدر الخطر الذي يأتي من روسيا حسب **هانتنغتون**« يتمثل في وجود فئة متشددة تميل إلى نزعة قومية مناهضة للغرب حيث أنّهم انتقدوا توجهات كل من **غورباتشوف** و **يلتسن**، و اتهموا هذا الأخير باهتمامه بمصالح الغرب، و عدم مساعدة الصرب ضد المسلمين، و تخفيض القدرات العسكرية، كما أنّ بعض القوميين كانوا معادين للسامية و لذيهم تطلعات لإعادة بناء الإمبراطورية الروسية »[2].

لكنّ **هانتنغتون** تحدث عن« حروب روسيا التاريخية ضد المسلمين، منها تلك التي و قعت بينها و بين الأتراك، و كذلك حروبها في آسيا الوسطى، كما أنّها الآن في حرب ضد شيشينيا و هي ذات شعب مسلم، أما في طاجكيستان فقد دعمت روسيا الحكومة من أجل التصدي للتيار الإسلامي المناهض لها » [3].

و هذه التحليلات كما نلاحظ ذات طابع استراتيجي بالدرجة الأولى، و هذا ما أشار إليه الباحث **جيمس كورث** الذي« وضّح بأنّ **هانتنغتون** يذكّر بالمواجهات بين روسيا

[1]- صامويل.بي هانتنغتون،الإسلام و الغرب ،ص،50.

[2]– صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،ص،233–234.

[3]–المصدر نفسه،ص،394 .

و المسلمين، و مع التتار و الحضارة الكونفوشية، ربما لكي ينبه إلى أنّ روسيا قد تكون حليفا للغرب لمواجهة التحالف الإسلامي الكونفوشي »[1].

و من هذه التوضيحات نستنتج أنّه فيما يتعلق بالحضارة الأرذوكسية رغم تبني **هانتنغتون** لنموذج الحضارة، إلاّ أنّه لم يقدم روسيا كدولة مركز تسعى إلى التمسك بقيم المسيحية الأرثوذوكسية في وجه البروتستانتية التي هي أهم مقومات الحضارة الغربية، بل أنّه يحذر الغرب من احتمال عودة الإيديولوجيا الماركسية. كما لا يستبعد احتمال تحالفها مع الغرب ضد قوى أخرى.

6- الصراع بين الحضارة الغربية و حضارة أمريكا اللاتنية:

يعترف **هانتنغتون** « بوجود نوع من التقارب الثقافي بين أمريكا اللاتنية و شعوب القارة الأوروبية و سبب ذلك هو انتشار و نهوض البروتستانتية، حيث أنّه في فترة الثمانينيات و التسعينيات تقاربت الأنظمة السياسية و الاقتصادية لدول هذه المنطقة لتصبح شبيهة بأنظمة الدول الغربية، بالإضافة إلى ذلك تراجعت الدولتان اللتان قامتا بمحاولات للحصول على أسلحة نووية عن هذا المسعى. إلا أنّه رغم كل أشكال التقارب بين الحضارتين فإنّه لا يمكن حدوث انذماج بينهما، و إذا حدث فسوف يكون بطيئا. لكن على العموم سوف تكون الخلافات بين الغرب و أمريكا اللاتنية بسيطة مقارنة بحضارات أخرى »[2].

و من هنا فإنّ حضارة أمريكا اللاتنية حسب **هانتنغتون** مقارنة بالحضارات الأخرى تتوفر على مقوّم قد يجعلها أكثر تقاربا مع الحضارة الغربية، و يتمثل في انتشار البروتستانتية التي يعتبرها حاضنة الديموقراطية، لكنّه يستبعد قدرة هذه الحضارة على التحول إلى الغرب بشكل كامل.

[1] - James Kurth, **The Real Clash,The National Interest,**Op.Cit, p p,5-6.

[2] **-صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص ص، 389-390.**

« لكن من أشد القضايا التي تثير مشكلات بين الحضارة الغربية خاصة الأمريكية، و دول أمريكا اللاتنية قضية الهجرة، حيث أنّ الهجرة اللاتنية المكثفة التي حدثت بعد سنة 1965 كانت تشكل تهديدا لهوية أمريكا، و سوف تحولها إلى بلد مزدوج اللغة لأن لغة المهاجرين هي الإسبانية »[1].

إنّ واقع الهجرة في نظر **هانتنغتون** يطرح إشكالا مصيريا حول الهوية الحقيقية لأمريكا لذلك يتساءل:« هل سوف تستمر الولايات المتحدة بلغة وطنية واحدة و بثقافة أنجلوبروتستانتية؟ إهمال هذا التحدي قد يجعل أمريكا تنقسم إلى شعبين لهما ثقافتين مختلفتين هما الإنجليزية و الهيسبانية Anglo and Hispanic، و لغتين هما الإنجليزية و الإسبانية، و هذا ما يعارضه أشد المعارضة حيث، يعتقد بأنّه لا يجب أن يكون في أمريكا سوى حلم واحد تم إبداعه من طرف مجتمع انجلو بروتستانتي.

« There is only the American dream created by an Anglo-protestant society.[2] »

و يلح **هانتنغتون** على« أنّ الهجرة تهدد جوهر الهوية الأمريكية، و المقومات الأساسية التي تشكل نواة الهوية الأمريكية هي التي وضعها البروتستانت البيض، و هي التي أشار إليها **توكفيل** سنة1830 عندما وصف الأمريكيين، بالأمريكيين الإنجليز، و بعدها بقرن فإن مصطلح Wasp كان المرحلة النهائية فيما يتعلق بتعريف الأمريكيين » [3] .

و حول هذا الموضوع يوضح الباحث **فريدريك دوزث** Fréderék Douzet « بأنّ **هانتنغتون** قد أثار موضوعا تقليديا، لأنّ مسألة الهجرة كانت دائما محل اهتمام السياسة الأمريكية، ففي سنة 1753 على سبيل المثال حذر **بنجامين فرانكلين** Benjamin Franklin من خطر الألمان على الأمة الأمريكية بسبب تمسكهم باللغة الألمانية. انزعج كذلك الكثير من الأمريكيين بعد ضم تكساس Texas

[1] –صامويل.بي هانتنغتون،من نحن ؟المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ص،52.

[2] - Samuelp.Huntington,**The Hispanic Challenge Foreign, policy** march 2004 ,(pp30-45)p,35.

[3] -Samuel P.Huntington**,American Politics The Promise Of Disharmony**,Op.Cit,p,27.

من عواقب ذمج المكسيك في الشعب الأمريكي، لأنّ تعدد الأعراق و الثقافات قد يؤثر سلبا على المؤسسات السياسية الأمريكية. أما **هانتنغتون** فهو يضع نفسه في هذا التقليد، لكنّ هاجسه الكبير هو المهاجرين الهيسبانيين، فهجرتهم تهدد جانبا مهما في الهوية الأمريكية ألا و هو الإنجليزية لغة الأباء المؤسسين لأمريكا »[1].

و بالتالي فإنّه إذا كان جوهر أمريكا حسب **هانتنغتون** هو الثقافة التي جلبها المؤسسون الأوائل فهي الآن عرضة للتهديد بسبب المهاجرين، لذلك فهو ينبه إلى نتائج الهجرة الخطيرة على مستقبل قوة الغرب خاصة الولايات المتحدة. و هو لا يعتبر التعدد الثقافي عاملا محفزا على إثراء الثقافات ، بل أنّه يميل إلى نظرة محافظة لتاريخ الغرب، فماهية الحضارة الغربية في نظره قد اكتملت، و بقاء الأمريكيين مرهون بمحافظتهم عليها.

و بصفة عامة نستخلص بأنّ **هانتنغتون** من خلال منطق الصراع بين الغرب و الآخرين يظهر النزاع على المصالح بين الدول على أساس أنّه راجع إلى تعارض الثقافات، و هو يقلل من دور المتغيرات الأخرى. و حول هذه المسألة يرى الباحث الباكستاني **محمد طاهر** Muhammad Tahir « d بأنّ نظرية **هانتنغتون** لا تهتم بالمتغير الاقتصادي، رغم أنّه أهم عامل مؤثر على السياسة الدولية، فكل الدول حاليا تسعى إلى تنمية اقتصادها من أجل لعب دور محوري، بالإضافة إلى ذلك فإنّ مسار المتغيرات لم ينته بعد حيث أنّ التكتلات الجهوية بين الدول منها دول الإتحاد الأوروبي، دول الأسيان و غيرها، لها دور مهم في السياسة الدولية، اعتقد كذلك بأنّ العالم لا يزال في مرحلة انتقالية، لحد الآن لا يمكن وضع تفسير نهائي لما يجري »[2].

---

[1] - Frédérick Douzet,**le cauchemar hispanique De Samuel Huntington, Hérodote.n°115**,la decouverte,2004,(pp31-50),pp,32/33.

[2] -Mian Muhammad Tahir Ashraf, **The Clash Of Civilizations ?A Critique, Pakistan Journal of social sciences** vol.32.n°.2(2012),Pakistan.p,524.

أما **دييتر سنغاس** فقد وضح بأنّ« ما يثير الدهشة هو أنّ **هانتنغتون** لم يكشف بوضوح عن الأسباب الحقيقية التي تجعل الحضارات مستعدة للحرب، و كل ما ذكره هو تعليقات عرضية عن الحروب الصليبية و المسيحية. و لو افترضنا بأنّ ثقافة كل حضارة هي روحها التي تختص بها فإنّ إدراك نزوعها القتالي الفطري، لن يتم إلاّ بتحليل تفصيلي لهذه الثقافة، و هذا ما لم يفعله **هانتنغتون** بل أنّ كل ما قدمه هو رؤى وهمية، هذه الأطروحة لم تفسر لماذا حضارة معينة يجب عليها أن ادخل في صدام ضد أخرى »[1].

و من هذه التوضيحات نستنتج بأنّ **هانتنغتون** أحصى بعض بؤر التوتر بين الغرب و بقية الدول مظهرا إياها على أساس أنّها صدامات حضارية، في حين أنّ هذه النزاعات التي ذكرها يمكن أن تفهم على أساس أنّها ترتيبات قامت بها الدول، خاصة القوية منها كالصين و اليابان بعد أن عرف العالم تغيرات مهمة بعد انتهاء الحرب الباردة.

المبحث الثالث:أطروحة هانتنغتون بين علم الحضارات و إستراتجية أمن الحضارة الغربية

إذا كانت الأبحاث و الدراسات الجادة في مجال التاريخ، و الحضارة تهدف إلى فهم طبيعة الحضارات، و قوانين التاريخ الإنساني، فأين تقع أطروحة صدام الحضارات من كل هذا؟ هل أنّها كانت ترمي إلى فهم طبيعة الحضارات، و اكتشاف قوانينها، أم أنّها كانت تهدف إلى وضع إستراتيجية أمنية للغرب من أجل تخليد هيمنته؟

يمكن القول بأنّ **هانتنغتون** من المفكرين الذين يعترفون بأنّ الغرب يعاني من ضعف نسبي في قوته المادية مقارنة بالماضي، لكنّه في نفس الوقت يؤمن بإمكانية تفادي الأفول النّهائي، و يأمل في عودة

[1] – دييتر سنغاس،الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية ،ص ص،136–137.

الحضارة الغربية إلى حيويتها و قوتها، لكنّ ذلك يتوقف في نظره على التزام الغربيين ببعض الشروط كما سوف نلاحظ .

يتصور **هانتنغتون** بأنّه « لا يوجد مجتمع خالد، و كما يقول **روسو** إذا كانت إسبرطة و روما قد اندثرتا، فما هي الدولة التي يمكن أن تأمل في أن تدوم إلى الأبد؟ و حتى أكثر المجتمعات نجاحا فإنّها تتعرض في نقطة ما لانحلال و تآكل في الداخل، كما تتعرض لقوى بربرية أكثر قوة و قسوة، و في النهاية، تلقى الولايات المتحدة مصير إسبرطة و روما، و غيرها من المجتمعات الإنسانية[1] » .

أي أنّ تشاؤم **هانتنغتون** على مستويين: الأول يتمثل في الانحلال الداخلي، و قد لاحظنا بأنّه يعتبر الهجرة من أهم أسبابه. المستوى الثاني يتعلق بهجمات برابرة حاقدين على الحضارة الغربية، و هو ما حدث لروما. و ما يجب معرفته هو أنّ هذا القلق مطروح على مستوى الدوائر السياسية، حيث أنّ **هنري كيسنجر** قال: « قد نصبح عرضة لهزات اجتماعية كالتي حصلت في أواخر الإمبراطورية الرومانية » [2]. و هذا يدل على أنّ الغرب بقادته و مفكريه يعاني من فقدان الثقة بحضارته، و بالتالي فإنّ **هانتنغتون** يطرح أمرا مصيريا بالنسبة للغرب.

لكن ما يدفع إلى عدم الاطمئنان حسب **هانتنغتون** ليس هو الوضع الراهن للحضارة الغربية، « فهي لحد الآن تحتل المكانة المرموقة من حيث القوة بشكل طاغ، و سيظل الغرب من حيث القوة و النفوذ في المرتبة الأولى، لكنّه قياسا بالحضارات الأخرى يعاني من التراجع، و قوته تتآكل، و تتقاسمها الحضارات، خاصة حضارات آسيا، و قد تصبح الصين دولة متحدية له »[3].

---

[1] – صامويل،بي هانتنغتون،من نحن؟ المناظرة الكبرى حول الهوية الأمريكية ،ص،43.

[2] – بلخيرة محمد،برديغمات العلاقات الدولية المعاصرة:المركزية الغربية نموذجا،لأكاديمية للدراسات الأجتماعية و الإنسانية ،ص،83.

[3] –صامويل.بي هانتنغتون،صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،135.

أي أنّه يثير مخاوف و يتصور بأنّ التطورات التي ستحدث على المدى البعيد قد لا تكون في صالح الغرب، لذلك فهو ينبه الغربيين إلى أنّ ميزان القوة قد لا يكون في صالحهم، و بالتالي فإنّ نفوذ الغرب في العالم قد يتقلص.

و هنا يرى الباحث **جيروید تواتهایل** Gearoid Tuathail « بأنّ سبب مخاوف **هانتنغتون** راجعة إلى وجود انقسام بين الغرب الوهمي، و الحقيقي الذي كان نتيجة العولمة وما بعد الحداثة. حيث أنّ اقتصاد الولايات المتحدة يعتمد على اليابان، كما أنّ الأمريكيين ينتمون إلى حضارات مختلفة و هذا يدعو إلى القلق، لأنّ الغرب قد تم إضعافه من الداخل. لذلك فالنزاع بين الغرب و البقية بدأ بالاجتهاد في تجديد الاقتصاد المحلي، و ذلك بتقليل أمريكا من اعتمادها على موارد أجنبية، و كذلك الكفاح ضد التعددية الثقافية، و قد كانت نظرة **هانتنغتون** توحي بمصير كارثي. فلو توقف الأمريكيون عن التمسك بإديولوجيتهم السياسيية القائمة على الليبرالية و الديموقراطية ذات الجذور الأوروبية، فإنّ الولايات المتحدة سوف تكون معرضة للزوال »[1].

لكن و مع ذلك فالمخاطر التي تهدد مستقبل الحضارة الغربية يمكن معالجتها حسب **هانتنغتون** لأنّه لا توجد حتمية تاريخية في نظره، و هو يؤمن« بأنّ الحضارات قد تتمكن من تجديد نفسها[2] "، كما يعتقد بأنّه« توجد مجتمعات قادرة على تأجيل موتها و وقف التفكك الذي تعاني منه، ويتم ذلك بتجديدها لشعورها بالهوية الوطنية كما فعل الأمريكيون في نظره بعد الحادي عشر من سبتمبر » [3].

و نسجل هنا بأنّ **هانتنغتون** و إن كان يؤمن بحتمية انهيار الحضارات، إلاّ أنّه مقتنع بإمكانية تفادي انهيار الغرب، فالولايات المتحدة يمكنها أن تنقذ نفسها، و الحل الذي يقترحه هو حماية الهوية

[1] - Gearoid Tuathail,Simon Dalby And Paul Routledgr,**The Geopolitics Reader,**Op.Cit,p174.

[2] – صامويل،بي هانتنغتون،صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص،**490**.

[3] –صامويل،بي هانتنغتون،من نحن؟ المناظرة الكبرى حول الهوية الأمريكية ،ص،**44**.

الأصلية و تجديد الشعور بها، لذلك فهو يجمع بين أمرين هما التشاؤم، و الأمل في إنقاذ الحضارة الغربية.

و لتدارك الأمور يقدم **هانتنغتون** للغربيين بعض التوصيات من أجل الحفاظ على أمن حضارتهم و منها: « دمج مجتمعات شرق أوروبا و أمريكا اللاتنية نظرا للتقارب الثقافي. تعزيز العلاقات مع روسيا و اليابان. منع تصعيد حروب محلية داخل الحضارة الواحدة. الوقوف ضد تنامي القدرات العسكرية للدول الإسلامية و الكونفوشية. تخفيف خفض القدرات العسكرية للغرب. تأييد الجماعات المتعاطفة مع الغرب و الموجودة في حضارات أخرى. العمل على تقوية المؤسسات الدولية الموافقة لمصالح و قيم الغرب » [1].

و من خلال هذه الإجراءات نلاحظ بأنّ **هانتنغتون** يسعى إلى الحفاظ على تفوق الغرب الحالي، و يدعو الغربيين للتوحد ضد أعداء حقيقيين، مع استغلال نقاط الضعف الداخلية الموجودة في بعض الدول، خاصة الصين و دول العالم الإسلامي، طالما أنّه يعتبر هذين الكيانين مصدرا لأخطر التحديات تجاه الغرب.

حول هذه المسألة يوضح الباحث السابق الذكر **جيروويد تواتهايل**« بأنّ أطروحة **هانتنغتون** كان لها نفس هدف الحرب الباردة ألا وهو تخليد أولوية وسيادة الولايات المتحدة الأمريكية، و هذا ما تسعى إليه عن طريق احتواء بقية الحضارات الموجودة في العالم و إثارة التضارب فيما بينها، فمنطق الغرب ضد البقية ليس مجرد نزاع مكاني، بل هو نزاع حيزي ثقافي »[2].

نضيف كذلك بأنّ **هانتنغتون** يؤمن بقدرة الغرب « على بناء مرحلة ثالثة من الثراء الإقتصادي و النفوذ، فلو تمكنت الولايات المتحدة و أوروبا الغربية من تجديد حياتهما الأخلاقية، و بناء نفسهما على

[1] –صامويل.بي هانتنغتون،الإسلام و الغرب ،ص،62.

[2]-Gearoid Tuathail,Simon Dalby And Paul Routledgr,**The Geopolitics Reader**,Op.Cit,p,174.

العوامل الثقافية المشتركة بينهما، فسوف يضمن ذلك عودة الغرب إلى قوته. لكن كل ذلك يتوقف على مدى قدرة الولايات المتحدة على حماية هويتها الثقافية، و تحديد دورها كقائد للحضارة الغربية »[1].

أي أنّ **هانتنغتون** يربط مصير الحضارة الغربية بالولايات المتدة الأمريكية، من جهة أخرى فهو يؤمن بقدرة الغرب على التقدم نحو الأفضل من حيث القوة، لكنّ ذلك مرهون بعودته إلى ثقافته البروتستانتية، أو قيم المسيحية الغربية كما يسميها. أي أنّه إذا كان كل تقدم يتوقف على إدراك تحد، فإنّ التحدي موجود وهو الانهيار أمام تنامي الثقافات الأخرى، و طالما أنّ كل مشروع تقدمي يتطلب تعبئة، أو تحفيزا يقنع الأمة التي تطمح إلى التقدم، فإنّ نجاح الغرب في الحفاظ على استمرارية حضارته، و استعادة هيمنته على العالم، مرهون بمدى تمسكه بهويته الثقافية.

كذلك من بين الحلول التي لا يجب الاستغناء عنها لإنقاذ الحضارة الغربية من السقوط ضرورة تشخيص عدو، حيث يرى **هانتنغتون**« بأنّ تهديد البرابرة أو التصور بأنّهم يهددون له نتائج إيجابية فالوحدة « الوطنية تتدعم كلما أمكن جمع العداوات الدولية المفرقة، في وجه عدو مشترك » .[2]

بل أنّه بكل وضوح يربط « بين تصور العدو الخارجي و الشعور الوطني، حيث أنّ زوال الأخطار الخارجية سوف يضعف الشعور بالقومية، ففي الحرب العالمية الثانية ازداد تمسك الأمريكيين بقوميتهم، لكن بعد زوال التهديد الشيوعي حدث تراجع و ظهرت حركة التفكيك الثقافي التي قال أنصارها بأن العدالة تقتضي الإعتراف بالثقافات المكبوتة في الولايات المتحدة الأمريكية » [3].

[1] - صامويل،بي هانتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ص ، 498.

[2] – صامويل.بي هانتنغتون، من نحن؟ المناظرة الكبرى حول الهوية الأمريكية ،ص،339.

[3] – المصدر نفسه ،ص ،232.

و معني ذلك هو أنّ **هانتنغتون** يسعى إلى سد فراغ، و بلغة الإستراتجيين فإنّ انهيار الإتحاد السوفياتي« كما يذكر العض قد ترك الغربيين يتامى بدون عدو، و مسألة البحث عن عدو جديد تقوم على استبدال الصراع بين الشرق و الغرب، إلى صراع جديد بين الجنوب و الشمال »[1] .

و ينبغي أن نوضح بأنّ « صناعة الأعداء مشروعا مهما لدى المحافظين الجدد الذين ينتمي إليهم **هانتنغتون، و** الذين كانوا ملتفين حول الرئيس **بوش** بعد حرب أفغانستان ثم العراق. كانت أراءهم مبنية على **نظرية كارل شميث** Carl Schmitt في السياسة، القائمة على متناقضة العدو و الصديق، لكنّهم لم يهتموا فقط بتحديد عدو، بل أنّهم شاركوا في إعادة صياغة هوية أمريكا »[2].

إذن ف **هانتنغتون** يعتقد بأنّ الصراع الدارويني له وجه ايجابي فهو يدفع إلى المزيد من البحث عن القوة، و التقدم، لذلك فهو يتصور بأنّ تشخيص عدو عامل أساسي يحفّز الغربيين على التماسك. و يُفهم من ذلك أنّه يريد أن يجعل الصراع أمرا واقعا بالنسبة للغرب، لذلك يهتم بصناعة أعداء، أو برابرة، ينتمون إلى ثقافات أخرى، ويقدمهم كحاقدين على الحضارة الغربية، يتربصون بها، و يسعون إلى تخريبها.

حول هذه المسألة يوضح الباحث **بيار برثلث** Pierre Berthelet « بأنّ البربرية تسمح للذين يؤمنون بها بإعطاء ترجمة للعالم، و صناعة شعور حميمي يضمن الحفاظ على كيان اجتماعي مقابل آخر همجي. إنّ الإقرار بالبربرية يضمن الاعتراف بأنّك متحضر، في طرف يوجد النظام و في الآخر الخراب. في طرف توجد الحضارة و في آخر التوحش. في جانب تجد السلم، أما في الآخر فتجد الكراهية و العنف »[3].

[1] - Pierre Berthelet,**Chaos International Et Securité globale La Securité En Debats** Publibook, Paris ,2014, P,297

[2]-Ma Villard,**qui est l'ennemi des neoconservateurs Americains** Op.Cit, pp,13-14.

[3] -Pierre Berthelet,**Chaos International Et Securité globale La Securité En Debats**, Op.cit,pp, 451-452.

كما يعتقد بأنّ موقف الغرب المتحضر« تجاه الإسلام الذي يراه همجيا كمصدر للهوية، يأتي في إطار النبوءة الوهمية، و بسبب و صف الإسلام بشكل قوي بأنّه يمثل الخطر سوف يتحوّل إلى ذلك، لأنّ أعداء الغرب سوف يجعلون ذلك مبررا يشرعنون به دفاعهم عن هويتهم تجاه من يعتبرهم أعداءا، كما أنّ فقدان الثقة المتواصل من طرف الغرب تجاه ثقافات أخرى، و في مقدمتها الإسلام لا يعمل سوى على تقوية النزعة الرفضية للغرب من قبل الآخرين »[1].

لذلك نقول بأنّ العدوانية التي يروج لها **هانتنغتون** من خلال أطروحته، قد تصنع أعداءا حقيقيين للغرب، ثم تجعله يتصرف حسب ما توهم. لكن ما يطمح إليه من خلال فكرة العدو هو تحقيق التماسك الداخلي، فعندما يشعر الأمريكيون بتهديد البرابرة، سوف يتنازلون عن الكثير من الحقوق الثقافية، و بالتالي تتوحد أمريكا ثقافيا، و تبقى محافظة على الثقافة البروتستانتية.

و يجب أن نوضح بأنّ المخاوف التي أثارتها هذه الأطروحة حول أمن الحضارة الغربية، حتى و إن كانت وهمية حسب البعض، إلّا أنّ صداها امتد إلى الدوائر الأمنية و العسكرية.« فقد نظمت وزارة الدفاع الفرنسية ملتقى جمعت فيه عدة باحثين و مؤرخين، و جعلت عنوانه التساؤل التالي:– هل أنّ مطلع سنة 2030 سيكون عام صدام حضارات؟–. و سبب الاهتمام بهذا الموضوع في نظر القائمين بهذا الملتقي هو أنّه منذ أن أعلن **هانتنغتون** أطروحته سنة 1993 وقعت حوادث كثيرة تبدو مؤيدة لها، لذلك يجب البحث في توقعات هذه الأطروحة على مدى الثلاثين سنة القادمة »[2].

و يبين ذلك بأنّ أطروحة **هانتنغتون** تضع الغرب في حالة فوبيا، لكن من أعداء محتملين، إن لم نقل وهميين، بل هي تسقط حالة روما عندما كانت قلقة على أمنها، على الغرب بصفة عامة، و على

[1] - Ipid, pp, 454-455.

[2] -Ministere de la défense,**séminaire intitulé: horizon 2030 vers un choc des civilisation** ? Futuribles, Paris ,20/3/2007.p,07.

وضع أمريكا خاصة، و هي تهدف إلى ضمان سلم أمريكا Pax Americana*، مثلما كانت روما تبحث عن أمنها.

هذا ما يعتقده الكثير من الباحثين الذين،« اعتبروا الجدل الدائر حول سديمية العالم، و الخوف من اللاأمن، متشابه تماما مع بحث روما عن أمنها النهائي تجاه الأجنبي الغريب و الخطير Ipso facto، إنّ الآخر مهدد ل أنا يقدم نفسه كصاحب حضارة، و هنا توجد فكرة داخل مؤمن، و خارج عدواني يجب الإحتماء منه »[1] .

لكنّ استراتجية **هانتنغتون** تركز على التحديات الخارجية بالدرجة الأولى، لهذا السبب ظهرت مقاربات تسير في اتجاه مخالف، حيث أنّ الباحث **جيمس كورث** Kurt James من خلال نظرية « "الصدام الحقيقي "The Real Clash "، يرى بأنّ صدام الحضارات الحقيقي لن يكون بين الغرب و الباقي بل أنّه سيكون داخل الغرب في حد ذاته، بين الغرب و ما بعد الغرب » [2] .

و من هذا المدخل انطلق عدة باحثين من أشهرهم **جيمس دافسون** James Davison المعروف بإسهاماته الهامة في هذا المجال، حيث أنّه بسبب ظهور انقسام بين جمهور الأمريكيين حول بعض القضايا و منها الإجهاض، طرح تساؤلا: « هل أنّ هذه الأمور تنذر بحرب ثقافية في أمريكا؟ و هو يعتقد بأنّه يوجد نقص في الدراسات و المناهج التي تبحث في الصراعات الثقافية داخل الولايات المتحدة الأمريكية، و الصورة المسيطرة حول هذا الموضوع في نظره تركز على ما يجري في بلدان خارج أمريكا

---

*– فكرة سلم أمريكا **Pax Americana** كانت موجودة منذ القديم، لكنّها أصبحت أكثر رواجا في ظل التغيرات الجذرية التي عرفها العالم، و قد ظهرت في الستينيات لوصف ما تقوم به أمريكا من سياسات، كانت كذاك مرتبطة بفكرة الرسالة السامية لأمريكا عندما ذهب الأمريكيون إلى أمريكا الشمالية،القائمة على فكرة تعميم الفيم الأمريكية على كل العالم. Wverner Peter**s Society On The Run A European Vieww Of Life In America** M.E. Sharp.Inc- NewwYork 1996 P150 .

[1]- Pierre Berthelet,**chaos international Et Securité Globale La Securité En Débat** Op.Cit,p,541.

[2] - James Kurth, **The Real ClashThe National Interest** Op.Cit p15.

مثلما هو الشأن بالنسبة لمشكلة الأكراد في العراق، و الصراع بين الهندوس، و التاميل و أتباع البودية في سيريلانكا » [1] .

كما يرى **بوكانن** « بأنّ خطر الغرب داخلي بالدرجة الأولى، فأمم العالم الأول تموت ليس بسبب ما يحدث في العالم الثالث، بل أنّ ذلك يعود إلى أمر لا يحدث في العالم الأول و هو عدم و جود خصوبة، فباستثناء ألبانيا المسلمة، لا توجد أية دولة أوروبية تتمتع بمعدل مرتفع للخصوبة يسمح لها بتعويض النقص الملحوظ في عدد السكان »[2].

كل هذه الآراء كما نلاحظ تخالف توجه **هانتنغتون**، فهذا الأخير يعالج مشكلة انهيار الغرب بالاتجاه إلى الخارج، و تشخيص أخطار موجودة خارج كيان الغرب تهدد أمنه و سلامة حضارته. أما المقاربات التي أتينا على ذكرها فهي ترى بأنّ المخرج الوحيد لما يعانيه الغرب من تراجع و ضعف إنّما يكمن في معالجة الغرب لنفسه من الداخل.

تعقيب:

من معالجتنا لهذا الفصل نستنتج بأنّ **هانتنغتون** قدّم الحضارة الغربية على أساس أنّها نموذج مثالي للتقدم و التطور، و يعود ذلك في نظره لتفوق قيمها، و على وجه الخصوص ثقافتها البروتستانتية، التي جعلتها متميزة تماما عن بقية الحضارات. و طالما أنّ الولايات المتحدة أكثر وفاءا لمبادئ الثقافة الغربية، خاصة العقيدة البروتستانتية، فهي قائد الحضارة الغربية، كما أنّها أمة تبشيرية في نظره، لكن قيم الحضارة الغربية غير مرحب بها من طرف بقية الحضارات، لذلك فإنّ كل الحضارات الأخرى في نظره في صراع مع الغرب بسبب خصوصية ثقافته.

---

[1] -James Davison Hunter,**Culture wars The Struggle To Define America Making Sense Of The Battles Over The Family Art Education Law And Politics**,Basic books,New York 1992,p,34.

[2] **– باتريك جيه بوكانن،موت الغرب،.ترجمة :محمد محمود التوبة،مراجعة محمد بن حامد الأحمري،مكتبة العبيكان،2005، ص ص،55–56.**

بعدها أظهر **هانتنغتون** الغرب في صورة كيان مستهدف بسبب خصوصيته الحضارية، و قام بانتقاء الوقائع، و المواجهات التي تخدم مقولة الصدام الحضاري، بل أنّه كيّف البعض منها معتبرا إياها حروبا حضارية مثلما هو الشأن بالنسبة لحرب الخليج و أفغانستان. و ما يُلاحظ هو أنّه لم يلتزم بنموذج الحضارة الذي وضعه كبديل منهجي لفهم الصراعات، فهو من جهة يعتقد بأنّ صراع الحضارات بدأ بعد انتهاء الحرب الباردة، لكنّه بالنسبة للإسلام يعتبره تاريخيا.

و لم يكن **هانتنغتون** من خلال أطروحته يهتم بالبحث في طبيعة الحضارة و قوانينها، بل أنّه لم يأخذ من أبحاث العلماء حول هذا الموضوع سوى ما يتناسب مع مقولة صدام الحضارات، التي وّظفها بالأساس من أجل تخليد الهيمنة الغربية، و حماية هوية الغرب الأصلية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، و التي هي مسألة مهمة لدى تيار المحافظين الجدد. لكن الحفاظ على استمرارية الحضارة الغربية في نظره لا يتم إلاّ بمحاربة التعدد الثقافي، و الوقوف ضد تنامي قوة دول أخرى نسبها إلى حضارات كلها معادية للحضارة الغربية في نظره، و على رأسها الصين و الدول الإسلامية.

و لكي يدعو **هانتنغتون** إلى الاستعداد و الاستنفار من أجل الدفاع عن النموذج الحضاري الغربي بقيادة أمريكا، يجب أن ينذر بخطر المواجهة والحرب ضد تهديد ما، و لتحقيق هذه المعادلة حاول أن يلج إلى المخيلة الغربية، و اجتهد كثيرا في صناعة أعداء يهددون الحضارة الغربية، مركزا على وجه الخصوص على الصين، و الإسلام، و كان يراهن على أنّ شعور الغربيين بهذين العدوين سوف يحفزهم على تجديد وعيهم بهويتهم، كما أنّه سيكبح جماح الهويات الفرعية داخل الدول الغربية، و الأهم هو أنّ دول أوروبا الغربية و أمريكا ستتوحد في نظره من أجل مواجهة القوى الأخرى المتنامية، و بهذه الطريقة سيخلد الغرب هيمنته و سينجو من مصير روما.

الخاتمة:

نستخلص بعد هذا العرض للمحاور الأساسية في أطروحة **هانتنغتون**، بأنّ الإطار النظري العام لآرائه يقوم على أمرين أساسيين، الأول يتعلق بنظرة استاتيكية للهوية، و الثاني يتمثل في تكريس الصراع بوصفه قانونا مطلقا يتحكم في العلاقات الإنسانية.

فيما يخص "استاتيكية" الهوية نقول بأنّ الهويات التي يتحدث عنها **هانتنغتون** كالصخور الجامدة لا تتغير و لا تتأثر بعامل الزمان و لا بالظروف، بل هي حقيقة أبدية بالنسبة لأصحابها. و في ذلك استبعاد لفكرة تطور الهوية، و لدور الوعي في إعادة ترتيبها تبعا لما تكتسبه الجماعة من خبرات جديدة بحكم تغير الظروف.

نستنتج كذلك بأنّ **هانتنغتون** أوليا كان قد اعترف بغموض مفهوم الهوية، إلّا أنّ نظرته لها كانت تبسيطية، فهي ليست سوى أداة لإدراك الاختلاف مع الآخر و مواجهته، لذلك فهو يركز على فكرة التناقض مع الآخر. كما أنّه أراد أن يصل إلى أقصى درجات التعارض الموجودة بين الجماعات العرقية؛ و لتحقيق ذلك منح الدين على وجه الخصوص قدرة فائقة على التمييز بين الناس، وبالتالي ترسيخ هوية ثابتة لا تقبل التنازل.

أما الحضارة التي هي الدائرة الأوسع للهوية، فقد اعتبرها **هانتنغتون** هي الأخرى ثابتة؛ لأنّ كل حضارة مؤسسة في نظره على عقيدة دينية لا تقبل التعديل. لقد اهتم بمظهر واحد في الحضارة هو الدين، و ما كان يرمي الوصول إليه، هو أنّ الحضارات متناقضة طالما أنّ لكل واحدة قيم متضاربة مع منظومة القيم الخاصة بالحضارات الأخرى. و هنا لم تعد الحضارة نتاج تفاعل، كما هو الشأن عند **فرنارد برودل** Fernand Braudel الذي نظر إلى الحضارات على أساس أنّها حصيلة تطورات طويلة الأمد.

و فيما يتعلق بالصراع نجد بأنّ **هانتنغتون** جعله قانونا أساسيا، حيث أنّه بشكل ممنهج ، عمد إلى توسيع دائرة الاختلاف بين الجماعات البشرية و الشعوب، بناءا على أسس ثقافية، لكنّه لم يدخل إلى عمق هذه الثقافات من أجل مقارنتها بعضها ببعض، و إبراز تعارض قيمها، و إنّما استند إلى أحكام كلية افترضها. و نلمس في تفكيره نظرة عدمية لأي شكل من التلاقي بين البشر، فلا وجود لأي تنافس إيجابي يدفع إلى تطوير الإنسانية نحو الأفضل، بل أنّ الاختلاف بالنسبة إليه يعني التعارض، و التصادم بين الشعوب، و هذا واضح من خلال تقسيمه للعالم إلى حضارات متنافرة.

هذا التقسيم حسب الكثيرين ليس مقنعا ، لأنّه يركز على جغرافيا حضارية افترضها **هانتنغتون**، و لم يهتم بالتفاوت الاقتصادي و لا بجغرافيا الفقر. إنّ الصدام في حقيقة الأمر موجود بين الفقراء و الأغنياء، بين محتقرين و متغطرسين، و معيار التفرقة الأعظم ، هو مستوى الغنى بين الجنوب و الشمال.

لكن **هانتنغتون** بتركيزه على البعد الثقافي يعدم بكل وضوح كل العوامل المسببة للصراع، ليبقي على واحد منها فقط و هو الاختلاف الموجود بين الحضارات، و قد قدم فرضية الحروب بين الحضارات على أساس أنّها بديهية.

و لو أردنا أن نتتبع نشوء المفاهيم الغربية و تطورها، فإنّه سيسهل علينا وضع نظرية **هانتنغتون** في موقعها. و لعل من أهم هذه المفاهيم عقيدة المركزية الغربية، التي كانت تقدم الغرب في إطار إيجابي و الآخر على العكس من ذلك، حيث أنّه في الحرب الباردة قدمت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها محررة للعالم ضد نظام شيوعي اعتبرته عدوا للبشرية، لن يتحقق خلاص العالم إلاّ بالقضاء عليه، و بعد تراجع الخطر الشيوعي كان لا بد من إعادة بناء عوامل الصراع، فأراد **هانتنغتون** أن يؤدي هذا الدور، في إطار مقولة صدام الثقافات. و من هنا فإنّ هذه الأطروحة تريد صياغة العقل الغربي من جديد بناء على فكرتي الصراع، و الاستثنائية الغربية.

إنّها خطاب جديد لمركز يريد أن يعيد ترتيب نفسه، و إعادة التماسك لعالمه، انطلاقا من نظرة مركزية. و يتجلى ذلك من خلال تقديم **هانتنغتون** للغرب في صورة إيجابية، تظهره منتجا للقيم الرفيعة، أما بقية العالم فهي مصدر التخلف، أو هي عالم البرابرة الذين يحقدون على حضارة الرجل الأبيض و يتربصون بها؛ لذلك اختصر الصراع في ثنائية الغرب و الآخرين.

حلقة أخرى في تطور مفاهيم الفكر الغربي ألا و هي نظرية **داروين**، لا نرى نظرية **هانتنغتون** بعيدة عنها، على اعتبار أنّها قد أثرت على نظرة الكثير من المفكرين الغربيين للحضارة بشهادة عدة مؤرخين غربيين و ضحوا بأنّ التفسير الداروينى للحضارة ساد في القرنين التاسع عشر و العشرين، حيث أنّ بعض المفكرين ربطوا بين الحضارة و الصراع، و منهم من ربط بين مراحل ضعف الحضارة و تناقص حدة الصراع.

لقد امتد تأثير هذه النزعة إلى أطروحة **هانتنغتون، و** يتجلى ذلك من خلال العلاج الذي قدمه من أجل تفادي انهيار الغرب، فقد كان "داروينيا"؛ لأنّه سعى إلى دفع الغرب إلى درجة أعلى من الصراع، و لكي يحقق ذلك جعل من كل حضارات العالم خصوما للحضارة الغربية، و إن كان قد اجتهد في تشخيص عدوين أساسيين للغرب هما الإسلام و الحضارة الكونفوشية.

و بهذه النظرة الداروينية إلى علاقة الغرب بالآخرين حاول **هانتنغتون** من وجهة نظر محافظ جديد أن يدفع بضرورة حماية الهوية الأصلية للغرب من الداخل، و في مقدمتها الولايات المتحدة. علما بأنّ مسألة الهوية الأمريكية من أولويات تيار المحافظين الجدد الذين ينتمي إليه **هانتنغتون**، بل أنّ الاستثنائية الأمريكية تقليد أساسي في السلوك السياسي لهذه الدولة، و هي مبنية على اعتبار الأمة الأمريكية مباركة من دون بقية دول العالم بسبب خصوصيتها الثقافية.

نعم لقد اعترف **هانتنغتون** بوجود أطراف أخرى تتمتع بالكثير من جوانب القوة، لكنّه من خلال ذلك أراد أن ينبه إلى أنّ الغرب لا يجب أن يغتر بقوته، فعلى المدى البعيد قد يكون ميزان القوة ليس في

صالحه، لكنّه إذا كان يريد أن يخلد استثنائيته ينبغي عليه أن يعتبر الصراع أمرا واقعا، و ينبغي على أمريكا أن تصنع عدوا، و هذا ما يراهن عليه لأنّه حسب منطق الداروينية لا تطور و لا بقاء إلاّ بالصراع و الحرب.

قائمة المصادر و المراجع

-أولا- المصادر:

1- باللغة العربية:

1-صامويل.بي هانتنجتون،**صدام الحضارات اعادة صنع النظام العالمي الجديد**،ترجمة: طلعت الشايب، شركة سطور،مصر،ط2، 1999.

2 -صامويل بي هانتنجتون،**الإسلام و الغرب**. ترجمة:مهدي شرشر،مكتبة مدبولي،القاهرة، ،ط1، 1995.

3- صامويل بي هانتنجتون،**من نحن؟**ترجمة:أحمد مختار الجمال، المركز القومي للترجمة،القاهرة ،ط1، 2009.

4- لورانس إ-هاريزون،صامويل.بي هانتنجتون،**الثقافة و قيم التقدم**،ترجمة: شوقي جلال،المركز القومي للترجمة،القاهرة،ط2، 2009 .

5-بيتر إيل بيرغر.صامويل.بي هانتنجتون.**عولمات كثيرة**.ترجمة:د فاضل جنكر،مكتبة العبيكان، الرياض، ط1 ،2004.

6- صامويل.بي.هانتنجتون.**النظام السياسي لمجتمعات متغيرة**،ترجمة سومية فلو عبود،دار الساقي ،بيروت، ط1، 1993.

2- باللغة الإنجليزية:

1-Laurence E Harrison.Samuel Philips Huntington,**Culture matters how values shapehuman progress,**published by Basic Books .New York,20003

2-Samuel P.Huntington,**The Clash Of Civilizations And The Remaking Of World Order**, Simon and shuster paper baks,New York,203.

3- Samuel P.Huntington,**American Politcs The Promise Of Disharmony**, Harvard University press, Massachusetts,1981.

4-**Samuel Philips Huntington , who are we ? the challenges to America s national identity ,**Simon and Schuster, New york,2004.

3- المقالات الأصلية:

Articles

1- Samuel P Huntington,**If not civilizations what ?,The clash ofcivilizations ?the debate, Foreign Affairs**, Copyright by The Concil on Foreign Relations,New york. Second Edition2010,

2- Samuel p.Huntington,**the clash of civilizations ? Foreign Affairs**, Copyright by The Concil on Foreign Relations,New york. 1993 ,n°72.

3-,Samuelp.Huntington,**The Hispanic Challenge,Foreign policy**,

march,2004,(pp30-45),Washington.

.

-ثانيا:-قائمة المراجع:

1- باللغة العربية:

1-أبي محمد عبد الملك بن هشام المعاقري،**كتاب السيرة النبوية المجلد الرابع** تقديم و مراجعة جمل العطّار ،تحقيق سعيد محمد اللحام دار الفكر للطباعة و النشر،بيروت،ط1، 2007 .

2 -أناتول ليفن، **أمريكا بين الحق و الباطل تشريح القومية الأمريكية**. ترجمة:د.ناصرة السعدون، المنظمة العربية للترجمة،بيروت،ط1، 2008 .

3- ألفن توفلر، **بناء حضارة جديدة** .ترجمة سعد زهران ،مركز المحروسة للبحوث والتدريب و النشر ، القاهرة،ط1، 1996 .

4- المبروك منصوري ،**الدراسات الدينية المعاصرة من المركزية الغربية إلى النسبية الثقافية**،الدار المتوسطية للنشر،تونس ط1، 2010 .

5- أميمة عبد اللّطيف،**المحافظون الجدد**،**مكتبة** الشروق الدولية القاهرة،ط1، 2003.

6-أرسطو، **كتاب السياسيات**،ترجمة:أوغسطنس بربارة البولسي،اللجنة الدولية لترجمة الوائع الإنسانسية (الأونسكو)، تاريخ الطباعة،1957.

7-.أوليفييه **روا**، **نحو إسلام أروبي**، تعريب: خليل أحمد خليل،دار المعارف الحكمية،ط1، 2010.

8- أوليفي **روا**،**الجهل المقدس**، ترجمة: صالح الأشمر،دار الساقي،بيروت،ط1، 2013.

9-إريك هوبزباوم،**عصر التطرفات القرن العشرون الوجيز**،ترجمة: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة بيروت،ط1، 2011 .

10-إدورد سعيد، **الثقافة و الإمبريالية**،ترجمة: كمال أبوديب ،دار الآداب بيروت ، ط3، 2004 .

11- إسرائيل شاحاك،**التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة** ،ترجمة:صالح علي سواح بيسان للنشر و التوزيع،بيروت،ط1، 1995.

12- أرنولد ثوينبي،**مختصر دراسة للتاريخ**،الجزء الثالث،ترجمة:فؤاد محمد شبل،المركز القومي للترجمة،القاهرة،2011.

13- أرنولد ثوينبي،**مختصر دراسة للتاريخ**،الجزء الأول،ترجمة:فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة،القاهرة،2011.

14- باتريك جيه بوكانن، **موت الغرب**،ترجمة:محمد محمود التوبة،مكتبة العبيكان،الرياض،ط1، 2000 .

15- برنارد لويس،إدورد سعيد،**الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الأمريكية**،من وجهة نظر أمريكية،دار الجيل بيروت،ط1، 1993.

16- برنارد لويس،**لغة السياسة في الإسلام**،ترجمة:د. إبراهيم شتا،دار قرطبة للنشر التوثيق الأبحاث،ط1، 1993.

17- بيتر غروبر،**فن العدوان**،ترجمة:نوال الحنبلي مكتبة العبيكان،الرياض،ط1، 2004.

18- بندكت أندرسون،**الجماعات المتخيلة**،ترجمة:ثائرديب،تقديم عزمي بشارة،شركة قدمس للنشر و التوزيع، بيروت،ط1، 2009 .

19-جيرار ديسوا، **دراسة في العلاقات الدولية**،الجزء الأول ترجمة: قاسم المقداد،دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع، دمشق،2014.

20- دانييل هيرقيه،ليجيه جانبولويلام،**سوسيولوجيا الدين**،ترجمة:درويش الحلوجي،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة ط1، 2005.

21- دون إي .إيبرلي،**بناء مجتمع من المواطنين،المجتمع المدني في القرن الحادي و العشرين** ترجمة:هشام عبد الله، الأهلية للنشر و التوزيع،عمان، ط 1، 2003 .

22- دييتر سنغاس،**الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية**،ترجمة: شوقي جلال، كلمة، أبو ظبي،ط1، 2008.

23- ول.و.ديورانت، **قصة الحضارة الجزءالأول نشأة الحضارة الشرق الأدنى**. ترجمة:زكي نجيب محمود .دار الجيل، تاريخ الطباعة،1988.

24- وال-تر رودني.**أوروبا و التخلف في إفريقيا** .ترجمة: أحمد القصير،المجلس الوطني للثقافة و الفنون،الكويت ،تاريخ الطباعة 1988.

25- ياسر بسيوني،محمد مصطفى،**الحكومة العالمية و حكومة الدولة المعاصرة في ظل المتغيرات العالمية الجديدة**،دار الفكر الجامعي،ط1، 2013 .

6- كليفورد غيرتز، **تأويل الثقافات**، المنظمة العربية للترجمة بيروت،ط1، 2004.

27- كارل ،غ.يونغ ،**علم النفس التحليلي** ،ترجمة و تقديم نهاد خياطة ،دار الحوار للنشر و التوزيع،اللاذقية، ،ط2، 1997 .

28- محمد حسنين هيكل، **الزمن الأمريكي من نيويورك إلى كابول**،لشركة المصرية للنشر العربي و الدولي،ط4، 2003 .

29- محمد مقدادي، أمريكا و هيكلة الموت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت،ط1، 2004.

30- محمد إحسان، **صراع القوى و توازن الإرادات بين الماضي و الحاضر**.دار المدى دمشق،ط1، 2012.

31- محمد حسن البرغثي،**الثقافة العربية و العولمة**،المؤسسة العربية للدراسة و النشر،بيروت ط1، 2007.

32- محمد عابد الجابري،**قضايا في الفكر العربي المعاصر** ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ط1، 1997.

33- ماكس فيبر،**الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**،ترجمة:محمد علي مقلد.مركز الإنماء القومي بدون تاريخ طباعة.

34- محمد عبد الواحد حجازي، **اليهود يزيفون تاريخ العالم**، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،الإسكندرية،ط1، 2005 .

35- سيجموند فرويد ، **الحب و الحرب و الحضارة و الموت**،دراسة وترجمة عبد المنعم الحنفي دار الرشاد القاهرة،بدون تاريخ طباعة.

36- سمير أديب، .**تاريخ و حضارة مصر القديمة** .مكتبة الإسكندرية،1997 .

37- عبد العظيم رمضان،تاريخ أوروبا و العالم في العصر الحديث،الهيئة المصرية العامة للكتاب،بدون تاريخ طباعة.

38- فرنسيس فوكوياما، **نهاية التاريخ و خاتم البشر** .ترجمة حسني أحمد أمين.مركز الأهرام للترجمة و النشر،ط1، 1993 .

39- رياض نعمان آغا،**العرب و تحديات القرن الحادي و العشرين**،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،وزارة الثقافة، دمشق،2001.

40- تزفيتان تودوروف،**فتح أمريكا مسألة الآخر**،ترجمة:بشير السباعي،سينا للنشر،القاهرة،ط2، 1999 .

41- توماس باترسون،**الحضارة الغربية الفكرة و التاريخ**،ترجمة: شوقي جلال،مهرجان القراءة للجميع، مكتبة ا لأسرة،القاهرة،2004.

42- خليل نوري مسيهر العاني،**الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية**،مركز البحوث و الدراسات ا لإسلامية،بغداد،ط1، 2000.

2-المراجع باللغات الأجنبية:

1 - Amin Mallouf,**les identités meurtrieres**,edition Grasset et Fasquelle,France, 1998.

2- Amartya Sen**, Identité et violence**,Odile Jacob,France, 2007.

3 - Alain Tourain,**un nouveau paradigme pour comprendre le monde d'haujourdhui** ,Fayard,Paris, 2005.

4 - Carlos,Antonio,Aguirre,Rojas,**Fernand Braudel et les sciences Humaines,**traduit de l'espagnol par:StevenJohanson et François Minaudier,L'harmattan,Paris,2004.

5 - Carrol Quigly,**The Evolution Of Civilizations An Introduction to Historical Analysis**, Liberty Fund Inc Indianapolis,second published,1979.

6-Célinebelot et ChristopheBouillaud, **politique Européenne amours et desamours entre Européens**,L'Harmattan,Paris,2008.

7-Christopher Dawson,**Enquieries into religion and culture**,the Catholic university of America press,2009.

8- Christopher Layne,Bradley A.Thayer **,American empire the debate**, Routledge, Newyourk published,2007.

9-Ehier Diane **,introduction aux relations internationales**,les presses de l'université de Montréale,troisieme edition,2006.

10-Emma Villard**,qui est l'ennemi des neoconservateurs Americains** ? **etude de la neo-orientalist masculinty**,1996-2006l'harmattan, Paris,2012.

11- Philipp Marchesin,**les Novelles Menaces,Les Relations Sud Nord Des Années 1980 A Nos Jours**,KarThala,Paris,2001.

12- Françoise Massart-Diérard(Dir)**,culture et relations internationales**,**Liber Amicorum,Jean Baree**,Presses universitaires de Louvain,2007.

13-Gearoid Tuathail,Simon Dalby And Paul Routledgr,**The Geopolitics Reader**, First Published 1988 ,Routledge,London.

14- Henri Mova Sakanyi**,,comprendre la fin de la guerre froide et la Mondialisation,** L'harmattan,2009,Paris

15- Hervé Fisher,**le Romantisme numérique**, Edition Fides,Montréal,2002.

16- Kathinka Evers **Neuroéthique Quand la Matiére S éveille** Odile Jacob Paris,2009

17- K.R.Dark,**religion and international relations**,Macmilian press ltd, London First published,2000.

18-Julie Reeves,**culture and international relations ,**Routledge, United kingdoms,first published,2000.

19-Jean-jaques Roche,**théories des relations internationales**,Montchrestian, edition,2001.

20- James Davison Hunter,**Culture wars The Struggle To Define America Making Sense Of The Battles OverThe Family Art Education Law And Politics**,Basic books,New York,1992

21- Jonathan Fox and,shamuel Sandle, **Bringing religion into international relations** ,first published**,**Palgrave macmillan,NewYork,2004.

22- Martin Wight,**systems of states**, first published 1977,Leicester university press ,Distributed in north America by Humanities press.

23-Paul Marshall**,God and the Constitution Christianity and American Politic ,**Rowman and littlefield publishers inc 2002,Boston way lanhan Mauyland.

24-Pierre Berthelet,**Chaos International Et Securité globale La Securité En Débats**, Publibook, Paris ,201 4.

25 - Robert P Kaplan,**The Coming Anarchy**,Random House,New York,2000.

26- Robert Kagan,**The Return Of History and The End Of Dreams**,Alfred-Knopf,New York,2008.

27-R.J.Vincent,**Human rights and international relations**, university press,Cambridge United kingdoms,first published,1986.

28-Vittorio Cotesta**,Image du monde et société globale** , presses de l'université Laval ,2006.

29- Wverner Peters **Society On The Run A European Vieww Of Life In America** M.E Sharp.Inc- NewwYork,1996.

30- Youcef Lapid. Friederich Kratochwill ,**The return of culture and identity in IR-theory** Lynne Rienner publishers,Inc,United states of America, 1996.

ـثالثا – المقالات:

1-باللغة العربية:

1- ابلخيرة محمد،**بريديغمات العلاقات الدولية المعاصرة:المركزية الغربية نموذجا**،لأكاديمية حبيبة بن بوعلي، الشلف، عدد- للدراسات الإجتماعية و الإنسانية،جامعة الشلف. 10جوان2013.

-

2- المقالات بالأجنبية:

1- Chen Mingla,**philosophie politique confucéenne face à la globalisation,**. **Diogéne**(press universitaires de France).

2- Frédérick Douzet,**le cauchemar hispanique De Samuel Huntington,** Hérodote,n°115,la decouverte,Paris,2004.

3-Geoffrey Delcroix,**impactes des revolutions sociales au regard descultures et des religions des modes de vie,del' organisation des societétés sur le système international a trente ans, Futuribles/**Das05 251,Paris ,2006.

4-Georges Contogeorgis,Samuel **Huntington et le choc des civilisations**

Civilisation religieuse Cosmosysteme,Pole Sud n° 14 mai,2001,(p107a 124), ARPoS,Montpellier.

5- James Kurth,**Western civilization our tradition,the inter collegiate review by The Intercollegiate studies institute** Fall2002/Spring 2004,Wilmington.

6- James Kurth, **The Real Clash,The National Interest,(** 3 Fall 1994)

Washington.

7- Jean J-Kirk-Patrick**, The Modernizing Imperative,** **Foreign Affairs**, Copyright by The Concil on Foreign Relations,New york. Second Edition2010,

8- Jin Cohn**,Samuel Huntington dans l'univers stratégique américain Mouvements**,n°30 novembre,decembre,2003,Emmanuelle Tonnerre,Paris.

9- Mathieu Guidere**,the Clash of Perceptions, Das Defense Concepts Seriecentre for Advenced Defense** ,2006**,** Washington.

10- Mian Muhammad Tahir Ashraf, **The Clash Of Civilizations ?A Critique** ,**Pakistan ,Journal of social sciences** vol.32.n°.2(2012).

11-Ministere de la défense Française**,séminaire intitulé**: **horizon 2030 vers un choc descivilisation ? Futuribles**,Paris,20/3/2007.p,07.

12- Mohamed abed Aljabri **choc Des Civilisations Ou Conflits D' intérets ?Confluences Méditerranée** L'hatmatan Paris n°16 Hiver1995-1996.

13-Pierre Melandri **,le 11septembre annoce t-il Un choc des civilizations** ?

Presses universitaires de France/Cités2003/2n°14.

14- Rogers Brubaker,"**Au de là de l identité"/Persee/,actes de la recherche en sciences sociales,2001/3-139**,France, , (pp66- 85).

15- Toon Van Meijel,**Culture And Identity In Anthropology international**

journal for dialogical science, Fal,l 2008.Vol -3,USA,(pp165-190)).

16-Vamik,Volkan**,**"**The Need to Have Enemies and Allies,"Internationalsociety of poltical psychology**,USA, (pp219-247) Vol, 6.N°2,1985.

17- Vicent Cito,**L'dée De L'humanité Pardela L'universalisme Métaphysique Et Le Relativisme Nihiliste, Le Philosophoire**,2002/1n°31 pages (89 a112) Vrin Pari.

رابعا – المعاجم و القواميس:

1- باللغة العربية:

1- جميل صليبا،**المعجم الفلسفي**، الجزأ الأول، دار الكتاب اللبنانية،بيروت،1982.

2- إبراهيم مدكور،**المعجم الفلسفي**،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983.

3- - مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي،أول معجم شامل بكل المصطلحات الفلسفية في العالم و تعريفاتها**، دار أسامة للتوزيع و النشر،عمان،ط1، 2009.

2-باللغة الإنجليزية:

1–Roger Structon,**the Palgrave Macmillan Dictionary of Political Thought**, Third edition,PalgraveMacmillan,New York,2007.

خامسا- الموسوعات:

1- أندري لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية،المجلد الأول، تعريب** خليل أحمد خليل،منشورات عويدات،بيروت،ط،1.2001.

2 - اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي،**الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية(عربي-انجليزي)**،مركز الإسكندرية للكتاب،2005.

3 - - تيرنس بول،**موسوعة كمبريدج للتاريخ، الفكر السياسي في القرن العشرين**،المجلد الأول،ترجمة: مى مقلد،مراجعة و تحرير طلعت الشايب،المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2009.

4-تيرنس بول،**موسوعة كمبريدج للتاريخ، الفكر السياسي في القرن العشرين،المجلد الثاني**،ترجمة: مى مقلد،مراجعة و تحرير طلعت الشايب،المركز القومي للترجمة، القاهرة،ط1، 2010.

5- -مارتن غريفيش، تيري أوكالاهان،**المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية**،ترجمة: مركز الخليج للأبحاث،دبي، 2008.

6- مانع بن حماد،**الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة**،دار الندوة للطباعة و النشر،الرياض،ط4، 1998.

فهرس مصطلحات البحث

المصطلح	الصفحة
الطهرانيون Puritains (En)	18
صدمة Shock (En)	06
صدام Clash (En)	06
التمركز الحضاري الغربي Westercentrism (En)	11
صلح ويستفاليا	24
الحرب الباردة	26
الإيدياوجيا	26
حداثة	31
سياسات الهوية	42
الداروينية الإجتماعية	67

الأننثروبولوجيا	**68**
الكاثوليك	**90**
البروتستانت	**90**
نموذج	**98**
البراديغم	**98**
واقعية	**101**
العلاقات الدولية	**101**
المركزية الثقافية Culturocentrisme (F)	**113**
التفكيك	**124**

المحافظون الجدد	**130**
سلم أمريكا **Pax Americana**	**159**

المحتوى	الصفحة
مقدمة	3
تمهيد	13
الفصل الأول **انتقال العالم من صراع الإيديولوجيات إلى صراع الهويات الثقافية و الدينية في أطروحة هانتنغتون**	23
مدخل:	24
المبحث الأول: الطابع الإيديولوجي للصراعات السياسية قبل نهاية الحرب الباردة	26
المبحث الثاني :أزمة الهويات الثقافية و الدينية بعد نهاية الحرب الباردة من منظور هانتنغتون	35
المطلب الأول: انهيار الهوية الإيديولوجية	35
المطلب الثاني: الهوية الثقافية في أطروحة هانتنغتون	40
المبحث الثالث : علاقة االهوية الثقافية و الدينية بالصراعات المحلية من وجهة نظر هانتنغتون	54
تعقيب	62

الفصل الثاني **توظيف هانتنغتون للحضارة كمتغير لفهم تناقضات و صراعات العالم**	**66**
مدخل	**67**
المبحث الأول :الحضارة من منظور هانتنغتون	**69**
المطلب الأول: الحضارة و مكونها الديني من وجهة نظر هانتنغتون	**69**
المطلب الثاني :رفض هانتنغتون لفكرة الحضارة العالمية	**77**
المبحث الثاني: توظيف هانتنغتون للحضارة كمتغير لإبراز تناقضات العالم	**87**
المطلب الأول: حضارات العالم	**87**
المطلب الثاني: الحضارات كلاعبين سياسيين متصارعين	**93**
المبحث الثالث: براديغم الحضارة في تفسير الصراعات السياسة من وجهة نظر هانتنغتون	**97**
تعقيب	**108**

الفصل الثالث **مركزية الثقافة الغربية في أطروحة صدام الحضارات**	**112**
مدخل:	**113**
المبحث الأول : مركزية الحضارة الغربية لدى هانتنغتون	**117**
المطلب الأول:مركزية الحضارة الغربية في عموميتها لدى هانتنغتون	**117**
المطلب الثاني : الإستثنائية الأمريكية من منظور هانتنغتنون	**125**
المبحث الثاني: الصراع بين الغرب كحضارة مركز و حضارات العالم من وجهة نظر هانتنغتون	**132**
المبحث الثالث: أطروحة هانتنغتون بين علم الحضارات و إستراتجية أمن الحضارة الغربية	**153**
تعقيب:	**161**
الخاتمة:	**163**
قائمة المصادر و المراجع	**169**
فهرس المصطلحات	**180**
فهرس المحتويات	**183**

تثبت ممارسات الغربيين تجاه الآخرين عبر التاريخ وجود مركزية راسخة في الذات الغربية، و كأنّما أوروبا هي محور العالم، و هذا ما يفصح عنه الكثيرون و منهم **إريك وولف** Woolf الذي رأى بأنّ خصوصية الثقافة الغربية معيار لتحديد المجتمعات الأخرى، كما أنّه يحصر منشأ هذه الحضارة في الأصول اليونانية، لقد أنجبت اليونان القديمة في نظره روما، و بعدها أنجبت روما المسيحية النهضة، و هكذا تطورت الحضارة الغربية.

و قد استمر تيار من النخب الغربية محكوما بسرديات ذات قدرة فائقة على صناعة إيديولوجيا تستند إلى أسس دينية، عرقية، تمجد الغرب و تزدري الآخر، بل تتهم ثقافته بأنها مصدر العنف. مثل هذه الأفكار تأثرت بها القومية الأمريكية، التي وصفها **أناتول ليفن** Anatol Lieven بالعبارات التالية:« بين أوساط الشعب الأمريكي يتراوح مع الأنانية القومية العنيفة و الجهل بالعالم الخارجي، تعصب خاص ضد دين الإسلام » .

و يعد **هانتنغتون** من أهم المفكرين الذين اعتبروا الإسلام في مقدمة الثقافات التي كانت و ستظل مصدر تهديد للحضارة الغربية، التي اختصّها بدوره بنوع من الاستثنائية، و قد تزامنت أطروحته حول صدام الحضارات مع حوادث جد هامة تميز بها عصر ما بعد الحرب الباردة، حاول أثناءها أن يقدم رؤية للمتغيرات الجديدة منطلقا من الاختلافات الموجودة بين ثقافات الشعوب.

و من أبرز المقاربات التي ظهرت في هذه الفترة، نظرية نهاية التاريخ ل **فوكوياما**. أما **هانتنغتون** فقد نظر إلى هذه الفترة على أساس أنّها بداية حلقة جديدة في تاريخ البشرية، و السياسة الكونية، لأنّ الثقافة أزاحت الإيديولوجيا، و أصبحت الفروق الثقافية هي التي تميز الشعوب. و نتيجة لهذا التطور البارز، تغيرت حسب اعتقاده طبيعة الصراعات، حيث أنّها لم تعد ذات بعد اجتماعي أو اقتصادي، لأنّ الثقافة هي التي أصبحت تحرك الفواعل المتصارعة.

قلل **هانتنغتون** من شأن العامل الثقافي خلال الحرب الباردة، و حصر الصراع في طابعه الإيديولوجي، لكن بعد تراجع الاشتراكية اعتقد بأنّ الأسباب الأساسية للصراع لن تكون اقتصادية، أو إيديولوجية، بل ثقافية*، و أخطر الصراعات سوف تكون على خطوط التقسيم الحضاري . و مبرره هو أنّ الشعوب اتجهت إلى البحث عن هويات جديدة، فلم تعد الهوية الإيديولوجية تفي بالغرض.

و من خلال تتابع الأحداث اتضح بأنّ العالم ليس في حالة وفاق، و بلغة الأرقام تفيد بعض الإحصاءات بأنّه خلال سنة 1991 ظهر حوالي 48 نزاع مسلح، 22 منها بقي مستمرا إلى غاية 2003 لذلك خيّم التشاؤم مرة أخرى. و بالنسبة ل **هانتنغتون** فإنّ لحظة الشعور بالبهجة و التوافق لم تدم طويلا وهم التوافق أو الإنسجام في نهاية الحرب الباردة سرعان ما تبدد بسبب تضاعف الصراعات العرقية .

و قد اختار **هانتنغتون** مصطلح " Clash " *الذي يفيد الصدام لكي يعبر عن حدة الصراع، كما أنّه يدخل تغييرات أساسية على مقولة الصراع مركزا على العامل الثقافي، و إذا كان **ماركس** قد ألغى الاختلافات العرقية و الثقافية و الدينية على أساس أنّ البنية المادية هي الفاعل الأول في الصراع الذي اعتبره طبقيا و عموديا ، فإنّ الهوية بمعناها العريض: الدين، الانتماءات العرقية، و الثقافة، أصبحت مع

– * **لم يكن هانتنغتون الوحيد الذي استخدم مصطلح صراع الثقافات، ففي أكتوبر 1990 أشار مهدي المنجرة إلى أنّنا دخلنا في مرحلة صراعات سوف يكون للعامل الثقافي دورا أساسيا فيها،كما أنّ أوليفيي مونجان Olivier Mongin استعمل مصطلح حروب ثقافية. لكنّ هؤولاء لم يضعوا براديغما شاملا لفهم العالم، و إنّما تناولوا العلاقة بين الغرب و العالم الإسلامي من منظور صراع الثقافات،أما هانتنغتون فقد وضع نمودجا لفهم العالم.**

هانتنغتون هي المتغير الأساسي، و من خلال فكرة صدام الحضارات أصبح اتجاه الصراع أفقيا و كأنّ حضارات العالم جزر منفصلة .

يغير **هانتنغتون** مدلولات الصراع مستندا إلى الثقافة، فإذا كان كل من**اشبنجلر** Spengler ، و **توينبي** Toynbee قد اهتم بالحضارة من زاوية طبيعتها التطورية، فإنّ **هانتنغتون** قد جعل الثقافة هي الفكرة الأساسية، و اعتبرها متغيرا يتحكم في الصراعات السياسية. و في نظره بعد الحرب الباردة الثقافة، و الهويات الثقافية التي هي هويات حضارية، هي العامل الذي يتحكم في مختلف صور التماسك و الصراع . بل أنّ الحضارات هي القوى الفاعلة في السياسة الكونية، فالهوية الحضارية سوف تتزايد والعالم سيتشكل على أساس التفاعل بين سبع أو ثماني حضارات.

و التغير الملموس كما نلاحظ هو أنّ الدولة وفقا لهذا المنظور لم تعد فاعلا محوريا في السياسة، و إنّما أصبحت الحضارات وحدات أساسية في تحليل السياسة. أراد **هانتنغتون** أن يؤسس نموذجا تفسيريا لما يحدث في عالم السياسة يقوم على الانطلاق من الحضارة كمتغير أساسي، و بلغته يمكن تسمية هذا النموذج بالمقاربة الحضارية Civilizational Approach. و يؤكد بأنّ الصراع سيكون على وجه الخصوص بين الغرب و الباقي، لأنّ مفاهيم وقيم الحضارة الغربية تختلف عن مفاهيم الحضارات الأخرى، و غالبا ما تلقى قابلية ضئيلة في الثقافات الأخرى.

إلاّ أنّ **هانتنغتون** يكرس للصراع بين الحضارة الغربية و الإسلام، فإذا كان الغرب يصف خصمه بالشيوعية الكافرة، فإنّ التوصيف ذاته يطلقه المسلمون عليه، و يعتبرونه قمعي، متوحش، متفسخ، و مادي، و هذه الأحكام ليست خاصة بالأصوليين بل موجودة كذلك عند مؤيدي الغرب و حلفائه.

و قبل أن يشرع **هانتنغتون** في التنظير لأطروحته، كانت نظرة الباحثين إلى الثقافة قد تغيرت، و يتجلى ذلك من خلال أعمال مفكرين مميزين منهم **فانسنت**R.J.Vincent الذي تعرض إلى مشكلة المحلية و العالمية في القيم، مركزا على البعد الثقافي. لجأ كذلك عدة باحثين إلى الثقافة كأداة لرصد الاختلافات الموجودة بين الشعوب، خاصة وأنّ الأجواء كانت تناسب هذا التوجه، إذ أنّ أغلب الأزمات التي شهدها العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حدثت داخل دول؛ لذلك اتجه الكثير من الباحثين إلى دراسة الثقافة من حيث علاقتها بالهوية الجماعية من أجل فهم الصراعات العرقية.

كما تميزت هذه المرحلة بتطور النظريات الأمنية ، حيث توسع مفهوم الأمن، مع **باري بوزان** Barry Buzan الذي أدخل الجانب الاجتماعي، و انطلاقا من ذلك تم تشخيص تهديدات جديدة تستهدف الغرب، بعد زوال الخطر الشيوعي، منها الهجرة. و في هذا السياق تحدث **ريجيس دو بريه** Régis deBray عن تهديدات للغرب مصدرها الجنوب، منها الأصولية الدينية، الهجرة، و كذلك الاختلاف الموجود بين ضفتي المتوسط من حيث النمو الديموغرافي .

اعتبر **هانتنغتون** بدوره الهجرة مصدر تهديد لأمن الغرب وقوته، حيث أنّ عدد المهاجرين يتزايد، ففي سنة 1990، تم إحصاء 20 مليون مهاجر في الولايات المتحدة، و في أوروبا بلغ عددهم 15.5 مليون ، أغلبهم من مجتمعات غير أوروبية، و نسبة الخصوبة بينهم مرتفعة، كما أنّ فئة منهم تمسكت بثقافتها الأصلية، خاصة الجاليات المسلمة، ماجعل الأوروبيين يعتبرونها مثيرة للقلق، بل أنّ بعضهم يخشى من ظهور دولة ثالثة عشر في الإتحاد الأوروبي.

كما وضح الباحثون بأنّ علماء السياسة بين1980 و 1990 أصبحوا بشكل واضح يدخلون الدين في السياسة لأنهم لاحظوا وجود صعوبات في إهمال دوره و تأثيراته. و يتصور **هانتنغتون** بدوره أنّه بعد

تفكك بعض الكيانات الاشتراكية عادت الشعوب إلى الدين من أجل إعادة تركيب هوياتها الثقافية، و تعتبر فترة ما بعد نهاية الحرب الباردة في نظره مرحلة اتساع الوعي الديني، و ظهور الأصولية الدينية، من أجل تأكيد الهوية الثقافية، ما أدى إلى انتشار النزاعات السياسية. و كانت إشكالية بحثنا هي: ما علاقة العامل الثقافي بالصراعات السياسية من منظور أطروحة صدام الحضارات ل **هانتنغتون؟** .

و من أجل تفكيك البحث ارتأينا أن ندرج إشكاليات جزئية حددناها على النحو الآتي: هل أنّ تراجع الإيديولوجيات يدل على أنّ العالم انتقل إلى صراع الهويات الثقافية؟ كيف يمكن للهوية الثقافية أن تكون متغيرا فاعلا في الصراع السياسي من منظور **هانتنغتون؟** ما هي الدلالات التي تثبت بأنّ تباين الحضارات يؤدي إلى تصادمها في نظر **هانتنغتون؟** هل أنّ أطروحة صدام الحضارات تهدف إلى فهم طبيعة الحضارة أم أنّها مرتبطة بالأهداف السياسية للغرب؟

و من بين الأسباب الرئيسة التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع ، أنّني أعتبره مدخلا لمقاربة مسألة التنوع الثقافي عبر العالم، و اكتشاف كيفية استغلال بعض الخطابات له من منظور سياسي. نضيف كذلك بأنّ لهذه الأطروحة تداعيات على الحياة العربية المعاصرة؛ لذلك فمن الضروري فهم أبعادها و أهدافها. و أخيرا أعتقد بأنّها تثير إشكالية فلسفية بالغة الأهمية، ألا وهي العلاقات الإنسانية بعد أن أصبحنا في زمن لم تعد فيه الثقافات جزرا منفصلة.

و فيما يتعلق بأهداف الدراسة فإنّني من خلال تناولي لهذا البحث سطرت هدفا أكاديميا، ألا و هو مقاربة توجه سائد بين العديد من النخب في الغرب ينتمي إليه **هانتنغتون** اختص بتوظيف الثقافة توظيفا أداتيا، منطلقا منها كمتغير لفهم الصراعات السياسية لمرحلة ما بعد الحرب الباردة. وطالما أنّ لكل أطروحة دوافع و أهداف، فإنّني أرمي كذلك إلى إبراز دوافع و منطلقات هذه الأطروحة، و اكتشاف مدى ارتباطها بالنظرة التاريخية للغرب و بنزعته المركزية، الساعية إلى الدفاع عن مصالحه، و وضع تقسيمات

جديدة للعالم مبنية على أسس ثقافية، ثم تأسيس تحالفات جديدة، متخذا من مقولة صدام الحضارات مبررا لكل ذلك. و أخيرا أهدف من خلال البحث في هذا الموضوع إلى اختبار مقولة "صدام الثقافات "من خلال النظر في مدى موضوعية فرضياتها التي تستند إليها، و كذلك مقاربتها من منظور علمي فلسفي.

خصصت الفصل الأول لعرض" سيرورة " الصراعات السياسية من مرحلة الحرب الباردة إلى ما بعدها، من وجهة نظر **هانتنغتون،** كما تناولت فيه موقفه من صراع الهويات بعد فترة الحرب الباردة. و قد توصلت إلى أنّ **هانتنغتون** حصر مفهوم الهوية في الدين و اعتبره مقوما أساسيا في كل هوية محلية، و بعدها أوعز إليه كل الصراعات السياسية التي تحدث على المستوى المحلي. استخلصت كذلك بأنّ مفهومه للهوية كان بسيطا للغاية فإذا كان أغلب الباحثين يعترون بأنّ الهوية معقدة فإنّه يختزلها في المكون الديني. استنتجت كذلك بأنّ **هانتنغتون** جعل الثقافة و خاصة الدين عاملا محوريا في الصراعات السياسية متجاهلا دور الفواعل الأخرى و منها العامل الإقتصادي، و الظروف التاريخية.

في الفصل الثاني عرضت أطروحة **هانتنغتون** حول الحضارة، و كيفية توظيفه لها كمعيار لتقسيم شعوب العالم، و تصنيفها في كيانات حضارية عوضا عن اعتبارها منضوية في إطار وحدات سياسية هي الدول. و قد استخلصت بأنّه قلب الموازين و عوض الدولة بالحضارة لأنّه اعتبر هذه الأخيرة هي الوحدة الأساسية في التحليل السياسي. كما أنّ الحضارة بالنسبة إليه هي الدائرة الأوسع للثقافة، و أساس كل حضارة كتجمع بشري أوسع من الهوية المحلية هو الدين كذلك. كما أنّه استبعد فكرة توافق الشعوب على حضارة عالمية لأنّ ذلك لا يتماشى مع أطروحته القائمة على الصراع.

في الفصل الثالث أبرزت فكرة المركزية الغربية في أطروحة صدام الحضارات، ثم تعرضت فيه بنوع من التفصيل إلى الصراع بين الحضارة الغربية و باقي حضارات العالم من وجهة نظر **هانتنغتون. و** قد استخلصت بأنّ **هانتنغتون** أقحم العامل الثقافي و دور الثقافة و الدين في كل الصراعات العالمية،

و لم يهتم بدور التكتلات الاقتصادية. استنجت كذلك بأنّه من خلال تكريسه للصراع بين الغرب و الآخرين كان يريد و ضع استرتجية أمنية للغرب.

و في خاتمة البحث استخلصت بأنّ الإطار النظري العام لأطروحة صدام الحضارات يقوم على أمرين أساسيين، الأول يتعلق بنظرة استاتيكية للهوية، و الثاني يتمثل في تكريس الصراع بوصفه قانونا مطلقا يتحكم في العلاقات الإنسانية.

فيما يخص "استاتيكية" الهوية اتضح بأنّ الهويات التي يتحدث عنها **هانتنغتون** كالصخور الجامدة لا تتغير و لا تتأثر بعامل الزمان و لا بالظروف، و هو يستبعد دور الوعي في إعادة ترتيبها تبعا لما تكتسبه الجماعة من خبرات جديدة بحكم تغير الظروف. و ينفي **هانتنغتون** كل الجدليات : المهيمن، و الخاضع للهيمنة. الظالم، و المظلوم. المعتدي و المسالم. و الثنائية الوحيدة التي يحتفظ بها هي التعارض بين الأنا و الآخر، بحيث لا سبيل إلى الجمع بينهما؛ لأنّ كل أنا بشرية عدوانية بطبيعتها، كما أنّها متحصنة بعقيدة دينية، لا تقبل التفاوض، و لا التنازل.

أما الحضارة التي هي الدائرة الأوسع للهوية، فقد اعتبرها **هانتنغتون** هي الأخرى ثابتة؛ لأنّ كل حضارة مؤسسة في نظره على عقيدة دينية لا تقبل التعديل. لقد اهتم بمظهر واحد في الحضارة هو الدين، و ما كان يرمي إليه، هو أنّ الحضارات متناقضة طالما أنّ لكل واحدة قيم متضاربة مع منظومة القيم الخاصة بالحضارات الأخرى، و هنا لم تعد الحضارة نتاج تفاعل. و مقارنة ب **بـرودول** لا يعترف **هانتنغتون** بتكامل الحضارات، لم تعد الحضارات حسب منطقه سلسلة مترابطة بعضها ببعض، و هكذا حول منطقة البحر الأبيض المتوسط التي كانت فضاء لتلاقي حضارات كبرى، إلى مسرح لصدام حضاري. و نفس القانون يعممه على الكون بأسره.

فيما يتعلق بالصراع نجد بأنّ **هانتنغتون** جعله قانونا أساسيا، حيث أنّه بشكل ممنهج ، عمد إلى توسيع دائرة الاختلاف بين الجماعات البشرية و الشعوب، بناءا على أسس ثقافية، لكنّه لم يدخل إلى

عمق هذه الثقافات من أجل مقارنتها بعضها ببعض، و إبراز تعارض قيمها، و إنّما استند إلى أحكام كلية افترضها.

و لو أردنا أن نتتبع نشوء المفاهيم الغربية و تطورها، فإنّه سيسهل علينا وضع نظرية **هانتنغتون** في موقعها. و من أهم هذه المفاهيم عقيدة المركزية الغربية، التي كانت تقدم الغرب في إطار إيجابي و الآخر على العكس من ذلك، حيث أنّه في الحرب الباردة قدمت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها محررة للعالم ضد نظام شيوعي اعتبرته عدوا للبشرية، لن يتحقق خلاص العالم إلاّ بالقضاء عليه، و بعد تراجع الخطر الشيوعي كان لا بد من إعادة بناء عوامل الصراع، فأراد **هانتنغتون** أن يؤدي هذا الدور، في إطار مقولة صدام الثقافات. إنّ هذه الأطروحة تريد صياغة العقل الغربي من جديد بناء على فكرتي الصراع، و الاستثنائية الغربية. إنّها خطاب جديد لمركز يريد أن يعيد ترتيب نفسه، انطلاقا من نظرة مركزية. و يتجلى ذلك من خلال تقديم **هانتنغتون** للغرب في صورة إيجابية، تظهره منتجا للقيم الرفيعة، أما بقية العالم فهي مصدر التخلف، أو هي عالم البرابرة الذين يحقدون على حضارة الرجل الأبيض و يتربصون بها؛ لذلك اختصر الصراع في ثنائية الغرب و الآخرين.

حلقة أخرى في تطور مفاهيم الفكر الغربي ألا و هي نظرية **داروين**، لا نرى نظرية **هانتنغتون** بعيدة عنها، على اعتبار أنّها قد أثرت على نظرة الكثير من المفكرين الغربيين للحضارة بشهادة **كارول كويغلي** الذي وضح بأنّ التفسير الداروينى للحضارة ساد في القرنين التاسع عشر و العشرين، حيث أنّ بعض المفكرين ربطوا بين الحضارة و الصراع، و منهم من ربط بين مراحل ضعف الحضارة و تناقص حدة الصراع.

أما نحن فنقول بأنّ تأثير هذه النزعة امتد إلى أطروحة **هانتنغتون، و** يتجلى ذلك من خلال العلاج الذي قدمه من أجل تفادي انهيار الغرب، فقد كان "داروينيا"؛ لأنّه سعى إلى دفع الغرب إلى درجة أعلى

من الصراع، و لكي يحقق ذلك جعل من كل حضارات العالم خصوما للحضارة الغربية، و إن كان قد اجتهد في تشخيص عدوين أساسيين للغرب هما الإسلام و الحضارة الكونفوشية.

بنظرة مركزية داروينية إلى علاقة الغرب بالآخرين حاول **هانتنغتون** من وجهة نظر محافظ جديد أن يدفع بضرورة حماية الهوية الأصلية للغرب من الداخل، و في مقدمتها الولايات المتحدة. علما بأنّ قضية الهوية الأمريكية من أولويات تيار المحافظين الجدد الذين ينتمي إليه **هانتنغتون،** بل أنّ الاستثنائية الأمريكية تقليد أساسي في السلوك السياسي لهذه الدولة، و هي مبنية على اعتبار الأمة الأمريكية مباركة من دون بقية دول العالم.

نعم لقد اعترف بوجود أطراف أخرى تتمتع بالكثير من جوانب القوة، لكنّه من خلال ذلك أراد أن ينبه إلى أنّ الغرب لا يجب أن يغتر بقوته، فعلى المدى البعيد قد يكون ميزان القوة ليس في صالحه، لكنّه إذا كان يريد أن يخلد استثنائيته ينبغي عليه أن يعتبر الصراع أمرا واقعا، و ينبغي على أمريكا أن تصنع عدوا، و هذا ما يراهن عليه لأنّه حسب منطق الداروينية لا تطور و لا بقاء إلاّ بالصراع و الحرب.